منيرشيق

الاستراتيجية والتكتيك في

فَن عِلْمُ الحَرِبُ

من السيف والدروع.. إلى الصاروخ والأنفاق

مع ملحق:

«بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى»

# فَنْ عِلْمُ الْحَرِبُ



# منيرشفيق

من السيف والدروع.. إلى الصاروخ والأنفاق

منير شفيق



بْنَيْبُ مِنْ الْهِ عَالَمْ عَلَا لَهِ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى ال

الطبعة الأولى 1429 هـ - 2008 م

ردمك 4-494-87-9953

#### جميع الحقوق محفوظة للناشر



عين النينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم هاتف: 786233 - 785108 - 785103 (1-96+)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو مكاتبكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الحار العزبية للعلوم ناشرون ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (196+). الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت – هاتف 786233 (1961+).

# فهرست

11	تنویه
13	الحرب
15	مدخل عام
21	هل الحرب علم أم فن؟
، الأول	الفصل
اتيجية	الاستر
- 1	
31	
32	اللوجستيقا: LOGISTICS
35	الاستراتيجية عبر العصور
41	الاستراتيجية في عصر نابليون
49	الاستراتيجية في القرن التاسع عشر
- 2	-
50	الاستراتيجية وتعريفها
61	تحديد الاستراتيجية العسكرية
- 3	-
65	الاستراتيجية في الحرب العالمية الأولى
66	الاستراتيجية في الحرب العالمية الثانية
70	· · ·
71	
75	
77	•
79	· ·

# الفصل الثاني الستراتيجية النووية 1949 - 2008 القواعد الأساسية في علم الحرب

## - القسم الأول -الاستراتيجية في العصر النووي

85	مدخل عام
87	 مراحل التوازن النووي العالمي (1945 – 2008)
87	مرحلة 1945 - 1949
88	مرحلة 1949 – 1953
89	مرحلة 1953 – 1955
90	مرحلة 1955 – 1960
91	مرحلة 1960 – 1980
92	مرحلة 1980 – 1990
93	مرحلة 1991 – 2001
94	مرحلة 2001 – 2008
95	مرحلة 2009 – 2020
97	مسائل الحرب النووية
100	التطورات الجديدة في العصر النووي
102	الصدقية والمعقولية
	- القسم الثاني-
الحرب	القواعد الأساسية في علم ا
105	تمهيد
	المبادئ العشرة في فن علم الحرب
	1 - مبدأ تركيز القوات (التحشيد)
	2 - مبدأ الاقتصاد بالجهد
	3 – مبدأ الأمن
	4 - مبدأ الحركة
	5 – مبدأ الهجوم (الدفاع)
132	مرا المفاحلة

و التنفيذ	7 – وحدة القيادة والخطة ا
يدف	8 - مبدأ المحافظة على ال
136	9 - مبدأ المبادرة
عاسمة	10 - مبدأ تقدير الحلقة الد
139	خلاصة
الفصل الثالث	
التكتيك	
- 1 -	
143	مدخل عام
145	• السلاح والنيران
145	• الحركة
146	• التشكيلات
149	تمهيد عام حول التكتيك
153	بين العمليات والتكتيك
-2-	
155	تطور التكتيك عبر العصور
حة النارية	تطور التكتيك في عصر الأسد
162	• تكتيك المناوشات
163	• تكتيك نابليون
165	التكتيك في القرن التاسع عشر
- 3 -	
ولى	التكتيك في الحرب العالمية الأ
لمية الأولى	•
- 4 -	
انية	التكتيك في الحرب العالمية الث
انية	•
ىملانية)	
186	· ·

187	ج – من الدروس التكتيكية
187	1 – التكتيك الهجومي
188	2 – التكتيك الدفاعي
189	خلاصة عامة حول التكتيك
	الفصل الرابع
ب الباردة	القسم الأول: مرحلة الحرب
ء الحرب الباردة	القسم الثاني: مرحلة ما بعد انتها
197	القسم الأول: مرحلة الحرب الباردة 1950 - 1991
	- 1 -
197	الأبعاد السياسية
	- 2 -
203	حروب مرحلة الحرب الباردة 1950 - 1991
	- الحرب الكورية 1950 - 1953
206	- حروب 1956، 1967، 1973
211	<ul> <li>حروب الهند الصينية: فياتنام، لاوس، كمبوديا</li> </ul>
215	<ul><li>حرب الفوكلاند 1982</li></ul>
217	– حرب غزو لبنان 1982
219	– الحرب العراقية – الإيرانية 1980 – 1988
221	<ul> <li>التطور العسكري في الحرب العراقية - الإيرانية</li> </ul>
223 <b>2008 - 1</b> 9	القسم الثاني: مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة 991
	- 1 -
	نظرية "الثورة في الشؤون العسكرية M.R.A
	الحرب "وسط الشعب"
230	"النظرية العمليانية": "الهندسة المعكوسة"
231	الرد على نظرية "الحرب وسط الشعب"

"الثورة في الشؤون العسكرية" أمام حزب الله ......

ب 2008 – 1991	حروه
- حرب الخليج الثانية 1991	_
- الحرب ضد صربيا 1999	_
- حربا أفغانستان 2001 والعراق 2003	-
- تحرير جنوب لبنان 2000 وقطاع غزة 2005	-
- حرب تموز /يوليو 2006 - لبنان	-
• جبهة المقاومة عسكرياً	
• جبهة الجيش الإسرائيلي عسكرياً	
- الحرب على قطاع غزة 2008	-
- 3 -	
تذكير عام	
تى بين الهجوم والدفاع	السباز
ل النصر والهزيمة في الحرب	عو ام
الفصل الخامس	
بین حروب نابلیون	
وحروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى	
-1-	
261	مدخل
ب المعنوي والفنّ العسكري	الجاند
<b>-2-</b>	
ب نابليون وخالد بن الوليد	حروه
الجيش والمناورة الاستراتيجية	تقسيم
ك الكبير GRAND TACTICS ك الكبير	التكتي
ع بين تشكيلة الرتل والمناوشة	الجم
	• '

288	مقارنة تطبيقية
295	الاستطلاع والاستكشاف
296	مستوى القيادات
298	خلاصة
307	مصادر البحث

#### تنويه

لقد أسقطت هوامش الاستشهادات من هذا الكتاب، بسبب كثرها من ناحية ثانية. أما ناحية، ومن أجل تسهيل قراءته بالنسبة إلى القارئ العادي من ناحية ثانية. أما المراجع الأساسية التي أخذت منها تلك الاستشهادات، والتي اعتمد عليها في طرح موضوعات هذا الكتاب ولا سيما ما له علاقة بتأريخ تطور الحرب (ليدل هارت وآخرون)، فقد أثبتت المراجع في نهايته. أما السبب فيرجع إلى كونه موجهاً في الأسناس إلى قوى المقاومة لتعرف كيف يفكر قادة جيوش الاحتلال، وربما أفادت منه القيادات الاستراتيجية العربية والاسلامية.

هـــذا وثمــة هــدف آخــر وهو أهمية دراسة علم الحرب للتفكير السياسي الاســـتراتيجي ولفهم السياسة الدولية وللتحليل السياسي وتقدير الموقف. فكل من يهــتم بالــسياسة والاستراتيجيات الدولية لا بد له من معرفة أساسية أو أولية في الاستراتيجية والتكتيك في علم الحرب.

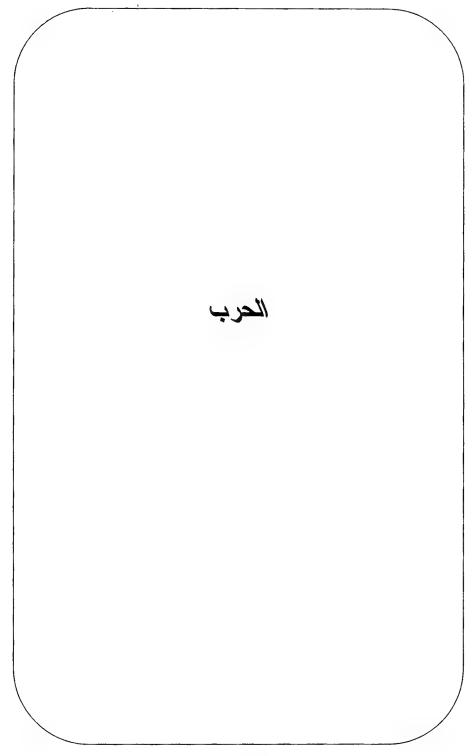
الفصل الخامس من هذا الكتاب قام بمقارنة بين حروب الفتوحات العربية الاسلامية الأولى وحروب نابليون. وذلك من جهة تصحيحه لتجاهل العلم العسكري الغربي للتطويرات التي أحدثتها الحروب العربية الاسلامية في علم العرب. أما من الجهة الثانية فقد أريد من هذا الفصل أن يكون برهاناً يعزز الإشارات التي وردت في متن هذا الكتاب حول الإنجازات العربية في هذا الجال.

يمكن اعتبار هذه النسخة معدلة ومنقّحة ومطوّرة عن النسخة الأولى التي صدر فيها كتاب علم الحرب عام 1971. فمن جهة جرت بعض التصحيحات للأخطاء المطبعية أو اللغوية، وأحدث من جهة أخرى تصحيح لبعض المصطلحات والمفاهيم وقد أشير إلى أهمها في الهوامش ولماذا؟ ولكن التعديل والتطوير في هذه النسسخة فقد تناول التطورات التي حدثت في مجالات الاستراتيجية والعمليات والتكتيك ونظريات الحرب الحديثة ما بين 1971 و 2008 ليكون هذا الكتاب

مواكباً لآخر التطورات وليس إعادة طبع لكتاب قديم. فكانت المحافظة على البنية الأساسية ضرورية ومفيدة للبناء عليها في فهم فن علم الحرب لا سيما من زاوية الحروب النظامية التقليدية أو الحروب النظامية المعاصرة في مواجهة "الحرب وسط السشعب" كما يسميها الجنرال روبرت سميث (سيأتي ذكره مع آخرين). أو بعبارة أخرى الحرب النظامية المضادة للمقاومة والانتفاضات والحرب الشعبية والحرب الغوارية.

بيروت: 26 جمادى الثانية 1429 هــ 30 حزيران/يونيو 2008 م

المؤلف



### الحرب

#### مدخل عام

الحرب عملية صدام وحشي يقتتل فيها البشر محطمين بعضهم بعضاً حسدياً و إنها عملية قتل جماعي - بقصد تحقيق أهداف محددة. ولكن الحرب ظاهرة لها أسبابها. وقد رافقت المجتمعات البشرية منذ فجر الحضارة الإنسانية حتى اليوم، وستبقى إلى زمن طويل قادم إلى أن تلغى الأسباب التي تولد الحروب ولا مؤشر إلى ذلك.

إذا كانت الحرب تشنّ لتحقيق أهداف محددة - لا أحد يقاتل من أجل القتال - فــلا بدّ من أن ترى ضمن نطاق أهدافها وضمن طبيعة القوى التي تشنها. إن رؤيــة الحــرب ضمن هذا الإطار يقسم الحروب إلى قسمين رئيسيين: حروب عادلة، وحروب غير عادلة. أما معيار العدالة أو اللاعدالة في الحرب فينطلق من زاوية عدالة، أو عدم عدالة، الأهداف التي تشنّ الحروب بقصد تحقيقها. إنه يسنطلق مــن طبيعة القوى(1) التي تشنّ الحرب، ولماذا تشنّها، وما هو الدور التاريخي الذي تلعبه كل من القوى المتحاربة، هل هو دور أخلاقي عادل يدفع التطور الإنساني إلى أمام؟ أم هو دور لا أخلاقي يعطل الحياة الإنسانية (2)؟ وهنا نخــد أنفسنا أمام طراز من الحروب شنتها قوى دولية بقصد النهب والاضطهاد والاستعمار، أي بقصد إخضاع الجماهير والشعوب والأمم للاستغلال بمختلف

<sup>(1)</sup> في الأصل من طبيعة الطبقة أو الطبقات"، لكن استخدام طبيعة "القوى" أشمل.

<sup>(2)</sup> في الأصبل "دور تقدمى" ولكن هذه خرجت الآن من التداول وتفسيرها في الأصل مسألة خلافية. وكذلك أسقط تعبير دور رجعي للأسباب نفسها. ذلك لأن المعيار لدى الماركسية مرتبط بتطور قوى الانتاج وعلاقات الانتاج أو ما يسمى بمراحل التطور التاريخية (المساعية، العبودية، الاقطاع، الرأسمالية، الاشتراكية، الشيوعية) فيما المعيار الأدق هو المتعلق بالقيم والعدالة والحق، أو في الأقل الجمع بين الجانبين بدقة وتوازن.

أشكاله. هـ ذا الطراز من الحروب شنّ، ويشنّ، منطلقاً من طبيعة عدوانية استغلالية موجه ضد الجماهير العريضة من البشر، ومن ثم فإن هذا الطراز من الحسروب، يتسم باللاعدالة، ويمكن رؤية أمثلة عليه في الحروب التي وقعت بين الأباطرة والملوك والغزاة في الماضي، أو بين الدول الإمبريالية في العصر الحديث، مـ شلاً، الحرب العالمية الأولى إلى حانب حروب الاستعمار القديم والجديد ضد شعوب آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. ولهذا فإن الحروب اللاعادلة ذات ثلاثة أشكال:

- 1. حروب بين الدول الإمبريالية فيما بينها، أو بين الغزاة العدوانيين في ما بينهم، مثلاً الحروب بين الإمبراطوريات القديمة أو الحرب العالمية الأولى والثانية.
- 2. حروب من جانب دول الاستعمار القديم، أو الاستعمار الجديد، ضد المشعوب المستضعفة، مثلاً العدوان الأميركي على فياتنام سابقاً وعلى العراق حالياً.
- حروب أهلية تشنّها قوى اجتماعية ضد أخرى في بلادها، وهذه قد تكون عادلة أو غير عادلة وفقاً لكل حالة.

وفي المقابل كانت هنالك حروب عادلة شنّت على مدى التاريخ، وتشنّ في الوقت الحاضر، وستشنّ في المستقبل ضد الحروب اللاعادلة، وبقصد تحقيق أهداف هي لمصلحة الجماهير العريضة من البشر وفي اتجاه العدالة بين البشر مثل حروب التحرر الوطني ضد الاحتلال الاستعماري، أو الحروب الأهلية لإسقاط الطبقات الاستغلالية المستبدة الفاسدة أو العميلة، ومن أجل بناء مستقبل عادل بين الشعوب خلو من الاستغلال والاضطهاد، وآمن من وحشية الحروب وبربريتها، وهذا ما يعطي هذا الطراز من الحروب صفة العدالة والدفاعية. ولهذه الحروب ثلاثة أشكال رئيسية أيضاً:

1. حسروب وثسورات السشعوب المضطهَدة ضد الغزو الأجنبي والاستعمار والاحستلال. مثلاً حرب التحرير الفياتنامية والثورة الفلسطينية والجزائرية، والمقاومة المسلحة اللبنانية والعراقية والأفغانية أو المقاومة ضد دول المحور في الحرب العالمية الثانية.

- 2. حروب من جانب الدول المتحررة ضد الدول الإمبريالية أو التي تدافع ضد عدوان خارجي. مثلاً حرب الاتحاد السوفياتي ضد الغزو النازي في الحرب العالمية الثانية، ومن أمثلة القسم الأول حرب مصر ضد الكيان الصهيوني عام 1967، أو ضد الغزو الثلاثي 1956.
- 3. حروب أهلية تشنّها الطبقات المضطهدة المستغلّة ضد الطبقات الحاكمة في بلادها. مثلاً الحرب الأهلية في الصين، والثورة المسلحة في لاوس، وثورات اليونان والفيليبين والملايو في النصف الثاني من الأربعينيات.

إن كــلا مــن الأشكال الثلاثة الخاصة بالحرب اللاعادلة، والأشكال الثلاثة الخاصة بالحرب العادلة، عبارة عن الأشكال الرئيسية فقط، إذ هنالك عدة أشكال أخــرى هــي جماع شكلين أو أكثر من الأشكال، مثلاً حروب أهلية تشنّها قوى متواطئة مــع الخارج مصحوبة بحرب غزو إمبريالي، أو في المقابل حروب تشنّها السدول المستقلة مــصحوبة بالمقاومة وحروب الشعوب المضطهدة ضد عدوان خارجــي. وهــنالك أيــضاً طراز من الحروب العادلة يعقد فيها تقاطع بين بعض الأشــكال الــثلاثة للحــروب العادلة مع إحدى دول المجموعة الأولى، ضد غزو إمبريالي واحتلال وهو ما عليه أكثر من مثال في مرحلة الحرب الباردة.

كان كارل فون كلاوزفيتر CLAUSEWITZ (ألماني 1780 – 1831) قد عسرّف الحسرب بألها استمرار السياسة بوسائل أخرى – عنيفة. وقبلت الماركسية اللينينية هذه الموضوعة، ولكنها ركّزت على كشف طبيعة السياسة التي تشكل الحسرب استمراراً وانعكاساً لها، وذلك من أجل الكشف عن المحتوى الطبقي للحرب، يقول لينين "إن الطبيعة الطبقية للحرب يجب البحث عنها ليس في التاريخ الدبلوماسي للحسروب، وإنما بتحليل الواقع الموضوعي للطبقات الحاكمة في كل السبلدان المتحاربة". أو كما يقول، بعبارة أشمل، "من هي الطبقة التي تشنّ الحرب وتستمر في شنّها، هذا هو السؤال الهام حدا!"(1) وذلك لتحديد الموقف من الحسرب، أي عدالتها، وعدم عدالتها. ويستخلص لينين حتمية الحروب ليس بين

<sup>(1)</sup> استخدام طبقة محدود إذ الأشمل استخدام "القوة السياسية والاجتماعية" مع اعتبار ما تحمله من أيديولوجية وأهداف. فتحديد الطبقة ليس ممكناً في كل الحالات.

السدول الإمبريالية فيما بينها فحسب، وإنما أيضاً، إمكانية وحتمية الحروب العادلة مسن جانسب المضطهدين، ما دام هنالك أمم مقهورة وطبقات مستغلَّة. ويصنف الحسروب الثانية - الحروب العادلة - إلى ثلاثة أصناف: "أولاً الحروب والثورات الوطنية الثورية، وثانياً الحروب والثورات البروليتارية ضد البرجوازية. وثالثاً حروب وثورات يجتمع فيها الطرازان السابقان".

أما ماوتسي تونغ فينطلق من موضوعة كلاوزيفتز وموضوعات لينين، وأخيراً يعطي تعريفاً للحرب أكثر تكاملاً من تعريف كلاوزيفتز فيقول: "الحرب هي أعلى أشكال السصراع لحلّ التناقضات بين الطبقات أو الأمم أو الدول أو الجموعات السسياسية، عندما تستطور تلك التناقضات إلى مرحلة معنية. وقد وجدت هذه الظاهسرة مسنذ بزوغ الملكية الفردية وتكون الطبقات"(1). "وإذا لم تفهم الظروف الواقعية للحرب وطبيعتها وعلاقتها بالأشياء الأحرى فلن تعرف قوانين الحرب، أو تعرف كيف توجهها، أو تكون قادراً على إحراز النصر".

وهنا نصل إلى النتائج التالية:

1. لا يكفي أن نصف الحرب بالوحشية ونشجبها لتنتهي الحروب، وإنما يجب رؤيــتها كظاهرة تشكل أعلى أشكال الصراع لحل التناقضات عندما تبلغ مرحلة عدائية. وبالتالي علينا أن "نعارض الحرب بالحرب" نعارض "الحرب الإمبريالية العدواني بالمقاومة أو بالحرب الثورية الوطنية" ونعارض "الحرب المسخادة المتواطئة مع الإمبريالية بالحرب الثورية أو المقاومة باحتلاف تسمياتها وصفاتها وسماتها" أو بكلمات أخرى، علينا أن نعارض الحرب غير العادلية بالحسرب العادلة. هذا هو الطريق للقضاء على وحشية الحروب وبربسريتها. أو في الأقل الطريق لردع العدوان وحصره في أضيق الحدود وإلا استشرى واستفحل.

<sup>(1)</sup> استخدام ماوتسي تونغ لحل التناقضات بإجمال الأمم والدول والمجموعات السياسية أشمل من الاقتصار على "الطبقة". ولكن يعود فيقع في أسر المقولة الماركسية في استخدامه "منذ بزوغ الملكية الفردية وتكون الطبقات". وذلك لمحدودية انطباقها على بعض المجتمعات لا كلها، كالحروب بين القبائل التي لم تعرف الملكية الفردية وتكون الطبقات وفقاً لها.

2. الحرب هي استمرار للسياسة بأساليب أخرى، أو قل هي شكل صراع - أعلى أشكال الصراع - لحل التناقضات، أي أن الحرب ميدان خاص مستقل تحكمه ظروف خاصة به، وبالتالي له قواعده وقوانينه الخاصة. فالحرب استمرار للسياسة ولكنها ليست السياسة، والحرب صراع لحل التناقضات ولكنها شكل خاص من الصراع. وبكلمات أخرى يجب أن تعامل الحرب باعتبارها حرباً لها ميدالها الخاص وسماتها المحددة. ومن ثم يجب أن تدرس وتعالج كولها مجالاً مستقلاً قائماً بذاته من ناحية، وباعتسارها مجالاً متولداً ومتأثراً بمختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية الإيديولوجية من ناحية ثانية.

لكي لا تبدو تلك الموضوعات نظرية تحريدية فلنلقِ نظرة سريعة على الوضع العالمي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، لنلاحظ:

- 1. أصبحت الحرب في العصر الذري عملية مستمرة حتى في ظلَّ ما يسمى بسوقت "السلم"؛ فالعالم أو على الأصح الدول الكبرى، في حالة حرب دائمة غير معلنة، وما السباق النووي والصاروخي والتقاني (التكنولوجي) والفضائي إلاّ حالة حرب وسنعالج هذه القضية تفصيلاً في فصل لاحق مستقل.
- 2. شهد العالم سلسلة من حروب الغزو الإمبريالية نذكر منها العدوان الأميركي على مصر، والعدوان الثلاثي على مصر، والعدوان الصهيوني 1967 على مصر وسوريا والأردن.
- شهد العالم سلسلة من الانقلابات العسكرية التي صمّمتها الـ سي. آي. إيه الأميركية وأبرزها تشيلي ضد أليندي وإندونيسيا ضد سوكارنو.
- 4. سلسلة من الثورات والمقاومات التحررية والثورية الجزائر، فياتنام، كمبوديا، لاوس فلسطين، لبنان.

وإذا ألقيمنا نظررة على وضع بلادنا العربية فسنحد أن الحرب بكل أشكالها تعيش بين ظهرانينا دائماً:

1. الحرب الصهيونية لاحتلال القسم الأكبر من فلسطين 1948 - 1949.

- 2. حرب العدوان الثلاثي على مصر 1956.
- التدخل الأميركي العسكري في لبنان، والإنــزال البريطاني في الأردن عام 1958.
- 4. حــرب الغــزو الــصهيوني حزيران/يونيو 1967 احتلال كل فلسطين وسيناء ومرتفعات الجولان السورية وتعطيل قناة السويس.
- حرب اشتباكات مستمرة (حرب الاستنزاف) على قناة السويس لمدة سينتين 1968 1970 بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الجيش الصهيوني. كما حرب استنزاف سورية على الجولان بعد حرب تشرين 1973.
  - 6. الحرب في اليمن 1962.

هذه فقط الحروب ذات الطابع النظامي أو الحرب التقليدية، فضلاً عن سلسلة طويلة من النثورات المسلحة والاشتباكات الغوارية وغير الغوارية مع القوى الاستعمارية أو التهديدات الإمبريالية بالتدخل المباشر، إلى جانب امتلاك العدو الصهيوني في فلسطين حوالي مائتي قنبلة نووية (1).

إن كل هذه الوقائع تجعل مسألة دراسة الحرب وفهمها مسألة حيوية ليس بالنسبة إلى المثقفين والصحفيين والسسياسيين والفنسيين والعلماء والمناضلين والجماهير. بل إن ظاهرة تحول الثقافة العسسكرية إلى ثقافة عامة للشعب، أصبحت ظاهرة عالمية في كل البلدان. لأن الحرب ومسائلها أصبحت تعتمد اليوم أكثر من أي يوم مضى على الجهد الجماعي للأمة كلها سواء أكان في عمليات المؤخرة أم الميدان (2). إذ لم تعد عملية قيادة الحسرب ووضع استراتيجيتها من اختصاص الجنرالات وحدهم فقد أصبحت

<sup>(1)</sup> هذه الأمثلة أبرزت عام 1970 في أثناء كتابة "علم الحرب"، والقارئ يستطيع الآن أن يعدّ كم من حروب الغزو تعرّضت لها بلادنا ولم تزل منذ ذلك التاريخ إلى اليوم وكذلك أن يعدد حالات المقاومة والممانعة في مواجهتها وأبرزها في فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان في الخمس سنوات الماضية 2001 - 2007.

<sup>(2)</sup> تسشكل سويسرا المحايدة المسائمة نموذجاً للتعبئة الشعبية العسكرية الجماعية للأمة في حالة تعرضها لغزو خارجي.

الاستراتيجية - حتى في الدول الغربية الرأسمالية - ترسم على طاولة مستديرة يلتف حولها القادة السياسيون والجنرالات وأصحاب الاختصاصات المختلفة. أما في السعين السعبية، فإن دراسة الحرب وقواعدها جزء أساسي من برامج التعليم في المدارس والجامعات، ومن الثقافة العامة للشعب كله. وعندما نتحدث عن الثقافة العسكرية أو دراسة قواعد فن الحرب لا نقصد التدريبات أو التمرينات العسكرية على فك السلاح وإطلاق النار والصف بالطابور فهذه تحصيل حاصل، وإنما نقصد دراسة الموضوع على أعلى مستوى الاستراتيخية والعملانية والتكتيك.

إن بلادنا العرب لتحقيق أهدافه وغاياته العدوانية التوسعية والاستعمارية. إنه بالسلاح ويلجأ للحرب لتحقيق أهدافه وغاياته العدوانية التوسعية والاستعمارية. إنه خطر الكيان الصهيوني والجيوش الإمبريالية. وليس لنا من سبيل إلا الدفاع عن بلادنا وجماهيرنا ومستقبلنا، وستكون الحرب جزءاً هاماً في هذا الدفاع، وعلينا أن ندركها ونعرف كيف نعد لها ونواجهها ونخوضها بنجاح. وإذا كانت الحرب عملية صدام وحشي يحمل الكوارث والدمار والويلات، إلا ألها مفروضة علينا وتعيش بين ظهرانينا، وعلينا أن نواجه هذه الحقيقة المرّة ونحوّل مرارها إلى حلاوة انعتاق إنساني. إن الذين يدركون قواعد علم الحرب ويعرفون كيف يعالجون مسائلها ويعرفون كيف يقودولها، هم وحدهم الذين يخففون من ويلاها ويستطيعون إزالة أخطارها.

أما استمرار الجهل في هذا المحال، أو محاولة دفن الرؤوس في الرمال، فلن يدفعا الحسرب عنا، ولن يخففا من وحشيتها وويلاتها، وسيلدان دائماً نكسات عسكرية من طراز ما حدث في عام 1949/1948، وعام 1967<sup>(1)</sup>.

## هل الحرب علم أم فن؟

ثمــة عسكريون ومثقفون يتشدّدون بتسمية الحرب بعلم الحرب، وثمة آخرون – وهـــؤلاء الأغلبية – يسمونها بفنّ الحرب. وكثيراً ما دارت مناقشات حول هذه

<sup>(1)</sup> استخدام وصف هزيمة عسكرية "بالمعنى الذي يعرفه فون كلاوريفتز غير منطبق لأن الاستسلام العسكري أو التجريد من السلاح لم يحدثا. ولهذا استخدام نكسة أدق وأكثر مطابقة عدا لمن يريد تحويلها إلى هزيمة سياسية واستسلام".

التسمية لأنها هنا ليست بحرد خلع اسم ما على موضوع، وإنما لأنها تحمل في طيّاتها مسوقفاً مسن موضوع الحرب، هل ينظر إلى مجال الحرب كمجال خاضع للدراسة العلمسية والخسروج بالقوانين العلمية التي تحكمه؟ أم ينظر إليه كمجال لا يستطيع العلم معرفته وضبط قوانينه، وبالتالي فهو ضمن مجال الفنّ لا العلم؟

في الواقع، ثمة صراع، منذ أمد طويل، في المجال الفلسفي والنقافي حول مسألة الطواهـ الاجتماعية هل هي محكومة بقوانين في حركتها يمكن اكتشافها ومن ثم الستحكم فيها، أي هـل تدخل ضمن مجال العلوم، أم هي مجرد تراكم عرضي للأحـداث لا تخضع للدراسة العلمية لأنما غير محكومة بقوانين في نشوئها وتطورها وآليات حركتها وزوالها؟ وصل الاتجاه الثاني قمة التعبير عن نفسه على يد سورين كيركغارد (soren kierkegaard 1855-1813) الذي أكد أن الضرورة أو القانون ينطـبقان علـي الذرات أو على المادة اللاواعية، أو حسب تعبير كيركغارد "على الحـثث". أمـا البشر والمجتمع فلا ضرورة ولا قوانين تحكم حركتهما. أما الاتجاه المثاني - بيكون، ديكارت، سبينوزا، كانط، هيحل، ماركس - فقد اعتبر التاريخ الإنـساني والنـشاط الاجتماعي والظواهر الاجتماعية ليست مجرد تراكم عرضي للأحداث، وليست مجالات لا يمكن فهمها واكتشاف القوانين التي تحكم حركتها. أو بكلمـة أخرى إن حركة المجتمع ومختلف ظواهره تقع ضمن مجال العلم، وبذلت المحـاولات لجعـل الـتاريخ علماً وكذلك الاقتصاد والسياسة ومختلف المجالات الاجتماعية والسيكولوجية.

ولكن كان من الواضح لأكثر الذين عالجوا هذه المجالات باعتبارها علوماً أن مفهوم العلم هنا أو على الأصح القوانين التي تعمل في المجال الاجتماعي هي قوانين ذات اتجاه وهي تقريبية نسبية تقع ضمن الإرادة الواعية للبشر وفعلها. فهي تؤثر على صوغ تلك الإرادة، ولكنها تتم من خلال تلك الإرادة ووعيها. ولهذا حين تستخدم كلمة علم في دراسة آية ظاهرة اجتماعية واكتشاف قوانينها، يجب ألا تفهم بالمعنى الضيق للعلم الذي ينطبق على المجالات المادية الطبيعية، لأن قصر العلم على المجالات الي يمكن ضبطها بقوانين تنطبق على كل حالة جزئية من حالات الظاهرة الواحدة - يمعنى تكرار الظاهرة - يستبعد العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع

وعلم السنفس والستاريخ والاقتصاد كما يستبعد بحال الحرب، بل يستبعد أيضاً بحالات من العلوم الفيزيقية والرياضية مثل السبرنطيقا وعلم الاحتمالات ورؤية الاتجاهات في حركة أدق الأجزاء المادية. أما إذا حمل العلم تعريفاً أوسع ليكون بمقدوره دراسة الظواهر الأكثر تعقيداً، خاصة، دراسة الظواهر التي لا تكرّر نفسها على صورة واحدة في عملية حركتها وتطورها، عندئذ يكون بمقدوره إخضاع مختلف الظواهر الاجتماعية - بما فيها الحرب - إلى منهج علمي في الدراسة واستنباط اتحاه كل ظاهرة ونسبيتها في حركتها الحاضرة والمستقبلية. ومن ثم معالجتها بالرغم من انعدام صفة التكرار.

ولكي نكون أكثر وضوحاً فلنتناول ظاهرة الماء في المجال الطبيعي وظاهرة المحرب في المجال الاجتماعي، فسنحد أن الفرق الأساسي بين الظاهرتين يكمن في كون جزيئات الماء هي نفسها في كل حالة – أي صفة التكرار – وبالتالي يسصبح بالمقدور القول إن الماء يغلي على درجة مائة تحت ضغط جوي 76. وسنحد الماء يغلي في كل الحالات التي تتوفر فيها درجة حرارة مائة وضغط جوي 76. أما الحرب فنحن لا نستطيع أن نقول إذا تقابل طرفان، وكان أحدهما يمتلك سلاحاً متفوقاً سينتصر في المعركة، لأن ظاهرة الحرب عبارة عن تداخل وتشابك وترابط بين مجموعة كبيرة من العناصر. وتأثير هذه العناصر على بعضها البعض ومدى أهمية كل عنصر ليست مقادير ثابتة – متكررة – في كل حرب أو في كل معركة. ولهذا فإن القوانين التي تحكم كل حرب وكل عملية وكل معركة تختلف في كل حالة. وهذا ما جعل ضبط كل الحالات عملية وكل معركة تختلف في كل حالة. وهذا ما جعل ضبط كل الحالات القوانين تضمها كما لو كانت قوالب حديدية أمراً محالاً وخاطئاً. وهذا ما جعل الاتجاه الذي يعتبر الحرب علماً يسميه فناً. وهذا ما جعل الاتجاه الذي يعتبر الحرب علماً يسميه فناً. وهذا ما جعل الاتجاه الذي يعتبر علماً يعطى لمفهوم العلم في هذا المجال معني أوسع من مفهومه في العلوم الفيزيقية، فيجعله جمعاً بين علم وفن.

 والأرض والتقنية وتسوازن القسوى إلخ. ولكن عملية الحرب نفسها أي قيادتها وتوجيهها فهي خاضعة أيضاً لفن القائد في المعركة.

ولكن إذا سألنا ما هو فن القائد في المعركة؟ فسنجده عبارة عن مقدرة القائد على التقويم الصحيح لكل العناصر التي تشكل الحالة التي أمامه، ومن ثم مقدرته على تحديد أفضل خط للعمل - للتنفيذ - بناء على هذا التقويم. أو بعبارة أخرى مقدرته على اكتشاف قوانين الظاهرة التي أمامه بالاستناد إلى الوقائع الملموسة المعطاة. ومن ثم اكتشاف قوانين التطبيق ضمن المعطيات الملموسة التي بين يديه، أو التي يمكن أن يوفرها، مقابل تلك التي في الجبهة المقابلة.

الآن، هل نسمِّي هذه العملية فناً، ولكن بماذا تختلف عن الدور الذي يقوم به العالم في المختبر وهو يدرس ظاهرة جديدة ويحاول اكتشاف قوانينها، فإذا كانت عملية الاكتشاف والمقدرة العقلية على الاكتشاف تسمَّى في بعض الحالات فناً. فعسندئذ يجسب أن تفهم كلمة فن حين تطلق على الحرب ضمن هذا الإطار. كما يجسب أن تفهم كلمة علم حين تطلق على الحرب ضمن هذا الإطار. ولنتذكر أن عبارة "فن القائد" اصطلاح قديم كان يعني الاستراتيجية.

هنا نجد أنفسنا مضطرين إلى بحث هذه المسألة من زاويتين:

الأولى: دراسة الحرب باعتبارها مجالاً عاماً، وهنا نستطيع أن نطلق على هذه الدراسة على الدراسة على الحروب دراسة علمية والخروج بالقوانين الأعمّ التي حكمت هذه الظاهرة الاجتماعية. إن هذه الإمكانية هي التي دفعت كلاوزفيتز وجوميني (أنطوان هنري - جنرال فرنسي 1779 - 1869) إلى دراسة الحروب السابقة، وخاصة، حروب نابليون، دراسة منهاجيه علمية، واستنتاج أعيم قواعد الحرب وقوانينها، وتحديد علاقة هذه الظاهرة الاجتماعية بالظواهر الأخرى. وقد تتالت الدراسات العلمية للموضوع بعد ذلك، وأخذ علم الحرب يزداد تحديداً ودقة، شأنه شأن مختلف العلوم.

إن علم الحرب لا يقتصر على دراسة أساليب الحرب وأشكالها أو كل ما يستعلق بالاستراتيجية بشكل عام فحسب، ولا يقتصر على دراسة المسائل المتعلقة بخوض الأعمال القتالية المرتبطة بفن العمليات والتكتيك فحسب وإنما يشمل أيضاً

المسسائل النظرية المتعلقة بالاستراتيجية والعمليات والتكتيك، أو على الأصح، إنه يسشمل اكتسشاف القسوانين الموضوعية لهذه المسائل. وهذه القوانين لا تتصف بالقالبية، ولا تشتق وفقاً للرغبات الذاتية. ولكنها تنبع من شروط موضوعية كثيرة يقف على رأسها تطور التقنية وقوى الإنتاج، والنظام السائد والشروط الاجتماعية والسياسية في كل فترة تاريخية، إذ يكفي أن ينسزل إلى الميدان سلاح حديد نتيجة تطور أدوات الإنتاج والتقنية، أو يحدث تغيير حذري في النظام السياسي والعلاقات الاجتماعية - تغيير في القوى المسيطرة - حتى تنشأ قوانين حديدة في الحرب. وهذا بسدوره، أو على التحديد اكتشاف هذه القوانين الجديدة، هو الذي يعطي أهمية الحرب فناً ماهراً يحتاج إلى الإبداع والابتكار، أو إلى ما يسمَّى بشعلة العبقرية. لهذا الحرب فناً ماهراً يحتاج إلى الإبداع والابتكار، أو إلى ما يسمَّى بشعلة العبقرية. لهذا فسإن التأكيد على القوانين الموضوعية التي تحكم الحرب لا يلغي دور العامل الذاتي أو فن القائد والكوادر والجنود في الحرب لا يلغى تلك القوانين الموضوعية بل يؤكدها ويرتبط كها.

الثانية: دراسة منهجية (1) تطبيق تلك القواعد على الحالات المستجدة، تشديداً على بعضها أو تجاوزاً لبعضها. أو حسب التعبير العام الدارج دراسة فن التطبيق. إن استخدام كلمة منهجية هنا أو فن تستهدفان التأكيد على أن تطبيق قواعد علم الحسرب تختلف عن تطبيق قواعد – أو قوانين – العلوم في المجال الطبيعي. لأن علم الحسرب لا يسواجه ظاهرة متكررة، وإنما يواجه في كل مرة، وفي كل حالة ظاهرة متحددة ذات فرادة خاصة، لذلك فإن عمل القواعد العامة لهذا العلم تأخذ، في كل مسرة، وفي كل حالة، طابعاً شديد الخصوصية، تحكمه قوانين خاصة. ولكن هذه القسوانين الخاصة تقع ضمن إطار ومفعولية القوانين العامة غير ألها ليست القوانين العامة، ولمذا فإن التطبيق في الحرب له شروطه الخاصة به، لأنه يعالج واقعاً معطى العامة، وبالإرادة والوعي بما في ذلك

<sup>(1)</sup> في الطبعة الأولى استخدمت كلمة "ديالكتيك تطبيق تلك القواعد"، وقد تبيّن أنها غامضة وغير محمدة التعريف من قبل كثيرين ممن يستخدمونها ومن دون أن يقصدوا المعنى نفسه. ولهذا فكلمة منهجية أوسع وأشمل وأكثر انطباعاً.

الخيار بين عدة احتمالات. ومن ثم عليه أن يعالج الواقع المادي، ويعالج حركة العامل السذاتي، ويحدد العلاقة بينهما، لأن العامل الذاتي ليس مستقلاً عن الواقع الملموس، أو غير محكوم به، ولكن فعله، من خلال الواقع المعطى يتضمن مجموعة من الخيارات التي يتيحها، ويفرضها ذلك الواقع، في كل مرة، وفي كل حالة.

هذه عملية مركبة معقدة، ولكنها تحوي جانبين: الواقع الموضوعي والحكم الذاتي. وهذا الحكم الداتي على هذا الواقع الموضوعي هو الذي يسميه العسكريون حسّ المعركة، أو شعلة العبقرية أو فنّ الحرب. ولكن هذا ما يواجه كل عملية بحث علمي في محال الطبيعة أيضاً. أما الفرق الجوهري فيرجع إلى كون واقع الحرب أشدّ تعقيداً. ومن ثم يحتاج إلى مستوى من الذكاء والتجربة أعلى من تلك التي يحتاجها البحث العلمي المحتبري. لأن إصدار حكم وأخذ إجراء في المعركة لا يتيح إعادة التجربة.

ففي المجال العسسكري لا تعاد التجربة في المعركة الواحدة بعد أن يكون المحظور قد وقع وتغيرت نسب كل العناصر التي كانت معطاة. وإذا أضفنا دور العامل النفسسي والمعنوي والإنساني الذي يبدل في كثير من الأحيان قوانين علم الحرب على اعتبار أن الأداة الأساسية في القتال هي الإنسان ووعيه وعواطفه وشجاعته وحوفه ولمحات عبقريته والقضية التي يقاتل من أجلها. وهذه كلها ليست مقادير يمكن تعدادها كمياً أو ضبطها بقوالب جامدة. ومن ثم هي التي دفعت الكثيرين إلي اعتبار علم الحرب أقرب إلى الفنّ. وذلك بالرغم من أن هذه أيضاً لم تعدد بعيدة من تناول علم الاجتماع وعلم الثورة والسياسة، خاصة، بعد توفر الحسيلة النظرية العلمية المتولدة عن تجارب الحروب الثورية في الاتحاد السوفياتي والصين وفياتنام وكوريا وفلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان وغيرها.

لــذا فــإن بحال الحرب يزود بقوانين عامة، تشكل دليلاً للعمل، بينما المحال الواقعــي للحرب يولّد، باستمرار، حالات تحتاج إلى اكتشاف قوانينها الخاصة، يما في ذلك قوانين المعالجة.

ومن هنا لا بدّ من دراسة الحرب كعلم، ومعالجة التطبيق في الحرب بمنهج علمني يستند إلى الحصيلة العلمية المتوفرة، وإلى اكتشاف قوانين الحالة المعطاة، شريطة توفر المقدرة على عملية التقويم والحكم والتنفيذ، بصورة صحيحة.

وبكلمة، إن العمل في مجال الحرب شبيه بالعمل في مجال مركز أبحاث علمي، حيث لا بدّ للعالم الباحث من أن يكون متمكناً من كل الحصيلة العلمية المتوفرة في مجال بحثه، ولكنه يواجه ظاهرة جديدة ضمن ذلك المجال، وعليه أن يستخدم تلك الحصيلة العلمية مقرونة بواقع الظاهرة الجديدة، مطبقاً منهجاً علمياً في بحث مختلف جوانب الظاهرة، وفي تقويم المعلومات المتوفرة والخروج بالقانون أو القوانين التي تحكمها. ولكن عمل العلم في مسائل الحرب يختلف عن عمله في المصنع من حيث تطبيق القوانين العلمية فهاهنا لا يمكن إعادة إنتاج الظاهرة نفسها. فالتشبيه مجرد بداية لندخل في مجال الحرب الأكثر تعقيداً بعشرات المرات.

لعل أقرب تصوير للعلاقة بين العلم والفنّ في مجال الحرب قول كارل ماركس (1818 - 1883): "إن الثورة المسلّحة اليوم فنّ بالقدر نفسه الذي أصبح فيه علم الحسرب، أو أي فرع آخر، فناً قائماً بذاته" أي أنه علم من ناحية، وفنّ من ناحية أخسرى. إنه علم م في دراسته ومنهجه، وفنّ في التطبيق. لذلك لا بدّ من دراسة الحسرب باعتبارها علماً مع ضرورة امتلاك منهج صحيح في التطبيق أو في فنّ التطبيق. وإذا قبلت هذه الموضوعة فربما كانت أفضل تسمية هي فنّ علم الحرب. وذلك لرؤية الحرب باعتبارها ظاهرة متحركة لها قوانينها العامة، ولكن حركتها ليسست حركة تكرارية، ومن ثم، إن كل لحظة من لحظات تلك الحركة بحاجة إلى اكتشاف جديد وفنّ تطبيق جديد.

إن فـن الحـرب يقوم على الوحدة العضوية والعلاقة الإبداعية بين النظرية والتطبيق.

ومن هنا فإن هذه الدراسة لتستهدف تقديم موضوع الحرب باعتباره علماً بقسصد الكشف عن قوانين الاستراتيجية والعمليات والتكتيك، بصورة عامة، في الحرب، كما تستهدف كشف فن الاستراتيجية والعمليات والتكتيك، عموماً، في التطبيق.

الفصل الأول

الاستر اتيجية

## الاستراتيجية

-1-

#### مدخل

يدرس علم الحرب عادة من ثلاثة أوجه رئيسة:

- 1. الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي.
- العمليات الاستراتيجية والتخطيط للعمليات الاستراتيجية ويشمل دراسة قواعد علم الحرب.
  - التكتيك والتخطيط التكتيكي.

يقسم العسكريون السوفيات منذ زمن بعيد هذه الفروع إلى (1) الاستراتيجية (2) فين العمليات (3) التكتيك. والفرق هو فن العمليات وهنا علينا أن نلاحظ اختلاط فن العمليات منذ القديم في الاستراتيجية والتكتيك، ولم يصبح فرعاً قائماً بذاته إلا بعد تكون الفكر العسكري السوفياتي. وقد عرفه الجنرال ستروكوف: "إن أساليب وأشكال إعداد العمليات وخوضها من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية للحرب تشكل موضوع فن العمليات. ومن أهم واجبات هذا الفن ما يلي: تحديد فكرت العملية، تخطيط استخدام القوى والوسائط، انتقاء الأساليب والأشكال المربطة باستخدام وقيادة التشكيلات الكبرى (الجيوش والجبهات)، تنظيم التعاون العملاني للقوى والوسائط المختلفة المشتركة في العملية".

وهنالك من يضع هذه الفروع الثلاثة تحت عنوانين رئيسين:

(أ) التخطيط (ب) التنفيذ. ولكن ثمة فرع آخر متضمن فيها، وقد أصبح يحظي بأهمية متزايدة، حاصة، منذ عهد نابليون، وأكثر خصوصية منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن، وهو اللوجستيقا.

#### اللوجستيقا: LOGISTICS

كانت اللوحستيقا (تأمين كل ما تحتاجه الجبهة) في الماضي أيام الفراعنة والسيونان والرومان والفرس والعرب وإلى أواخر عصر الإقطاع في أوروبا أو على الأصحح حتى غوستاف أدولف، تتركز أساساً في حلّ مسألة إطعام الجنود وصيانة العصربات القليلة وإصلاح الدروع ومعالجة الجرحي وتأمين عسكرة الجنود. ولهذا كانت أكثر الجيوش القديمة تجرّ وراءها ذيلاً من المدنيين للقيام بالخدمات، ولكن الاعتماد الأساسي كان على المناطق التي يفتتحها الجيش من أحل تأمين المتطلبات الماديسة للحنود، بل كثيراً ما كانت هذه المسألة تحكم استراتيجية المعارك حيث توجه الحرب إلى المناطق التي يمكن أن تؤمن تلك المتطلبات.

أدرك غوستاف أدولف (1594 – 1632) ملك السويد، أن الحركة التكتيكية ترتكز على الانضباط الجيد، فيما يقوم الانضباط الجيد على أساس وجود إدارة كفسوءة تثق بها القوات. فأقام نظاماً دائماً للصيانة، وأمن للجيش الثياب والأحذية والخيام، وزود الضباط والجنود بمخصصات وطعام على أسس ثابتة منتظمة، أما في زمن الحرب فعمد إلى إقامة المستودعات والمحازن التي لم تكن معروفة قبله، وحسن الأسلحة والمعدات والأدوات الهندسية والخدمات الطبية. وبهذا أخذت اللوجستيقا معسى جديداً يتناول مسائل التزويد والحركة للجيوش. إن هذا التطور جاء وليداً للستطور السصناعي والتقني (التكنولوجي) الذي حمل معه إنتاج المدافع والأسلحة السنارية وتطوير العربات والطرقات والنقل، وما يتبعها من مسائل الإدارة والصيانة والتزويد.

زادت أهمية اللوجستيقا في زمن نابليون الذي جاءت جيوشه تعبيراً عن تجنيد أمـة بأسـرها تجسيداً للتطور البرجوازي بعد انتصار الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789. وقـد أدت تنظيمات نابليون لهذا الجيش الضخم، وتقسيمه إلى فرق شبه مستقلة، تضم مختلف أصناف الأسلحة ولها هيئة أركانها، كما لها عملياتها المستقلة إلى جعـل مسائل اللوجستيقا ذات أهمية خاصة، ومن ثم ضرورة حسائها سلفاً قبل تحـريك تلـك الجـيوش باتجاهـات مختلفة وعلى طرقات مختلفة. وقد أصبح من المستفروري تأمين كل ما تحتاج إليه تلك الفرق من معدات ولباس وطعام وعربات

وأدوية واسعافات، وتأمين طرقاتها واستمرار تزويدها بالذخائر والحاجات المادية الأخسرى إلى جانسب الصيانة. وبهذا أصبحت وظيفة اللوجستيقا: (1) النقل (2) السصيانة (3) دعسم الجيش والعمليات (توفير حاجات الجيش). وهذا يعني الإدارة والخدمات.

كان القرن التاسع عشر عصر التجنيد العام الإجباري ونمو كثافة النيران وزيادة ورقة الحركة. وجاءت الخطوط الحديدية لتصبح في منتصفه الثاني في خدمة نقل الجيش. وقد أدت إلى تطوير السرعة، وقوة المناورة الاستراتيجية، وزيادة أحجام الجيوش في الميدان، إذ جعلت من الممكن نقل أعداد كبيرة من الرجال إلى الميدان بسرعة وتزويدهم بالمؤن والمعدات والذخائر بالطريقة نفسها. مما أكسب اللوجستيقا أهمية حاسمة. بل أصبح هدف العمليات محاولة تعطيل نظام اللوجستيقا في الجيش المقابل، كما أصبح أي تحرك في العمليات الاستراتيجية، يتطلب المحافظة في الجيش المقابل، كما أصبح أي تحرك في العمليات الاستراتيجية، يتطلب المحافظة على الشريان اللوجستيقي على خطوط المواصلات، والذي يعني أساساً المحافظة على الشريان اللوجستيقي للجيش. ولهذا أثبت تجربة الحرب الأهلية الأميركية (1861 – 1865) أن تخريب الخطسوط الحديدية وقطع طرق التموين والتزويد، لهما أثر حاسم على مصير المعركة، وكذلك تجربة الحرب الروسية – اليابانية (1905).

كسشفت الحسرب العالمسية الأولى (1914 - 1917) عندما ركدت الجبهة، وتحسولت إلى حرب استنسزاف طويلة الأمد، أهمية المقدرة اللوحستيقية لدى الأمة والجيش في تقرير مصير الحرب في نهاية المطاف. فقد ازداد الاعتماد على المؤخرة، وهنا أصبحت مسألة النقل والتزويد المستمر للجبهة والصيانة. تلعب دوراً أساسياً حاسماً. وقد جاء هذا تأكيداً لصحة موضوعة كلاوزيفتز حول العلاقة بين الوضع الاقتصادي والمدني للأمة ومصير الحرب.

أما في الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) مع نمو سلاحي الطيران والدبابات، ثم التطورات التقنية التي عرفتها آلة الحرب بعد الحرب العالمية الثانية إلى السيوم، فقد أصبح الجانب الإداري والنقل والصيانة والتزويد المستمر أحد الجوانب فقط في مجال اللوحستيقا، إذ أصبحت اللوحستيقا تشمل تنظيم الاقتصاد القومي وتعبئة كل المصادر – الصناعة، والزراعة، والطاقة، والخدمات الطبية، والأبحاث

العلمية، والآليات، والتقانة (التكنولوجيا)، والإنتاج المدني والعسكري. وهمذا أصبحت اللوجستيقا تحتل مساحة واسعة في التخطيط الاستراتيجي - التحضير - كما تغطى ساحة واسعة في عملية التنفيذ العسكرية نفسها(1).

إن تعقد مسألة النقل - خاصة الطيران - والصيانة وتأمين أكوام المخزونات واستمرار التزويد بالبترول والمعدات والذخائر إلى جانب الحاجات المادية للمعيشة جعل من الضروري وجود هيئة أركان خاصة في الجيوش الحديثة لهذا الغرض. كما أن ازدياد الدور الذي أصبح يلعبه التحضير في تقرير مصير الحرب أوجب تشكيل لجنة قومية على أعلى مستوى في الدول الحديثة لحل مسائل اللوجستيقا وتأمينها ليس للجبهة فحسب، وإنما أيضاً، للمؤخرة، وهذا يعني أن اللوجستيقا أصبحت تغطي مجالاً يمتد من الوضع المدني حتى فوهة البندقية في خط النار، وبالعكس، وغدا جزءاً رئيسياً في الاستراتيجية العليا التي تقع بين السياسة والاستراتيجية العليا التي تقع بين السياسة والاستراتيجية العليا التي تقع بين السياسة والاستراتيجية العليا التي تقع العسكرية.

نلحظ عما تقدم أن اللوجستيقا تعالج جانباً مادياً ملموساً يخضع للتخطيط والتنفيذ العلميين مباشرة. ولذلك فإن حلّ مسائلها مرتبط بالوضع المادي والتقني (التكنولوجي) للجهات المتحاربة. الأمر الذي يجعل قوانين عمله تختلف من حرب إلى حرب وتختلف من أمة إلى أخرى. فمثلاً إن حلّ مسائل اللوجستيقا في حرب تخوضها دولة كبيرة متطورة علمياً وتكنولوجياً وإنتاجياً كالولايات المتحدة وأوروبا وألمانيا واليابان وروسيا تختلف عن الحلول التي تقدمها الشعوب الأقل تطوراً، وهي بالتالي تلعب دوراً أكثر حسماً في تقرير مصير تلك الدول في الحرب مما تلعبه لدى الشعوب النامية أو الأقل تطوراً.

ولهـــذا فهـــي تــدخل باعتبارها فرعاً ذا استقلال ذاتي ضمن الاستراتيجية والتخطــيط الاستراتيجي والتنفيذ، ومن هنا سنركز في دراستنا على الفروع الثلاثة

<sup>(1)</sup> من هنا يلحظ لماذا استخدمت كلمة LOGISTICS باللفظ المعرب: لوجستيقا، من دون تعريبها الدارج "الشؤون الإدارية" لأن معناها ومجال مهامها يتعديان الشؤون الإدارية التي بقيت جزءاً من اللوجستيقا، وإذا استخدمت عبارة "الشؤون الإدارية" ترجمة لكلمة اللوجستيقا، فيجب فهمها بمعنى شامل تتعدى المفهوم التقليدي لعبارة شؤون إدارية.

الرئيسة واعتبار اللوجستيقا مرتبطة عضوياً بمسائل الاستراتيجية، والتخطيط الاستراتيجية، والتخطيط الاستراتيجية، والتخطيط للعمليات الاستراتيجية، والتخطيط للعمليات الاستراتيجية، والتكتيك والتخطيط وكل تنفيذ.

#### الاستراتيجية عبر العصور

أصبح استخدما، وتستخدمان، في غير محلهما، فيخلط بين الهدف والاستراتيجية أو بين الستخدما، وتستخدمان، في غير محلهما، فيخلط بين الهدف والاستراتيجية أو بين الاستراتيجية ودورها من مجال لآخر. والسبعض استخدمها بمعنى الهدف البعيد غير الوارد الآن. بل إن أكثر الذين حاولوا تعريف الاستراتيجية والتكتيك قدموا تعريفات، إما ناقصة أو غير منطبقة إلا على مجال محدد.

يسرجع أصل كلمة استراتيجية إلى جذر يوناني استراتيجوس STRATEGOS ويعيني العام GENERAL. ونقل روبرت غرين (أميركي معاصر في كتابه "استراتيجيات الحرب" 2006) ترجمة لها بمعنى قائد الجيش. أي هي قيادة. أما أصل كلمة تكتيك فيرجع إلى جذر يوناني أيضاً: تاسو TASSO ويعني يعالج أو يدبر. ولكن سرعان ما أصبحت كلمة استراتيجية تحمل مضموناً أكثر شمولاً من معناها الأصلي العام، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى كلمة تكتيك.

وانتقل التعبيران إلى ميدان الحرب، وأخذا محتويات مختلفة عبر العصور تبعاً للمرحلة التاريخية والاجتماعية، ولقوانين الحرب وأشكالها بالنسبة إلى كل مرحلة. ثم أحذا يستخدمان في منتصف القرن التاسع عشر والقرن العشرين في ميادين أخرى إلى جانب استخدامهما في مجال الحرب، وخاصة في مجال السراع السياسي. ثم إذا أضفنا إلى كل ذلك تعدد أشكال الاستراتيجية ومحتوياتها، وظروف طرحها وتطبيقها في كل حالة، فسوف ندرك سبب تعدد التعريفات وكثرة الخلط الذي اكتنف، ويكتنف، استخدام عبارتي الاستراتيجية والتكتيك.

ويلاحظ روبر غرين أن الاستراتيجية عرفت واستخدمت من كل الشعوب وإن لم تستخدم كلمة استراتيجية. ذلك لألها تتعلق بكيفية التعامل مع الحرب وكيف تراحه مفاجآ قسا، وكيف تصمم الخطة الكلية، وكيف تسظم جيشك على أفضل وجه. وهذه كلها تجدها في أقوال القدماء وممارساقم.

قــبل أن نــدخل في مناقشة مختلف التعريفات ودراسة مسائل الاستراتيجية وأشــكالها يحسن أن نستعرض، بسرعة، تطور محتوى، أو مفهوم كلمة استراتيجية تاريخــيا، آخــذين بعين الاعتبار أن المحتوى أو المفهوم ينبعان من الدور الذي تلعبه الاســتراتيجية في كــل مــرحلة تاريخــية وفي كل حالة استخدام الكلمة أو عدم استخدامها.

لقد مرت الاستراتيجية بثلاث مراحل رئيسة حتى نابليون بونابرت.

المرحلة الأولى: كان الملوك والأباطرة، في عصر الإمبراطوريات والممالك القديمة، يجمعون السلطتين العسكرية والسياسية بأيديهم، وكانت الجيوش تستألف أساساً من ملاك العبيد، ومن "المواطنين". وكانت وظيفة الاستراتيجية العسكرية تتركز في حشد القوات المسلحة وتنظيمها والإعداد للحرب، وتقرير ضد من توجه الحرب، إلى جانب تحديد مكان الحملة وزماها، وكيف يقاد الجيش من أجل تأمين تفوق على العدو مقدماً. أما الأهداف الاستراتيجية العسكرية فكانت القضاء على جيش العدو أو الاستيلاء على مدنه.

أما فيما يتعلق باستراتيجية العمليات أي مرحلة الانتقال إلى ساحة المعركة فقد تركّزت أساساً على الانتقال من نقطة في المكان إلى نقطة في المكان بكل الجيش ككتلة واحدة بقصد الالتقاء في ساحة المعركة مع الجيش المقابل. و لم تخلُ هذه الحركة من مناورات بسيطة. ولكن كان الشيء الحاسم متوقفاً على عملية الاشتباك نفسها. وكثيراً ما كانت تحكم الاستراتيجية في تحديدها لاتجاه الحرب بمسألة الدخول إلى مناطق تؤمن جرايات الجيش وحاجاته، فضلاً عن خدمتها للهدف السياسي - الاقتصادي الذي هو فتح الممالك والأمصار لتصب الخيرات في .

أهـراء عاصـمة الإمبراطورية أو المملكة (1)، وجلب الخيرات، وبعضها العبيد من الشعوب المقهورة.

المسرحلة الثانسية: هـبط مستوى الاستراتيجية في العصور الوسطى - عهد الإقطاع في أوروبا - وهو عهد الفروسية والفرسان المدرعين. إذ بعد أن كانت في المسرحلة الأولى، تعالج قضايا الحشد والتعبئة على مستوى البلاد بأسرها، أصبحت الآن مقتصرة على نطاق ضيق جداً.

كان الملك أو الأمير في التجربة الأوروبية الإقطاعية عندما يقرر الحرب يشكل الجيش من الفرسان NIGHTS مقابل الأراضي التي منحهم إياها. فيعينهم على رأس تابعية الجنود، ولم تعد الاستراتيجية أكثر من تكليف كل أمير أو إقطاعي أو فيارس بحشد القوات في تابعيته، وقد غابت المناورة الاستراتيجية قبل المعركة غيابا تامياً وغدت الحرب عبارة عن تطبيق أصول محددة، وقد تبدأ بملك ضد ملك، فارس ضد فارس وهكذا. وكان الملوك والفرسان يقاتلون كالجنود. بل لقد سميت الحيرب في هذه المرحلة "المعركة بالاتفاق" وهكذا لم تتجاوز الاستراتيجية مسائل تحضير القوات المسلحة، وتحديد وسائط النقل مع تحديد هدف الحملة، واختبار أساليب وأشكال الصراع المسلح.

المسرحلة الثالثة: تمتد هذه المرحلة من القرن الرابع عشر حتى الثورة الفرنسية الكبرى، أو على الأصح حتى عصر نابليون.

لقد دخل البارود إلى أوروبا عن طريق العرب في القرن الرابع عشر. ورافق ذلك، مع نماية القرن الخامس عشر، حدوث تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية هامة، أو بعبارة أخرى بدأت الطبقة البرجوازية بالنمو والظهور على المسرح حاملة معها التطور الصناعي والتقني والعلمي مقروناً بتباشير عصر النهضة الأوروبية. وقد أدى ذلك إلى تطور المدفعية - كان الأتراك في القرن السادس عشر قد طوروا

<sup>(1)</sup> في النسخة الأصلية استخدم "عصر العبودية" فاستبدل مكانه "عصر الإمبراطوريات والممالك القديمة"، لأن الإمبراطوريات والممالك أشمل. وعصر العبودية في تعريفه محصور في التجربة الأوروبية على الخصوص وربما بعض البلدان الأخرى. وكذلك وللسبب نفسه، استخدمت عاصمة الإمبراطورية أو المملكة بدلاً من عاصمة دولة الأسياد.

مدفعية الحصار – وادخلوا إصلاحات في تنظيم الجيوش وأساليب الحرب. ومع ذلك لم يحصل تقدم في الفكر الاستراتيجي بما يتناسب مع التطورات الجديدة، لأن الحروب بقيت تقاد بالملوك والأمراء والقيادات والإنكشارية. وكان القتال مقصوراً على الجيوش المحترفة أما مجتمعاتها فظلت عموماً بعيدة من المشاركة الفعلية.

كان نيكولو مكيا فيلي (إيطالي 1469 - 1527) أول من عكس التقدم الذي حدث في أحشاء المجتمع الإقطاعي، وجاءت أفكاره حول الحرب تعبيراً عن التطور السبر جوازي المبكر السدي ما زال في مراحله الجنينية، وجاءت فاتحة للتفكير الاستراتيجي المعاصر فيما يتعلق بمسائل الحرب الحديثة. وقد ألف كتاباً أسماه "فن الحرب" انطلق فيه من مفهوم خاطئ في النظر إلى الحرب إذ اعتبرها ضرورة وشيئاً طبيعياً أبدياً لأنما تعبر عن تنازع البقاء بين الأحياء. ولكن المهم في الكتاب أنه نسرع الحرب من المفاهيم الأخلاقية والدينية والإقطاعية، وفسرها بأسباب اقتصادية وسياسية وقومية ودستورية. وطرح مفهوماً يقضي بجعل الدولة كلها تنخرط في الحرب وضرورة استمرار الحرب حتى الحصول على نتيجة في مصلحة الأمسة كلها. ولسيس لإرضاء رأس الدولة، وحاول اشتقاق القواعد الأساسية وهدف الحرب. وأقام رابطة أيضاً بين السلطة السياسية والسلطة العسكرية، وقال يجب أن تسشن الحرب من قبل كل الأمة، وبالمقابل يجب أن يكون هدف النصر لأجل مصلحة الأمة كلها".

وبكلمة، أصبح مفهوم الاستراتيجية يعني الحرب الكلية، من قبل الأمة أجمع. ومن ثم ضرورة تعبئة الأمة وتنظيم مصادرها من أجل خوض حرب تستهدف خدمة مصالح الأمة ككل. وكانت هذه الموضوعة أول محاولة لإعطاء الاستراتيجية مفهوماً شاملاً، ولكنها بقيت شيئاً نظرياً ولم تتحول إلى واقع لألها تعبر عن نظرة البرجوازية للحرب بينما كانت أوروبا لم تزل تحت سيطرة الاقطاعية.

<sup>(1)</sup> لـم يحظ كتاب "فن الحرب" لميكافيلي ما حظي عليه كتابه "الأمير" من شهرة، علماً أنه أهم منه، أو ربما لا يقل عنه أهمية.

كان الملك غوستاف أدولف (سويدي 1594 – 1632) قد شكّل القمة الثانية بعد مكيا فيلي، في التعبير عن النطور الصناعي الجديد الذي أصبح يفرض إعلان الطلاق مع التقاليد الإقطاعية في الحرب، فحاول إحياء الفنّ العسكري وتخليصه من الفوضي. ولكن ظلست إصلاحاته في حدود تطوير التكتيك أكثر من إنقاذ الاستراتيجية المتدهورة. فأعاد تنظيم كل سلاح تنظيماً كاملاً ثم جعل تكتيك كل الأسلحة يقسوم على شكل جماعي أساسه النيران والحركة. وكان أول من أنشأ الجيش النظامي مكان الجيوش المرتزقة الأوروبية الإقطاعية، وأخضعه لتدريب منتظم دقيق وطور أسلحة الجيش، ولا سيما مدفعية الميدان الخفيفة، كما أعاد الاعتبار إلى دور المشاة باعتبارها القوة الحاسمة. ثم أخذت باقي جيوش أوروبا تقتفي خطواته.

أدّت هـذه الإصـلاحات في تكوين الجيوش النظامية إلى زيادة أهمية المشاة ونسبتها في كامل هيئة الجيش. حقاً إن تأثير هذه الإصلاحات تناول مسائل تكتيك الحرب إلا أن من الممكن اعتبارها تطويراً للاستراتيحية أيضاً من زاوية تنظيم الجيش ككل، ونظرية تعاون مختلف الأسلحة - النيران والحركة - وهي قضايا من صلب مـسائل الاستراتيحية في توجيه التكتيك كما سنرى فيما بعد. هذا فضلاً عن ألها مهـدت لتكوين حيوش غالبيتها من المشاة مما أدى إلى الاهتمام بالموقع الطوبغرافي، وضرورة احتلال المواقع الاستراتيحية باعتبارها شيئاً حاسماً في المعركة، وأصبح هذا جوهـر العمليات الاستراتيحية تحضيراً للاشتباك. وقد بلغت هذه النظرية - توزيع القـوات لـتلائم الأرض واحـتلال المواقع الاستراتيحية - أوجها على يد حون مارلـورو MARLBOROUGH (إنكليـزي 1650 - 1722). وهـنا يجب أن مارلـبورو تطويراً آخر كان هنري تورين TURENNE (قائد فغير يضاف إلى تطويـر مارلبورو تطويراً آخر كان هنري تورين TURENNE (قائد فغير فرنسي الماء المتوازية بتشكيلات أقل جموداً، وهو ما أتاح له إحداث تطور في فن نظام الحظوط المتوازية بتشكيلات أقل جموداً، وهو ما أتاح له إحداث تطور في فن المناورة في أثناء الزحف.

على أن القمة الثالثة بعد مكيافيلي وغوستاف أدولف يقف عليها فريدريك الكبير البروسي (1712 - 1786) السذي نظم مشاة الجيش على ثلاثة خطوط LINES لتتخذ شكل مربع أجوف أضلاعه الثلاثة متساوية الطول تقريباً، وتتحرك

جميعها مثل كتلة واحدة وفقاً لنظام التحرك العسكري في المعركة. الأمر الذي أتاح عمقاً بالنسسبة إلى الخطوط المتوازية وأتاح للجناحين بعض الحركة سواء أكان بالستقدم إلى أمام قليلا، أم التراجع إلى الوراء قليلاً. ولكن هذا التشكيل ظلّ ثقيل الحركة، وليس له من قيمة إلاّ على الأرض المنبسطة.

نلحظ مما تقدم أن الفكر الاستراتيجي في أوروبا، والذي بدأ مكيا فيلي في طرحه لم يصب تقدماً خلال المائتي سنة التالية إلا في مجال تنظيم الجيش وتكوين نظريات تكتيكية حديدة على يد كل من غوستاف أدولف ومارلبورو وتورين وفريدريك الكبير. ولكن هذه الخطوات كانت الجنين للقفزة الكبرى التي سيحدثها نابليون في مجالي الاستراتيجية والتكتيك، حنباً إلى حنب مع تطور قوى الإنتاج واندلاع الثورة الفرنسية وسقوط الإقطاع في فرنسا.

لعلى مارشال دي ساكس MARSHAL DE SAXE (مارشال فرنسي العلى مارشال دي ساكس MARSHAL DE SAXE (مارشال فرنسي المحلة: "أنا لست من أنصار المعركة، وأنا مقتنع بأن الجنرال القدير يستطيع أن يشنّ حرباً لمدى الحياة من دون أن يُحبر على القتال. ولكن يجب أن يكون هنالك عدد من الاشتباكات المحلسية لإنهاك العدو تدريجاً، وأحذه قطعة قطعة. إن هذا هو الأسلوب الأمثل لتركيع العدو وتحقيق هدفنا. لا أريد القول إن المرء يجب ألا يهاجم إذا سنحت فرصة لسحق العدو، ولكنني أريد القول إن من الممكن شنّ حرب من دون اتخاذ المخاطرة التي تتضمنها المعركة. وإذا ما استطاع الجنرال أن يفعل ذلك وصل قمة الكمال والمقدرة".

يجب أن يذكر بهذه المناسبة بأن سون تسو (الصيني) كتب في مؤلفه "فن الحرب" في القرن السادس قبل الميلاد: "تتلخص الاستراتيجية في إيصال العدو إلى الهرزيمة بالا معركة أو بأقل الخسائر. وذلك من خلال المناورات والحرب النفسية والتخريب داخل صفوفه".

كانست مسألة تحنب المعارك إحدى سمات الاستراتيجية الأوروبية في هذه المرحلة، وذلك بسبب عظم التكاليف التي يقتضيها تكوين الجيش في ظلّ عصر الملسوك الذي ما زال في براثن العلاقات الإقطاعية، ولكن ضمن تطور صناعي

تقوده البرجوازية الناشئة. وبكلمة، كانت استراتيجية حرب مواقع وتحصينات ودفاع بينما كانت الأوضاع تتمخض عن ولادة استراتيجية جديدة عبر عنها نابليون حيث أصبحت الحرب على يده حرب حركة ومناورات استراتيجية. وحل مفهوم فرض قرار استراتيجي - نصر في معركة فاصلة - مكان مفهوم كسب الأرض.

## الاستراتيجية في عصر نابليون

إذا كانت استراتيجية العصر السابق، بالسرغم من التقدم التقيي المتكنولوجي)، وعلى الرغم من المفاهيم الاستراتيجية الجديدة التي طرحها ميكيافيلي، وإصلاحات غوستاف أدولف، والمناورات التكتيكية البارعة لفريدريك الكبير، تعمل ضمن حدود دفاعية وجيوش صغيرة نسبيا، وتجنب المعارك الكبيرة، وعدم السعي إلى فرضها، وذلك بسبب السلطات الملكية المحافظة التي راحت تئن تحت وطأة المصاريف التي أخذ يتطلبها التطور الجديد. هما جعلها تفضل التهديد، والمناورات التكتيكية، والقتال الدفاعي عموماً. وهنا جاءت الثورة الفرنسية الكبرى لتطلق عنان القوى الاحتماعية الجديدة، وتجعل الستطور التقني يعمل بأقصى طاقته مؤذنة بتحطيم معاقل الملكية والإقطاعية في أوروبا.

كانت حرب الاستقلال الأميركية (1776 – 1783)قد افتتحت عهداً جديداً في استراتيجية الحرب وتكتيكها وذلك بإلغاء نظام تشكيلة الخطوط LINES ثقيلة الحركة، فراح الثوار يقاتلون بزمر موزعة، وقوات سريعة الحركة من القناصة تحت غطاء الغابات وصخور الجبال، فلم يُتَح لتشكيلة الخطوط الإنكليزية فرصة ملاقاةم على أرض منبسطة مكشوفة. مما جعل تشكيلة الخطوط ملغاة، تحت مثل هذه الظروف، ونسزلت بما الهزائم. وبهذا أعيد اكتشاف فن المناوشة، وهو أسلوب جديد في الحرب، كما يقول فريدريك إنجلز (بروسي 1820 – 1895) جاء نتيجة لستغير المادة الإنسسانية في الحرب، أي إحلال المقاتلين الذين يقاتلون في سبيل مصالحهم مكان الجنود المرتزقة.

"أكملست السثورة الفرنسية، في المجال العسكري أيضاً، ما قد بدأته الثورة الأميركية، فقد كان عليها مثل الثورة الأميركية أن تواجه جيوشاً مرتزقة حسنة الستدريب تابعة للتحالف، وكان جنود الثورة الفرنسية عبارة عن جماهير عريضة قليلة التدريب تمثل تجنيد أمة بأسرها، ولكن كان على هذه الجماهير أن تدافع عن باريس، أي كان عليها أن تحمي منطقة محددة. ولهذا السبب كان تحقيق الانتصار في معركة مكشوفة وعلى نطاق جماهيري ضخم أمراً بدهياً. إذ لم يعد أسلوب المناوشات الصرف كافياً، ولهذا كان لا بد من اكتشاف شكل جديد يستخدم من قربل كتل كبيرة من الجنود، وقد وحد هذا الشكل التعبير عن نفسه بتشكيلة الرتل قربل كتل كبيرة من الجنود، وقد وحد هذا الشكل التعبير عن نفسه بتشكيلة الرتل النظام والتحرك بسرعة" (فريدريك إنجلز).

وإذا أضفنا إلى تحليل إنجلز أعلاه مسألة زيادة كثافة النيران لوحدة صغيرة، وانطلاق القوى الاجتماعية المنتصرة للإفادة من التقنية والتطور مصحوباً بحماسة تسورية عالسية، فضلاً عن تراث المرحلة السابقة، فسوف نجد الأرضية التي جعلت بالإمكان دخول الاستراتيجية مرحلة جديدة أرقى، بصورة نوعية، من أية مرحلة سابقة. وذلك بإعطاء الحرب صفة متحركة، وذات مناورات استراتيجية حاسمة، ومستابعة الحرب حتى نهايتها لتحقيق نصر استراتيجي. كل ذلك ضمن استراتيجية سياسية - عسكرية كلية.

جاء نابليون ضمن هذه الظروف الجديدة ليعبر عسكرياً عن كل سمات التطور الجديد:

- 1. استراتيجية التجنيد العام وتعبئة الأمة كلها للحرب، وهنا بدأت الاستراتيجية تلعب دوراً حاسماً قبل الدخول في الحرب.
- زاد تطــور الطــرق والمواصــلات من قوة المناورة الاستراتيجية، وولد اســتراتيجية العملــيات أو "التكتيك الكبير"، وولد مفاهيم حديدة مثل "خطوط العمليات" و"الخطوط الداخلية" و"الخطوط الخارجية".

كانت أولى الخطوات التي حسد فيها نابليون ملامح العصر الجديد، أنه قسم حيوشــه الضخمة إلى فرق شبه مستقلة، تشكيلتها الرتل COLUMN. وجعل كل

فرقة تتألف من مختلف صنوف الأسلحة، وتحت قيادة هيئة أركان مستقلة قادرة على القريان على القريام بعمليات منفردة ودخول معارك لوحدها. وقد فتحت هذه العملية إمكانات استراتيجية وتكتيكية كبيرة.

إن تقسيم الجيش إلى فرق بتشكيلات الرتل COLUMN أعطى نابليون فرصة للقسيام بمناورات استراتيجية مقرونة بالمرونة والسرعة، بينما بقيت جيوش خصومه تتحسرك بسنظام الخطسوط LINES ككتلة واحدة، أي كانت تفتقر إلى السرعة والمرونة وإمكانات المناورة الاستراتيجية.

استخدم نابليون في معاركه مرحلتين تبدأ أولهما بمناورة استراتيجية قبل المعركة أو الاشتباك وكان يسميها التكتيك الكبير GRAND TACTICS أو "العمليات والمناورات الواسعة" بينما تتبعها المرحلة الثانية وهي المعركة نفسها.

كان نابليون في تكتيكه الكبير - المناورة الاستراتيجية - يحرك جيوشه من نقاط مخستلفة بعد سلسلة من العمليات في النقطة التي حددها للمعركة الفاصلة. وكانت هدف المسناورات تأخذ إما شكل تطويق للعدو بالتفاف حول أجنحته ومؤخرته، بحركة فائقة السرعة، كما حدث في أو لم ULM (ألمانيا 1805). وإما قطع خطوط مواصلاته كما حدث في حينا JENA (ألمانيا 1806). وأحيراً عندما يسصبح العدو في وضع غير ملائم تماماً، تدخل مرحلة التدمير بتشكيلات هجومية. وهسنا لا بد من ملاحظة شدة الشبه بين تقسيمات نابليون للجيش وعملياته الاستراتيجية، وبين تقسيمات العرب المسلمين لجيوشهم وعملياتهم الاستراتيجية. ولكن الدي حدث أن تطويرات العرب للفن العسكري، خاصة من ناحية، العملسيات الاستراتيجية، في أوروبا. وبقيت شيئاً منفصلاً لوحده (١) وقد تمًا

<sup>(1)</sup> جاء العرب في عهد الإسلام ليقفزوا بفن الحرب قفزة علت على أية قمة سبقتها، وبقيت أرقى من لية قمة بعدها حتى جاء نابليون، ولن يكون من الصعب رؤية شدة الشبه بين فن نابليون العسكري والفن العسكري العربي – طبعاً فن نابليون في محتوى جديد وهو وجود الأسلحة النارية.

قسم العرب المسلمون جيوشهم، بتوجيه الخليفتين الراشدين الأول والثاني وبمشاورة الصحابة رضي الله عنهم، إلى فرق، وكل فرقة مؤلفة من مختلف الأسلحة، وذات اكتفاء ذاتي. وتقوم بخط عمليات استراتيجية تحت قيادة مستقلة، وبين مختلف الفرق اتصال دائم بحيث تضم لبعيضيها السبعض عند النقاط الحاسمة. وتصبح كلها تحت قيادة موحدة. كما حدث مثلاً في معركتي اليرموك وأجنادين أو معركة القادسية.

تجاهلها في كل تأريخ لتطور الاستراتيجية والتكتيك في علم الحرب.

حساءت استراتيجية العمليات هذه فراقاً مع استراتيجية العمليات في المرحلة السابقة. إذ كانت العمليات والمعركة شيئين مختلفين. وذلك لأن المعدات العسكرية والأسلحة كانست لا تسمح لوحدات صغيرة أن تقاوم أمداً طويلاً، أي إذا كان عليك التحرك فيجب أن يكون جيشك كتلة واحدة متراصة. ولما كان الجيش المقاتل، في الماضي، صغيراً نسبياً فحركته كانت عبارة عن انتقال من نقطة في المكسان إلى نقطة المعركة لمواجهة العدو. ولم يكن من الممكن استخدام الجيش إلا بعسد أن يأخذ تشكيلة القتال، لذلك كان من الممكن لأحد الطرفين المتحاربين، أو كلاهما، أن يرفض القتال عن طريق الانسحاب من نقطة التماس مع العدو. ولهذا كانت الوسيلة الوحيدة لإجبار العدو على دخول المعركة في ظروف غير مؤاتية هي غزو بلاده.

وهــنا أخذ الدفاع شكل نقاط قوية على الطرق التي يمكن أن يمرّ بما الجيش. وهــذا اضطر المهاجم أن يلجأ إلى حصار المدن الهامة والتهديد باحتلالها من أجل

لقد طبق العرب المسلمون استراتيجية الحرب المتحركة مستخدمين الصحراء كقاعدة آمنة، فسي بادئ الأمر، ومن أطرافها راحوا يشنون عمليات مناوشة. ثم انتقلوا إلى الحرب المتحركة، بكل ما تحمل الكلمة من معنى عندما دخلوا بر الشام، وهي حرب اعتمدت على سرعة الحركة والمناورة الاستراتيجية وعلى تكتيك المناوشات والحركة التكتيكية ذات الزخم فسي الهجوم والدفاع - الكر والفر على مستوى جيوش - كما استخدموا طوبغرافية الأرض جيدا، وقد جمعوا بين توزيع الفرق للعمليات الاستراتيجية - خصوصاً الالتفاف على الأجنحة ومحاصرة العدو وقطع طرق مواصلاته وتشتيت تركيزه من جهة وبين التركيز اللازم للمعارك الحاسمة من جهة أخرى.

في الواقع إن هذا الشكل من العمليات الاستراتيجية والحركة التكتيكية في الحرب والمعركة للسم يعرف، على هذا الشكل والمستوى، من قبلهم أو من بعدهم حتى نابليون الذي لم تختلف عملياته ومناوشاته في المعركة، في جوهرها، عما طبقه العرب، خاصة، تحت قيادة خالد بن الولسيد. وكان هذا التطوير أحد العوامل الحاسمة التي جعلت العرب المسلمين يحطمون الجيوش البيزنطية والساسانية التي كانت أرقى سلاحاً، ومتفوقة في مجال التنظيم والإدارة واللوجستيقا، وقد عوض العرب عن كل ذلك باستراتيجية وتكتيك الحرب المتحركة من ناحية، وبالتقشف ومستوى الشجاعة والروح الإيمانية لدى المقاتل إلى جانب المستوى المسرتفع جداً للمراتب القيادية الصغيرة والمتوسطة وارتفاع مستوى المبادرة على النطاقين الجماعي والفردي من ناحية ثانية. (راجع الدراسة المرفقة حول الموضوع في الفصل الخامس).

إجبار العدو المدافع على دخول المعركة. وكانت النتيجة، لا سيما في القرن السابع عشر، حملات طويلة غير حاسمة ومحددة بالحصار.

إن تطور البندقية، ومدفع الميدان، إلى جانب التجنيد العام الذي أتاح تحسيد قوات كثيفة، جعل من الممكن لنابليون تقسيم الجيش إلى فرق لتسهيل حركته ومناورته، والجمع بين نظام التشكيلات الموزعة للعمليات الاستراتيجية وبين التركيز المطلوب للمعركة. وأدى توزيع نابليون لقواته وتوسيع الفرق الاستراتيجية إلى جعل أعدائه في حيرة من أمرهم غير قادرين على تحديد أين سيكون تركيز نابليون، وهذا أعماهم وشلهم. وبهذا أصبح بمقدور نابليون أن يكسب حرية الحركة والمفاجأة والمبادرة بحيث يقرر نقطة المعركة كما يريد، ويسضع عدوه في ظرف غير مؤات من دون أن يترك له حرية الخيار في قبول المعركة، أو عدم قبولها. ولقد أصبح يفرض عليه معركة فاصلة. وهنا كانت العمليات – الحركة الاستراتيجية – هي العامل الحاسم في تقرير مصير المعركة، العمليات – الحركة الاستراتيجي في المعركة بمضي إلى نهايته القصوى بحيث أصبح الهدف من المعركة ليس هزيمة العدو فحسب وإنما أيضاً، إحراز نصر استراتيجي ينهي أمره دون أن تُتاح له فرصة إعادة تجميع قواه والقتال من جديد.

قام جوهر العمليات الاستراتيجية لدى نابليون على سلسلة من الحركات المحسوبة:

- 1. الـــتوزيع المركـــز نـــسبياً، والتحرك من عدة خطوط باتجاه نقطة المعركة الحاسمة.
- جعل اللوجستيقا محسوبة سلفاً مما أدى إلى إمكان القيام بتلك المناورات الاستراتيجية.
  - 3. التركيز الشديد في المعركة الفاصلة.
- مفاجاً العدو ومحاصرته، أو الالتفاف حوله، أو قطع خطوط مواصلاته وإمداده.
  - ضبط مختلف الحركات الاستراتيجية ضمن خطة متماسكة متناغمة.

لقد أتاح هذا كله لنابليون أن يجعل قواته سريعة مرنة، تستطيع فرض المعركة على العدو حسب اختيارها، أو الانسحاب بسرعة. وهذا أصبحت استراتيجية العمليات تشمل ساحة حرب واسعة، وذات طبيعة متحركة لم يسبق لها مثيل إلا في حروب الفتوحات الإسلامية.

انكب اثنان من كبار المنظرين العسكريين وهما كلاوزيفتز وجوميني، على دراسة حروب نابليون، واستخلصا من استراتيجيته، واستراتيجية عملياته، ومن تكتيكه، أعم القواعد الأساسية لعلم الحرب، وقد أصبحت تحليلاتهما ونظرياتهما الأساس الذي قام عليه علم الحرب الحديث طوال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، بل إن كثيراً من نظرياتهما ما زالت تحمل قيمة معاصرة حيى في ظروف العصر النووي والصواريخ عابرة القارات. وقد أخطأ كل من تجاهلها بعد انتهاء الحرب الباردة تحت تأثير موضوعة "الثورة في الشؤون العسكرية" (M.R.A.). وهو ما ستأتى مناقشته لاحقاً.

انصب اهمتمام حومسيني (1779 – 1869)، أساساً، على النواحي الفنية السحرف في دراسته لاستراتيجية نابليون، والقضايا العملية في الحرب، وعلى المتحديد، في مجال المناورة الاستراتيجية. لذلك فقد اهتم العسكريون في القرن التاسع عشر بدراساته اهتماماً بالغاً. أما كلاوزيفتز (1780 – 1831) فقد تناول موضوع الاستراتيجية الكلية ومسائل الحرب بروح فلسفية عميقة متأثراً بفلسفة عمانويل كانط وديالكتيك ويلهام فردريك هيجل (ألمانيان 1724 – 1804 و1770 – 1831 و1770 – 1831 بالاستراتيجية العسكرية بألها نظرية استخدام المعارك الاستراتيجية العسكرية بألها نظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف السياسي. ومن هنا اعتبر الحرب استمراراً للسياسة بوسائل عنيفة. ولكسن الأهم من ذلك رؤيته للعلاقة بين الحرب وكل من الاقتصاد والوضع المدني في الأمسة، وتسناول موضوعات مثل "طبيعة الحرب" و"الاستراتيجية والتكتيك"، والمحوم والدفاع وتنظيم القوات وخطة الحرب، وركز على أهمية العامل المعنوي.

على الرغم من أن كلاوزيفتز تناول الموضوع بصورة أشدّ عمقاً من جوميني إلاّ أن جوهــر نظــرياته ظــلّ بعيداً من فهم العسكريين الذين أخذوا منه المسائل

المستعلقة بالحسرب المباشرة، مثل التحنيد العام وتحويل الوضع المدني إلى عسكري، ولكن دون أن يروا العلاقة الوثيقة التي أقامها بين الوضع المدني والاقتصاد والسياسة في الأمسة من جهة وبين الحرب من جهة أخرى. فمثلاً اعتمد العسكريون الألمان علمى نظريات كلاوزيفتز، ابتداء من هيلموت مولتكي (1800 - 1891) ومروراً بقادة الحرب العالمية الأولى وانتهاء بأدولف هتلر (1889 - 1945) وهيئة أركانه في الحرب العالمية الثانية.

إلا أهم تكشفوا عن جهل لجوهر نظرياته فيما يتعلق بأهمية الوضع الاقتصادي والمدني للأمة التي تخوض الحرب على مصير الحرب نفسها. فقد أخذوا منه مسألة الاستراتيجية الكلية وبناء آلة حرب شاملة، وعسكرة البلاد، والاقتصاد، والتجنيد العام، والمناورة خلف خطوط العدو والعمل على أساس أخذ قرار حاسم في المعركة عسن طريق إنزال الهزيمة بالقوات الرئيسية المقابلة. ولهذا خاضوا عدة حروب على أساس تقديرات عسكرية صرف، واستراتيجية عسكرية صرف، دون أن يروا الإمكانات الاقتصادية للتطور التقني وأهمية الوضع المدني والسياسي والتحالفات السياسية لدى خصومهم. وكان ذلك حاسماً في خسارة الحرب العالمية الثانية.

أما ما هو أغرب من ذلك فتقويم فريدريك إنجلز لكل من جوميني وكلاوزيفتز، في رسالته إلى ويدماير WEYDEMEYER في نيسان/أبريل 1853 حيث يقول: "إن حملات نابليون بسيطة إلى حدّ يصعب معه أن يضل المرء في فهمها. في الواقع إن كل ما ذكر حولها يجعل جوميني أفضل مؤرخ حقاً لتلك الحملات، بينما كلاوزيفتز هذا العبقري الفطري لا يروق لي تماماً بالرغم من المقطوعات الكثيرة الرائعة التي كتبها". وقد نتج عن اهتمام إنجلز بجوميني أكثر من اهستمامه بكلاوزيفتز أن أخطأ في تقويم الحرب الأهلية الأميركية حيث لم ير إمكانات الشمال الاقتصادية إلى جانب وضعه المدني (كلاوزيفتز)، وحصر تقويمه بالجوانب العسكرية الصرف (جوميني)، في حين فعل ماركس العكس وجاء تقديره أصح فيما يتعلق بنتائج تلك الحرب.

لم يحسصر كلاوزيفتز تقويمه للحرب على القوات العسكرية المتوفرة فحسب، وإنمسا اهستم أيضاً برؤية إمكانات كل دولة على التعبئة والتنظيم والإنتاج وإمداد

الحسرب قبل اندلاعها وفي أثنائها. ولهذا كان يصعب على العسكريين الذين يرون الحرب من جوانبها العسكرية الصرف أن يدركوا جوهر نظريات كلاوزيفتز، ومن ثم مالوا أكثر إلى جوميني.

انشغل جوميني في تنظيم المبادئ الأساسية لاستراتيجية العمليات:

- 1. "حلب غالبية الجيش، بإجراءات استراتيجية تباعاً، لأخذ أدوارها في المناطق الحاسمة في مسرح الحرب، وبقدر الإمكان على طرق مواصلات العدو، ولكن دون تعريض طرق مواصلاتك للخطر".
- 2. ("الستفوق في المعركة" عن طريق مناورات تكتيكية، أي وضع قواتك الرئيسة في المنطقة الحاسمة من أرض المعركة، أو ضد ذلك الجزء من قوات العدو الذي يؤدي التغلب عليه إلى تغيير توازن القوى في مصلحتك).
- 3. "بالإضافة إلى جلب هذه الكتل لتأخذ المواقع الحاسمة في المعركة، يجب تنظيم سير الأمور بشكل يجعل هذه الكتل من الرجال تعمل، بسرعة، وجماعياً، بشكل يجعل الكل عبارة عن جهد موحد في وقت واحد".

أعطى جومسيني هذه المسبادئ العامة أسماء: "خطّ العمليات". "الخطوط الداخلية"، "المسبادرة الاستراتيجية". وعرف خطّ العمليات بأنه ذلك الجزء من مسنطقة الحملة التي يختارها الجنرال لمناورته، سواء أكانت طريقاً واحداً، أم عدة طسرق من طرق المواصلات. ويضرب مثالاً على أخذ خطّين مزدوجين للعمليات حيث يمكن للجيش تجنب الخطر الكامن في فصله إلى جيشين عن طريق إيجاد قيادة مسوحدة للخطّين، وجمعهما بسرعة قبل الدخول في أية معركة حاسمة. وقد حبذ اتسباع الخطّين في المناورة الاستراتيجية شريطة أن تؤمن "الخطوط الداخلية"، أو عندما يتوفر تفوق عددي كبير على قوات العدو.

ولهذا يشدِّد جوميني على أهمية "الخطوط الداخلية". ولكن هذه المناورة تغدو عديمــة الجدوى إذا استطاع العدو أن يقدر نقطة الضرب. لذلك فهو يضع الأهمية الكبرى على مسألة كسب المبادرة الاستراتيجية التي يعرّفها بأنها جمع بين المعلومات (معــرفة نقــاط ضعف العدو، بينما تخفي نقاط ضعفك) وبين التركيز (من خلال الاستخدام الصحيح لخطوط العمليات) والملاحقة حتى النهاية بعد معركة ظافرة.

# الاستراتيجية في القرن التاسع عشر

كان القرن التاسع عشر عصر الدول القومية في أوروبا مصحوباً بنهوض صاعي وتقين وعلمي شمل كل المجالات، فقد ترسّخت سلطة البرجوازية، وتطورت صناعة الأسلحة كما تطورت الأسلحة نفسها خاصة المدافع – مدافع الميدان – والبندقية السريعة التي تعبأ من المخزن، إلى جانب تطور الطرقات ووسائط النقل، خصوصاً، القطارات.

وإذا تسرجمنا هذا إلى اللغة العسكرية فسيتحول إلى تجنيد عام في كل الدول السصناعية مع زيادة كثافة النيران وتطور الحركة وتضخم حجم القوات. وهذا بدوره حوّل تشكيلات المناورة النابليونية - شبكة واسعة من الأرتال - إلى جبهة متماسكة سواء أوزعت للحركة الاستراتيجية أم للمعركة، إذ أصبح الجنود متراصين لتشكيل كتلة قتالية متأهبة دائماً، وهذا بدوره زاد إمكانات الدفاع لجبهة واسعة مستمرة، ولم تعد عملية الاختراق أسرع من عملية جلب الاحتياط الدفاعي. مما أدى إلى جعل استراتيجية نابليون بالية بالرغم من أن الجنرالات ظلوا أسرى استراتيجية العمليات النابليونية، ولم يستطيعوا أن يروا مغزى التطورات الجديدة، والتكافؤ النسبي بين مختلف الدول الصناعية الكبرى الأوروبية. وبالتالي لم يستطيعوا أن يجددوا مما يتفق والوضع الجديد.

إن الـــتطور الاستراتيجي الذي حدث في هذا القرن يتركز في مسألة التجنيد العـــام مصحوباً بإنتاج ضخم للأسلحة ضمن مخطط لعسكرة البلاد. أما العمليات الاستراتيجية فقد ظلّت ضمن النابليونية. وأدت إلى نجاحات في حالات محددة مثل حرب سكليزويغ - هولشتاين 1864، والحرب البروسية - النمساوية 1866.

أما الحروب التي تمثل المرحلة التي تلت العصر النابليوني فهي الحرب الفرنسية البروسية (1861 - 1871)، والحسرب الأهلية الأميركية (1861 - 1865)، والحسرب الروسية – اليابانية (1904 - 1905) حيث حدث توازن بين الحركة وحجم القسوات وكثافة النيران. الأمر الذي أدى إلى ركود الجبهة أمام الخنادق والتحصينات وتفوق الدفاع وسرعة انتقال الاحتياط الدفاعي، بما يوازي سرعة المهاجمين. وهنا لم تعد العمليات الاستراتيجية تلعب الدور الذي كانت تلعبه في

العهد النابليوني. وقد ضعفت أهمية الضربة المركزة على إحدى نقاط جبهة العدو. وأصبح التركيز على عمليات الالتفاف والهجوم على عدة اتجاهات إلى حدّ سميت معه باستراتيجية الخطوط الخارجية التي تستهدف ضرب طوق على العدو.

إلى هـنا، سـنترك، عند هذا الحدّ متابعة التطورات التي حدثت مع الحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية لنناقشها جنباً إلى جنب مع تطور التكتيك أما استراتيجية العصر النووي فسنبحثها تحت فصل خاص بها.

أما الآن فلنلاحظ ما يلي:

أولاً: إن اللمحــة التاريخــية أعلاه تعطي صورة للأسباب التي جعلت كلمة الاســـتراتيجية تأخذ محتويات مختلفة من مرحلة تاريخية لأخرى، بل في قلب المرحلة التاريخية الواحدة.

ثانياً: إن الحرب المطلقة، أو الحرب الكلية، جاءت نتاج تطور القوى الإنتاجية والتغييرات السياسية (الثورات). وهمذا نقل مركز الثقل في الاستراتيجية إلى الجبهة المدنية، لتحقيق التعبئة الشاملة والكاملة، لكل المصادر المادية، والبشرية، والروحية للبلاد.

ثالبة! ارتبطت استراتيجية العمليات بمسألة حجم القوات والحركة وكثافة السنيران وساحة الحرب و دان مركز الثقل يتنقل من الواحدة للأخرى، وأحياناً وحسود نوع من التوازن المتغير، ولكن كان لكل منها دوره بدرجات متفاوتة من حيث الأهمية حسب مرحلة التطور التقني والمكان والوضع المدني.

- 2 -

## الاستراتيجية وتعريفها

ثمة تعريفات كثيرة للاستراتيجية لا بدّ من استعراض أغلبها وتحليلها من أجل الخروج بالجواب عن السؤال ما هي الاستراتيجية. ولنبدأ بالاستراتيجية العسكرية.

تعريف كلاوزيفتز: "التكتيك هو استخدام القوات العسكرية في المعركة. أما الاستراتيجية فهي نظرية استخدام هذه المعارك لتحقيق هدف الحرب".

يحصر كلاو زيفتز التكتيك بمسألة استخدام القوات العسكرية في المعركة. بينما يجعل مهمة الاستراتيجية هي تحفيق الهدف السياسي للحرب من خلال استخدام المعارك. ومن هنا نخرج بالنقطة الرئيسة وهي التفريق بين الهدف السياسي والاستراتيجية حيث يقف الهدف السياسي في المقدمة، وتأتى الاستراتيجية لتقوم بمهمة تحقيقه. فالاستراتيجية ليست الهدف السياسي، وإنما هي نظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف السياسي، فعلاقتها بالهدف هي علاقة الوسيلة بالغاية. ولكن سنرى فيما بعد أن الاستراتيجية ليست نظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف فحــسب، وإنمــا أيــضاً، تــشمل محـالات أخرى. كما أن مفهوم كلاوزيفتز للاستراتيجية محصور باستراتيجية القرار الحاسم أو "الدفع حتى الحدّ الأقصى"، فالحرب "عمل عنيف صعّد حتى الحدّ الأقصى" ويجب أن ينتهى دائماً بسحق العدو، والإطاحة به، أي "الحرب المطلقة". ومن هنا حصر الاستراتيجية بمفهوم تحقيق الهدف النهائي للحرب - سحق قوات العدو أو تجريده من السلاح - ولكن هـــذا الــشكل مــن الاستراتيجية لا يغطى كل الحالات، فمثلا استراتيجية أغلب حروب التحرير لا تستهدف سحق القوات الرئيسية للعدو في المعركة وتجريده من الــسلاح، وإنمـــا استخدا: المعارك والنضال السياسي والرأي العام العالمي والأزمة الداخلية للعدو لإجباره على الانسحاب.

تعريف جوميني: لم يخرج تعريف جوميني عن تعريف كلاوزيفتز عموماً، ولكسنه ركّز على الاستراتيجية في المجال العسكري - استراتيجية العمليات والمسناورة الاستراتيجية. وهدفه لم تعد مطابقة لكل الحالات كما حدّدها. فمثلاً أصبح الاشتباك في الحرب العالمية الثانية مقدمة للعمليات الاستراتيجية، كما سنرى فيما بعد.

## تعريف كراسة التدريب المشترك COMBINED TRAINING البريطاني 1902:

"التكتيك هو فن قيادة القوات في المعركة، أما الاستراتيجية فهي فن التخطيط والإشراف على الحملة. فالاستراتيجية هي الأسلوب الذي يحاول القائد عن طريقه حلب عدوه إلى المعركة، بينما التكتيك هو الوسائل التي يُسعى من خلالها إلى إنزال الهزيمة بالعدو في المعركة".

يــتفق هــذا التعريف مع تعريف كلاوزيفتز حول التكتيك، أما بالنسبة إلى الاســتراتيجية فهــو يسقط الهدف – وهذا نقص أساسي – ولكنه يوسع مفهوم الاســتراتيجية إلى "فــن التخطيط والإشراف على الحملة". فهي لا تقتصر على نظــرية اســتخدام المعــارك لتحقيق الهدف وإنما تتناول مسائل التخطيط للحملة والإشراف عليها.

تعريف هاملي HAMLEY: "إن مسرح الحرب هو مجال الاستراتيجية، أما ساحة المعركة فمجال التكتيك".

يقوم هذا التعريف على تحديد نطاق عمل الاستراتيجية ونطاق عمل التكتيك ولكنه لا يحدد ما هي الاستراتيجية وما هو عملها.

فوندرغولتز VONDER GOLTZ: "تشغل الاستراتيجية نفسها، عموماً، بالإجراءات ذات النطاق العام التي تخدم دفع القوات إلى العمل في الجبهة الحاسمة تحرت أفضل الظروف الملائمة الممكنة، بينما يتناول التكتيك ما يجري في الاشتباك بالذات. ولهذا يمكن أن تسمى الاستراتيجية علم الجنرالية بينما يمكن أن يسمى التكتيك علم قيادة القوات".

يتناول هذا التعريف الاستراتيجية من شقين:

- الاستراتيجية تعني باتخاذ الإجراءات ذات الطبيعة العامة بالنسبة إلى مسرح الحرب ككل.
- واجب الإجراءات الاستراتيجية وضع القوات في الجبهة الحاسمة في أفضل الظروف الملائمة الممكنة (جزء من تعريف جوميني).

ولكن يظل هذا التعريف محصوراً في مرحلة ما قبل المعركة، بينما يشدد كلاوزيفتز على دور الاستراتيجية بعد المعركة - نظرية استخدام المعارك.

تعريف ليدل هارت (مؤرخ عسكري بريطايي 1895 - 1970): "الاستراتيجية فنّ استخدام القوات العسكرية لتحقيق الغايات التي وضعتها القيادة السياسية".

يرتكز هذا التعريف في جوهره على تعريف كلاوزيفتز، بجعل الاستراتيجية قائمة على أساس تحقيق الهدف السياسي، ولكن الفرق هنا أن ليدل هارت وسع مفهوم كلاوزيفتز للهدف العسكري في الحرب بحيث جعل الهدف مرناً غير محصور

بمفهوم "الحرب المطلقة"، وربط الاستراتيجية بتحقيق مختلف الغايات التي تضعها القيادة السياسية بما في ذلك تلك التي ذات الطابع المحدود. ولكنه حصرها بفن استخدام القوات العسكرية، وبهذا أسقط عملية دورها في التحضير، أو على الأصح حصرها في مرحلة استخدام القوات العسكرية.

تعسريف فيرديناند فوش F. FOCH (فرنسي 1851 – 1929): "الاستراتيجية عملية تنبع من اشتباك بين إرادتين متنازعتين".

يحـــاول هــــذا التعريف التشديد على الجانب السيكولوجي في الحرب ودور الاستراتيجية في هذا الجحال.

تعريف أندريه بوفر A. BEAUFRE (فرنسي 1902 – 1975): "الاستراتيجية هي في المنتز استخدام القوة لتقوم بأكبر إسهام في اتجاه تحقيق الغايات التي وضعتها السياسة"، أما التكتيك فهو "فنّ استخدام السلاح في المعركة بطريقة تجعله يمارس أكبر تأثير".

يعتمد هذا التعريف على الجمع بين تعريف ليدل هارت وتعريف فوش وذلك بإسقاطه كلمة عسكرية من تعريف ليدل هارت واستبدالها بمفهوم كلمة قوة في تعريف فوش لجعل الاستراتيجية تشمل الجانب العسكري والنفسي والسيكولوجي، مضافاً ضرورة استخدام تلك القوة بصورة تجعلها تمارس أكبر تأثير لتحقيق الغايات التي وضعتها السياسة.

تعريف مولتكي VON MOLTKE: إن الاستراتيجية تقوم من خلال قيادتما للجيوش وتركيز القوات في ميدان المعركة بتأمين فرصة الضرب للتكتيك، والضرب بنجاح. ولكن الاستراتيجية، في المقابل، تتقبل أيضاً نتائج كل اشتباك (تكتيك)".

الشيء الجديد في هذا التعريف هو إقامته للعلاقة الراجعة لنتائج التكتيك على الاستراتيجية.

تعريف كنت روبرتس غرينفيلد K.R. GREENFIELD (أميركي 1893 ) التستخدم التستراتيجية - وخطط القوى - 1967): "تتسخمن الاستراتيجية مفاهيم - مفاهيم استراتيجية - وخطط القوى أو الستحالف لفسرض إرادتك على العدو، وتتضمن استخدام الأساليب التي ثبتت صحتها وتجنب تلك التي ثبت عدم صحتها، من أجل تحقيق هذا الغرض".

تــشمل هــذه الــتعاريف للاستراتيجية: (1) مفاهيم استراتيجية (2) خطط استراتيجية (3) إجراءات استراتيجية بقصد فرض إرادة إحدى القوتين المتحاربتين على الأخرى.

تعسريف لسيون تروتسسكي (أوكراني 1879 – 1940): "الاستراتيجية والتكتسيك غسير مشتقين من مفهوم للبروليتارية حول العالم، وإنما من شروط التكنولوجسيا العسسكرية المحسدة ومن وسائل التزويد والتموين والمواصلات والوضع الجغرافي".

ينـــزع تروتسكي هنا من الاستراتيجية والتكتيك عنصر المفاهيم ويربطهما كلــياً بالجانــب المــادي واللوجــستيقا والوضــع الجغرافي، وهذه محاولة لرؤية الاستراتيجية بصورة أحادية الجانب فقط.

تعسريف الجنوال ستروكوف (جنرال سوفياتي في الحرب العالمية الثانية): تمتم الاستراتيجية العسكرية بدراسة "أساليب وأشكال حوض الصراع المسلح، وإعداد القسوات المسلحة واستخدامها في الحرب، وهي قمتم بخوض الحرب بالكامل وبالحملات العسسكرية". وإن أهسم واجبات الاستراتيجية هي: "تحديد القوى والوسائط الضرورية لخوض الحرب بنجاح، وكذلك القوى والوسائط والأساليب المعادية، وانتقاء اتجاه الضربة الرئيسية، وإعداد القوات المسلحة ومسارح العمليات للحرب، واختيار أساليب وأشكال الصراع المسلح ثم استخدامها وربطها بشكل حاذق". ويدخل في مهام الاستراتيجية العسكرية: "وضع خطة الحرب، تحديد دور بعض أنواع القوات المسلحة والصنوف المختلفة. ثم تنظيم التعاون في ما بينها خلال الحرب، تموضيع القوات المسلحة، تخصيص الاحتياطات، واستخدامها بشكل صحيح، تنسسيق أعمال القوات المسلحة في بعض مسارح العمليات مع الأعمال الحربية للقوات المسلحة للدول الحليفة، التأمين المادي والفني للقوات المسلحة وغير ذلك من المسائل المرتبطة بإعداد وخوض الحملات العسكرية والحرب بالكامل". وتمستند الاسمتراتيجية العسكرية "على الاستخدام الصحيح للعوامل الاقتصادية والـسياسية والمعـنوية التي تقرر مصير الحرب المعاصرة". وهي ترتبط مع السياسة وتوجد في تبعية مباشرة لها. يتـناول تعريف الجنرال ستروكوف الاستراتيجية العسكرية من حيث مهامها وواجباتها ونطاق عملها مؤكداً على خضوعها للاستراتيجية السياسية وتبعيتها لها.

تعريف فلادمير لينين (روسي 1870 – 1924): يقول في إحدى تعليقاته على كلاوزيفتز: "إن أصح استراتيجية في الحرب هي التي تؤجل العمليات حتى يصل الانحلال المعنوي لدى العدو إلى حدّ يجعل الضربة القاضية ممكنة وسهلة".

إن هــذا التعـريف لا يعطي صورة كاملة لكل أبعاد مفهوم لينين حول الاستراتيجية، ولكن يلقي ضوءاً على ضرورة عدم حصر الاستراتيجية العسكرية بفــنّ استحدام القوات المسلحة، ويركز على أهمية اختيار اللحظة الحاسمة لإنــزال الــضربة القاضــية بالعدو، بصورة سهلة وشبه مضمونة، أو بكلمات أخرى يركز علــى أهمــية العمل السياسي التحضيري قبل المعركة الفاصلة. وعندما تحدث عن الاستراتيجية السوفياتية قال: يجب أن تكون مشبعة بأكبر قدر من الحسم وينبغي لها أن تـسحق العدو سحقاً كاملاً "لا يكفي ضرب العدو، بل يجب سحقه عن بكرة أبيه" (هنا يبرز تأثير استراتيجية كلاوزيفتز).

تعريف جوزيف ستالين (جورجي): "الاستراتيجية تستهدف كسب الحرب ككل".

يقتصر هذا التعريف على تحديد مهمة الاستراتيجية.

تعريف ماوتسي تونغ (صيني 1893 – 1976): "قوانين الحرب محكومة بالزمان والمكان وطبيعة كل حرب"، و"محكومة بالتطورات التكتيكية والاستراتيجية في جانب جسبهة العدو وفي جانبا، إذ إن الظروف تختلف من مرحلة إلى أخرى حتى ضمن الحرب الواحدة". لذا: فإن "الاستراتيجية هي دراسة قوانين الحرب ككل".

"إن مهمــة الاستراتيجية هي دراسة تلك القوانين التي تحكم الحرب في وضع حــرب ككل. إن مهمة علم العمليات وعلم التكتيك هي دراسة القوانين الخاصة بقيادة الحرب في وضع جزئي".

تعريف سون تسو (صيني - القرن السادس قبل الميلاد): "إن المهمة الأسمى في الحرب هي مهاجمة استراتيجية العدو. ويأتي بعدها من حيث الأهمية مهمة تمزيق تحالفاته ثم تأتي ثالثاً مهاجمة جيشه" ("فن الحرب").

نظرة سريعة إلى كل هذه التعريفات، وهي قليل من كثير، تجعلنا نلاحظ ما يلي: أولاً: بعد تحديد الهدف السياسي تأتي الاستراتيجية لتعالج المسائل المختلفة السي تسؤدي إلى تحقيق الهدف السياسي. أي هي الجسر الذي يمتد من الهدف إلى تحقيقه، مروراً بالتطبيق، تاركة للتكتيك معالجة مسائل الجزئيات. ومن هنا فإن محال الاستراتيجية هو الحرب ككل.

ثانياً: تتضمن المسائل المختلفة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف ومن بينها تحديد جملة من القضايا التي تعالجها الاستراتيجية نذكر منها دون حصرها كلها:

- 1. نظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف.
  - 2. نظرية العمليات والتكتيك.
- نظرية بناء القوات المسلحة وتنظيمها وتسليحها وتدريبها وتركيزها وتوزيعها.
  - 4. التخطيط والإشراف على الحملة.
- الإجراءات العسكرية والمعنوية والإعداد السياسي التي تضع القوات ككل في أفضل الظروف الملائمة والممكنة.
- 6. قــيادة القــوات المسلحة بالصورة التي تجعلها تمارس أكبر تأثير على العدو (فنّ استخدام القوات العسكرية).
- 7. اختيار الأهداف الحاسمة، أو الهدف الحاسم، واختيار اللحظة الحاسمة لإنزال الضربة القاضية.
- 8. اتخاذ الإجراءات المضادة لاستراتيجية العدو وإحباطها والمساهمة في إضعاف جسبهة العسدو مادياً ومعنوياً. ولا سيما تمزيق تحالفاته إلى جانب توسيع تحالفاتك.
- 9. مــسائل اللوحــستيقا ودور المؤخــرة، والحالة المدنية والاقتصادية لطرفي الجبهة.
- 10. التركيسز علسى مسا يمسس الحرب ككل، والاهتمام بالعلاقة بين مختلف العملسيات، وبالعلاقة بين نشاط جبهتنا ككل، ونشاط جبهة العدو ككل.

وها الله الذي تقوم عليه الاستراتيجية لكسي تستطيع أن تحل كل تلك المسائل حلاً صحيحاً في كل حالة الاستراتيجية لكسي تستطيع أن تحل كل تلك المسائل حلاً صحيحاً في كل حالة معطاة، أي أنه يدلنا على كيفية وضع نظرية استخدام المعارك لتحقيق هدف الحسرب، وكيف توضع نظرية العمليات والتكتيك، ونظرية بناء القوات المسلحة وقيادةا. فما دامت قوانين الحرب محكومة بالزمان والمكان وطبيعة الحرب ومحكومة بالتطورات التكتيكية والتقنية والاستراتيجية في كل جانب من الجانبين المتحاربين، وما دامت الظروف في داخل الحرب الواحدة تختلف من مرحلة للأخرى، فإن الاستراتيجية بالتالي، تصاغ من خلال دراسة قوانين الحرب المحددة المعطاة ككل. إن اكتشاف هذه القوانين هو المفتاح لحل مسائل الاستراتيجية في كل حرب وفي كل مرحلة وفي كل حالة.

ثالب أ: لا توجد هنالك استراتيجية جاهزة تصلح لكل زمان ومكان وحرب. لأن الاستراتيجية تتأثر بطبيعة الحرب التي تخوضها، وتعمل ضمن الإمكانات المادية والتقنية والبشرية والسياسية المتوفرة أو التي يمكن توفيرها مستقبلاً كما تتأثر بموازين القوى الإقليمية والعالمية كما التحالفات والرأي العام على مختلف المستويات. وهو ما يحدده أيضاً المكان والزمان ومستوى استراتيجية وتكتيك العدو.

وابعاً: مهمة الاستراتيجية تحقيق الهدف السياسي، بغض النظر عن الإمكانات المتوفرة، والسشروط المستكملة، إذ عليها، خصوصاً، عند مواجهة عدو متفوق بسبعض المحسالات الهامة، أن تعمد إلى توفير الإمكانات، وتعمل على استكمال السشروط، واختيار العمليات الأنسب، والتكتيك الأنسب، من أجل التعويض عن تفوق العدو، ومن ثم تأمين أسباب تحقيق النصر عليه. ولكن هذه العملية لا تقرر تجريدياً وإنما وفقاً للوضع الملموس المحدد.

خامساً: يلاحظ من جميع النقاط أعلاه ألها تعتمد على إجهاد التفكير لأن أغلب المسائل الهامة التي تواجهها الاستراتيجية، مثلاً تقويم الوضع ككل وتحديد أنسب طرق العمل ضمنه قضايا لا ترى بالعين وإنما تفهم بالتفكير المنهجي العلمي العميق بعد جمع المعلومات والتفكير بها وتنسيقها واستبعاد غير المهم وإبقاء المهم كما يقول ماوتسي تونغ، ثم يؤخذ الوضع من كل جوانبه، وتأثير كل جانب على

الآخر، وبمذا يحكم على الوضع وترسم الاستراتيجية وتعمل الخطة أو الخطط الاستراتيجية (1).

على أنا عند هذا الحدّ نكون قد حصرنا، قدر الإمكان، الاستراتيجية العسكرية ولكن ثمة الاستراتيجية الكلية ويعرفها باليت<sup>(2)</sup> بألها "فنّ تعبئة وتوجيه مصادر الأمة أو مجموعة الأمم، بما في ذلك القوات المسلحة، من أجل تحقيق الهدف السياسي"، ويقول إن للاستراتيجية مستويات مختلفة: الاستراتيجية السياسية، والاستراتيجية العمليات، ولكنها كلها تتناول مختلف المستويات للاستراتيجية ضمن وحدة مفهوم عام. أما بوفير (جنرال فرنسي مرّ ذكره) فيقسم الاستراتيجية أيضاً إلى مستويات، ويعرف الاستراتيجية الكلية: "هي السيّ تقود الصراع سواء أكان عنيفاً مباشراً، أم غير عنيف، سواء أدار في الميادين السياسية، أم الاقتصادية، أم الدبلوماسية، أم العسكرية، أو شملها فيها كلها في وحمة نظر عسكرية من العوامل".

من هنا، نخرج بالنتائج التالية حول الاستراتيجية عموماً:

- 1. الاستراتيجية ليست محصورة بمجال من المجالات دون آخر إذ إن كل مجال يوضع له هدف يتوجب الوصول إليه ترسم له استراتيجية لتحقيقه. وتقوم الاستراتيجية عموماً بــ:
- أ. تقـويم الوضـع في الجـال المعطى واكتشاف القوانين الأساسية التي تحكمه.
- ب. وضيع خطة استراتيجية تتضمن تلك القوانين أو القواعد والمفاهيم
   الأساسية وتعين الإجراءات الاستراتيجية الواجب اتخاذها، وأنسب
   أساليب العمل والممارسة لتحقيق الهدف.

<sup>(1)</sup> أهمية تنظير ماوتسي تونغ كونه عالج موضوعي الاستراتيجية وتكتيك في ظروف توازن للقوى محتل بصورة صارحة في مصلحة العدو، كما أوجد توازنا أسماه بشبه التوازن الاستراتيجي، وآخر التحضير للهجوم العام. فتجربته مرت بتنوع شديد في ظروف الحرب.

<sup>(2)</sup> بالسيت D.K. PALIT جنرال بريطاني كتب عام 1953 "مبادئ المعرفة العسكرية"، وفي 1997 "الحرب في عصر الردع".

- ج. تحــدد نظــرية التطبيق (أو التكتيك في الجحال العسكري أو السياسي) وخطوطه العامة العريضة لتشرف عليه وتقوده ككل.
  - 2. عندما نتحدث عن الاستراتيجية يجب:
  - أ. تحديد المحال أو المحالات التي تتناولها الاستراتيجية.
- ب. تحديد الـــسمات الرئيــسية للاستراتيجية التي نتحدث عنها إذ أن اســـتراتيجية حــزب ثــوري تختلف من بلد لبلد، كما تختلف عن اســـتراتيجية القوى المضادة، وتختلف من مرحلة إلى أخرى، كما أن الاستراتيجية الكلية لحرب ثورية أو مقاومة شعبية تختلف من بلد لبلد كمــا تختلف عن الاستراتيجية الكلية لدولة إمبريالية أو دولة صناعية كبرى.
  - 3. نظراً للترابط الكلى بين مختلف الجالات:
- أ. يحدد الهدف العام الكلي، أو الأهداف العامة الكلية، عن طريق أعلى
   سلطة سياسية في الدولة أو الحزب. ثم،
- ب. تحدد الاستراتيجية الكلية من أجل تحقيق الهدف العام الكلي، أو الأهداف العامة الكلية، وتكون مهمة هذه الاستراتيجية تعبئة وتنظيم كل المصادر المادية والمعنوية في مختلف المحالات، وجعلها تعمل بصورة منسجمة موحدة وبأقصى طاقتها وإمكاناتها. وهذا يقتضى:
- وضع القوانين أو المبادئ أو المفاهيم الأساسية للتخطيط والممارسة على نطاق عام.
  - وضع الخطة الاستراتيجية الكلية.
  - توزيع الأهداف المطلوب تحقيقها من كل محال.
- التنسيق بين استراتيجيات كل مجال بحيث يحدد الجحال الأكثر أهمية في كل مرحلة.
- قيادة الوضع ككل والإشراف على التنفيذ وحل كل المسائل المستعلقة بالوضع ككل. إذ إن مهمة الاستراتيجية لا تقتصر على

- وضع الخطوط الاستراتيجية فحسب، وإنما أيضاً، اختيار التكتيكي المناسب، ليس هذا فحسب، وإنما أيضاً، قيادة العمل التكتيكي ككل، والإنشراف عليه من أجل أن يلعب دوره المناسب في إنجاح الاستراتيجية في مجاله، والاستراتيجية الكلية من أجل تحقيق الهدف أو الأهدداف، الدي، أو التي، وضعتها أعلى سلطة سياسية (قد تكون البرلمان أو مؤتمر حزب أو المجلس الأعلى قومي).
- 4. لما كان العمل في كل مجال، أو في الوضع ككل يحمل دائماً فرادة خاصة، وبالتالي تحكمه قوانين خاصة في المرحلة المحددة وفي الزمان والمكان وطبيعة كل من القوى في الصراع، فإن المحور الذي تحلّ بوساطته كل قضايا الاستراتيجية يستطلب وجسود منهج علمي إبداعي في التفكير وفي الاستقصاء وجمع المعلومات، ثم في التقويم وتقدير الموقف وفي القرار، ثم في التخطيط والممارسة، فإن كل العملية الاستراتيجية تتوقف على دعامتين أساسيتين:
- أ. الواقع الموضوعي المعطى من كل جوانبه المادية والتقنية والبشرية والوعي والتنظيم ومن ثم ضرورة فهمه فهماً دقيقاً، وتقديره تقديراً صحيحاً.
- ب. الـــتفكير العميق الصحيح الذي يقوم ذلك الواقع الموضوعي، ويحدد نــوع الاســـتراتيجية التي هي أنسب ما تكون في مصلحتك، وضد مصلحة العدو. وعلى التفكير السليم أن يظلّ دائماً في مستوى كل ما يحــدث من تغييرات في الواقع الموضوعي مع تلقي نتائج الممارسة، بل يكــون أبعــد نظــراً حيث يرى اتجاهات التغيير والتطور سلفاً بقدر الإمكان. أي يجب أن تسبق عدوك بخطوة دائماً.

نأتي الآن لنبحث إشكالات الاستراتيجية (1) في المحال العسكري.

## تحديد الاستراتيجية العسكرية:

بعــد أن تكــون قد وضعت استراتيجيتك وفقاً للخطوط العريضة السابقة، واخترت تبعاً لتقويمك للوضع المعطى من كل جوانبه طراز استراتيجيتك العسكرية مثلاً:

- أ. هــل مــن الأنسب لك خوض حرب هجومية خاطفة سريعة القرار عن طــريق التركيــز لــسحق القوات الرئيسية في جيش العدو؟ (كلاوزيفتز وجوميني).
- ب. هـل سـتخوض حـرباً نظامـية تعـتمد الأسلوب غير المباشر؟ (ليدل هارت).
- ج. هـــل ستخوض حرب غوار أو مقاومة شعبية تستهدف استنـــزاف العدو وتعبـــئة الـــرأي العام العالمي ضده، وبالتالي شلّ إرادته على القتال؟ (تورة التحرير الجزائرية مثلاً).
- د. هل ستخوض حرب شعب طويلة الأمد تبدأ بالدفاع الاستراتيجي، وتنتقل إلى شــبه الــتوازن الاستراتيجي ثم الهجوم الاستراتيجي؟ (ماوتسي تونغ، وهوتشي منه)
- ه...... هل ستخوض مختلف أشكال النضال حتى يتوفر وضع ثوري، فتختار اللحظــة الحاسمــة فيه لاندلاع ثورة مسلحة عامة تحقق نصراً استراتيجياً سريعاً؟ (لينين).
- و. هــل ســتختار استراتيجية مواجهة لاعنفية (المهاتما غاندي وقد وصفها: "اللاعنف طريقة أحرى لشن الحرب").
  - ز. هل ستختار استراتيجية الانتفاضة الشعبية العامة اللاعنفية. (الخميني)

<sup>(1)</sup> في النسسخة الأولى استخدم "ديالكتيك الاستراتيجية" وهو تعبير يتوقف من جهة على فهم المعنى للديالكت يك وهو متعدد وغير محدد. ثم ما الذي يقصده المعنى بالضبط من جهة أخرى. ولهذا فإن استخدام "إشكالات الاستراتيجية" أدق في فهم المقصود.

وبالمناسبة كتب روبرت غرين ROBERT GREEN كتاباً بعنوان "الثلاث والسثلاثون استراتيجية في الحرب (أو للحرب)". علماً أن ما حاول حصره من الاستراتيجيات العسكرية لا يغطيها لأن الحياة ستظل أكثر تنوعاً وغنى، ولكنه من جهة أخرى كان فضفاضاً في استخدام كلمة استراتيجية فسمى استراتيجية ما هو أقرب للتكتيك.

إن مـسألة تحديد اسـتراتيجيتك لا ترتبط بتفضيل استراتيجية ما، بصورة تجريدية. إذ إن اختيار استراتيجيتك (أو على الأصح تحديدها) يرتبط بمجموعة من العوامل هي التي تقرر طراز الاستراتيجية المثلى بالنسبة إليك. فمثلا إن استراتيجية خــوض حـرب هجومية خاطفة سريعة القرار عن طريق التركيز لسحق القوات الرئيسية في جيش العدو، تتوقف، أساساً، - وإن لم يكن هذا هو العامل الوحيد -علمي توفر تفوق مادي - سلاح، عدد، حركة، تقنية - على العدو. أو إذا كان هــنالك نــوع من التوازن في القوى المادية ولكن حبهة العدو مخلخلة من الناحية المعنوية، والتنظيمية والسسياسية. أما إذا كان العدو متفوقاً نسبياً، ولم تكن قد أكملت استعداداتك، ولديك ساحة حرب واسعة تستطيع المناورة فيها بحيث تنهك العدو وتشتت قواه، لبينما تجمع قواتك وحلفاءك، فإن خوض حرب نظامية تعتمد الأسلوب غيير المباشر (استراتيجية بريطانيا التقليدية في الحربين العالميتين الأولى والثانية) تكون الأنسب في مثل هذه المعطيات. كما أن تبني استراتيجية حرب شعب طويلة الأمد، على اختلاف استراتيجياها - الطراز الجزائري، أو الفياتنامي أو الـصيني، أو ألـوان مقاومة (التجارب اللبنانية والفلسطينية والعراقية والأفغانية والصومالية)، محكومة بتوفر تفوق مادي كاسح في حبهة العدو، في حين لا تستطيع أنست ألا تسبني استراتيجية تعتمد على الدفاع الاستراتيجي بسبب ضعفك المادي وضرورة الإعداد الطويل في أثناء الصراع، وبالاعتماد أساساً على العناصر الإنسانية - المعنويات، الوعي، التنظيم، الجماهير، وعدالة القضية وخلخلة جبهة العدو - من أجسل الانتقال إلى شبه التوازن الاستراتيجي ثم الهجوم الاستراتيجي السياسي وإنـــزال الهـزيمة بالعـدو، وحتى شكل استراتيجيتك في مرحلتي شبه التوازن الاستراتيجي والهجوم الاستراتيجي السياسي تقررها موازين القوي - كل القوي (المادية والمعنوية، والسياسية، والإقليمية، والدولية). فعلى سبيل المثال في التحربتين السينية والفياتنامية اتخذ شبه التوازن الاستراتيجي والهجوم الاستراتيجي شكلاً عيسكرياً. أما في التحربة الجزائرية والقبرصية (مكاريوس وغريفوس) فقد اتخذ سمة سياسية وليس عسكرية ميدانية.

إن العلاقة المحدّدة بين موازين القوى - كل موازين القوى هي التي تقرر طراز الاستراتيجية الأنسب في كل وضع، مع الأخذ بعين الاعتبار حجم ساحة الحرب والطوبغسرافية والكثافة السكانية والوضع المدني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي كما الاقليمي والعالمي، وكذلك ضرورة الأخذ بعين الاعتبار مسألة الزمن، أي هل إطالة أمد الحرب في مصلحتك أم في مصلحة العدو.

والآن، بعد أن تحدد استراتيجيتك وتكتيكك فإن العدو سيفعل كذلك في المقابل، أي سيختار نوع استراتيجيته وتكتيكه، وهنا تبدأ عملية صراع منذ السوهلة الأولى حتى نهاية الحرب. وسيتخذ الصراع طريقه على عدة جبهات في المؤخرة وفي الجبهة، في المجالات السياسية والاقتصادية والنفسية والمعنوية وفي المجالات التنظيمية والإيديولوجية، وعلى مستوى التحالفات والرأي العام العالمي والمحلي. هذا إلى جانب الصراع في العمليات الاستراتيجية والمعارك التكتيكية. وسيكون هنالك دائماً نقاط ضعف ونقاط قوة في جبهتك وكذلك الحال في جبهة العدو.

ولو أحدنا مسالة نقاط الضعف ونقاط القوة كمثل على إشكالات الصراع الاستراتيجي، لوجدنا أن الجوهر في كل عملك سيتركز على حماية نقاط ضعفك. ومنع العدو من استغلالها حتى الحدّ الأقصى، وتصعيد نقاط قسوتك لتعمل بأقصى فعالية. ولكن العدو سيحاول منعك من الإفادة من نقاط قوتك وجعل فعاليتها تحبط إلى الحدّ الأدنى. وفي المقابل، ستدور معركة مشابحة من جانبك على جبهة العدو بحيث تحاول أن تضرب في نقاط ضعفه وتفيد منها حسى الحدّ الأقصى بينما سيحاول العدو حمايتها، ومنعك من استغلالها، فيما ستحاول منعه من الإفادة من نقاط قوته حتى الحدّ الأقصى، وجعل فعاليتها تمبط حسى الحدّ الأدنى. فالمسألة لا تقتصر على الصراع مع الطرف الآخر فحسب،

وإنمـــا أيـــضاً، تتطلب عقد تحالفات وإقامة توازنات في حل التناقصات داخل جبهتك (1).

إن هـذه العملية كما يلاحظ تتخذ شكل سلسلة مترابطة ومتفاعلة ومتوازنة من المواقف الدفاعية والهجومية، وتمتاز بمحاولات فرض وإحباط، ودفاع وهجوم، في وقست واحد. وسستتخذ في الجوهر شكل صراع على كسب حرية الحركة من وحجسبها عسن العسدو، أو عرقلة حرية حركة العدو واستعادة حرية الحركة من جانسبك، في أثناء عرقلة حرية حركته، وكما قلنا، سيفعل هو الأمر نفسه. وهذا بدوره يجعل ساحة الحرب في حالة حركة وتغير مستمرين، ويجعل توازن القوى في حالسة تقلب، ويجعل خططك الاستراتيجية في حالة صدام دائم مع مقابلاتها في حانب العدو، وفي علاقة حية دائمة مع التطبيق ونتائجه، الأمر الذي يتطلب إعادة تقسويم الوضع ككسل باستمرار، وكذلك إحداث تغييرات وتعديلات بالخطط الاسستراتيجية وبالعملسيات والتكتيك من أجل امتلاك زمام المبادرة أو استعادته، والممارسة على معطيات الواقع الموضوعي والذاتي في الصراع.

من هنا يمكن رؤية طبيعة الصراع في الحرب، ومدى أهمية دور العامل الذاتي، خصوصاً، عبقرية القيادة في معالجة إشكالات الصراع في الحرب. ولكن، بالطبع، يعبر دور العامل الذاتي من خلال موازين القوى ومجموعة العوامل الموضوعية.

لا يمكن إدراك أبعاد الاستراتيجية إلا بأخذ أمثلة ملموسة بحيث نضع أمامنا محموعة من الأشكال والمحتويات التي أخذتها الاستراتيجيات العسكرية المختلفة، وعندما نستأمل تلك الأشكال نستطيع إدراك ما هي الاستراتيجية، بصورة أكثر وضوحاً من التعريف.

وكـــتب ماوتـــسي تونغ: "ثمة قوانين مختلفة لقيادة الحروب المختلفة، تولدها الظــروف المخـــتلفة لتلك الحروب.. مختلفة طبيعة وزماناً ومكاناً". ويعرف طبيعة الحــرب بأهـــا تتولد من طبيعة القوى والأهداف التي تمثل كل جانب في الحرب،

<sup>(1)</sup> لاحظ كل هذه الاشكالات لا تلخصها عبارة "ديالكتيك الصراع".

فمـــثلاً طبـــيعة الحــرب المضادة للثورة، ومن ثم قوانينها تختلف عن طبيعة الحرب السئورية، وقوانينها. أما الزمان فهو مرتبط بالمرحلة التاريخية وسماتها الخاصة، ولهذا فإن قوانين الحرب لها سمات خاصة في كل مرحلة تاريخية – مستوى تطور الأسلحة والتقنية والصناعة. ولهذا لا يمكن تطبيق تلك القوانين على حرب في مرحلة تاريخية أخرى. أما المكان فمرتبط بوضع كل بلد وأمة إذ إن لقوانين الحرب سمات خاصة في كل بلد وأمة، وما ينطبق على إحداها لا ينطبق، تلقائياً، على الأخرى.

لـــذلك فـــإن القوانين التي تحكم الاستراتيجية كثيرة بعدد اختلاف الحروب المختلفة طبيعة وزماناً ومكاناً.

ثمــة حانب في الحرب هام وخطير يتعلق بالطريقة التي تعالج فيها التناقضات والصراعات والخلافيات داخل جبهتك. وهنا يلعب الخط السياسي الصحيح وروح المــرونة وعقلية المساومة الداخلية والابتعاد عن الاستئثار بالسلطة و التفرد بالقرار والنظــرة الحزبية الضيقة دوراً مهماً في توسيع جبهتك وحرمان العدو من استغلال التناقضات الداخلية.

كما يجب أن يلاحظ أن نسب تأثير عوامل طبيعة الحرب والزمان والمكان لا تقوم على أساس مقادير ثابتة، إذ أحياناً تلعب طبيعة الحرب دوراً أكثر حسماً، في تحديد الاستراتيجية بينما يلعب الزمان – التطور التقني والإنتاجي ونمط النظام السدولي – دوراً أكثر حسماً في حالات أخرى وهكذا، ولكن يظل هنالك مكان للعوامل الأخرى. والآن لنأخذ بعض أشكال الاستراتيجية.

- 3 -

# الاستراتيجية في الحرب العالمية الأولى

كانست طبيعة الجرب العالمية الأولى ذات طابع استعماري عدواني من جانب كل السدول المتحاربة. وكان التطور التقني (التكنولوجي) العسكري متقارباً بين الأطراف في المسيدان، وإن كان الوضع المدني والاقتصادي في جبهة الحلفاء أكثر تطوراً، وإمكانات، بالمقارنة مع الجانب الألماني.

دخلت كمل الأطراف المتحاربة الحرب تحت استراتيجية واحدة وهي استراتيجية كلاوزيفتز. وذلك بالرغم من أن بريطانيا تبنت استراتيجية الحرب غير المباشرة في بعض الجبهات (القتال في المضائق التركية، حملة فلسطين مثلا). إلا أن استراتيجيتها العسكرية الأوروبية اعتمدت أساسأ الاستراتيجية المباشرة كباقي الأطراف. وفي الواقع، لقد سادت استراتيجية الهجوم الكثيف الكاسح لسحق القوات الرئيسية للعدو، على عقول جنرالات الحرب العالمية الأولى. إنها استراتيجية القرر الحاسم في المعركة عن طريق تركيز قوات متفوقة على قوات العدو الرئيسة والعمل على سحقها من خلال الالتفاف حول الأجنحة أو شقّ الجبهة بمجمات جماعية مباشرة. ولكن سرعان ما تحطمت هجمات الطرفين أمام الخنادق والأسلاك الشائكة ومن ورائها المدافع الرشاشة، وأمام سرعة انتقال الاحتياط الدفاعي بسرعة لا تقسل عسن سرعة الهجوم نفسها. الأمر الذي راح يرجّع قوة الدفاع على قوة الهجوم، بل يربط اطلاق الهجوم بعد كسر الدفاع لهجوم العدو. وهذا ما حول الحرب العالمية الأولى إلى خطوط جبهة طويلة راكدة، وأخذت الاستراتيجية بعد هذه المرحلة تتحول إلى استراتيجية استنزاف طويل الأمد مع الاعتماد كليا على كـــثافة الـــنيران وزيادتمـــا. وأحيراً جاء الهجوم الألماني في ربيع 1918 نتيجة فشل هجمات الحلفاء 1915 - 1917، ولكنه تحطم أمام الدفاع. مما أتاح للحلفاء شنّ الهجوم المضادّ في أوائل خريف 1918 الذي انتهى باستسلام ألمانيا، وعلى كل حال سنبحث هذه القضية تفصيلاً في بحث التكتيك.

# الاستراتيجية في الحرب العالمية الثانية

 فرض معركة حاسمة عليها بعد أن يكون قد أمّن تفوقاً من نواحٍ كثيرة تضمن تحقيق نصر حاسم.

لقــد ســاعد التطور التقني في الدبابات والطيران وقوات المشاة المحمولة على إنجــاح هذه الاستراتيجية التي حملت طابع الحرب المتحركة التي تنتهي بقرار حاسم في المعركة وبانتصار استراتيجي.

كان انتصار هذه الاستراتيجية محتوما على استراتيجية خطوط الدفاع الجامدة - خطّ ماجينو - (وهي أسيرة تجربة الحرب العالمية الأولى). أما السبب فيرجع إلى زيادة سرعة الهجوم على سرعة جلب الاحتياط ولأسباب أخرى طبعاً - سنبحثها تفصيلاً في موضوع التكتيك.

ولكن استراتيجية هتلر تلك اصطدمت باستراتيجية الاتحاد السوفياتي التي لا تعتمد على خطّ الدفاع الثابت، وإنما على الدفاع العميق المتحرك الذي يرتكز إلى العمق، والضخامة البشرية، وسعة المساحة، فضلاً عن الطبيعة الشعبية الثورية العادلة للحرب من جانب الاتحاد السوفياتي المعتدى عليه، فضلاً عن قوة التنظيم ورسوخ الوضع المدني. لهذا قامت الاستراتيجية العسكرية السوفياتية في الحرب العالمية الثانية على أساس استيعاب رأس رمح العدوان بدلاً من مواجهته بخطّ دفاع ثابت، وبعد إلهاكه حين يصطدم بالنقاط الدفاعية الرئيسة — سفاستبول، ستالينغراد موسكو، لينينغسراد إلخ — يسصار إلى اتباع استراتيجية الهجوم الشامل الذي يعتمد على الضخامة والزخم بدل الاختراق من نقاط على نمط تكتيك بليتزغريغ الألماني.

وبالمناسبة لقد تبين لاحقاً أن الاتحاد السوفياتي لم يكن مستعداً لمواجهة هجوم نازي عليه (تقرير نيكيتا حروتشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي). فالدفاع العميق تشكل إثر مجموعة من الهزائم بما في ذلك استسلام بعض فرق الجيش بعد تطويقها والعمل من خلفها وقطع إمداداتها. هنا طرح ستالين استراتيجية الدفاع المستميت حتى بالنسبة إلى قطاعات الجيش التي تقع تحت الحصار الخانق، كما بالنسبة إلى المدن والقرى.

أما بريطانيا فجزيرة محدودة الإمكانات بشرياً ومساحة ومصادر، ولكنها دولة إمبريالية عالمية لا تغيب الشمس عن مستعمراتها. لذلك قامت استراتيجيتها العسسكرية على الأسطول البحري في إطار عالمي، ومن هنا لجأت إلى توزيع قواتما بدقة واقتصاد على الكرة الأرضية، تاركة أمامها أهدافاً مرنة قابلة للتغيير والتعديل حسب الظروف. ولقد عبرت هذه الاستراتيجية عن نفسها في الحرب العالمية الثانية باتباع الاستراتيجية غير المباشرة عن طريق إيقاف توسع هتلر من خلال حسن توزيع القوات: في بريطانيا وشمالي أفريقيا، وجبهة العراق - إيران، إلى حانب تحالفات دولية واسعة، والانتظار لبينما تستكمل الولايات المتحدة السيعداداتما، وتكون ألمانيا قد أُلهكت لا سيما في الجبهة السوفياتية جنباً إلى جنب مع تصعيد القصف الاستراتيجي على المواقع الصناعية والإنتاجية في ألمانيا.

أما الولايات المتحدة الأميركية فقد بنت استراتيجيتها في الحرب العالمية الثانية على مرحلتين. المرحلة الأولى عملية استكمال استعداداتها العسكرية وبناء قواقها المسلحة، خاصة سلاح الطيران، مع مساندة بريطانيا على الصمود، وهذه المرحلة المستدت مسن 1941 حتى 1943 وقد وضعت أسس هذه الاستراتيجية في اجتماع ممثلي أركان الجيشين البريطاني والأميركي، سرّاً، في واشنطن وقد اتخذوا قرارين استراتيجيين:

- إذا اضطرت أميركا دخول الحرب فسيكون هدف البلدين هزيمة دول المحور بما في ذلك اليابان.
- إذا دخلــــ اليابان الحرب فإن الحلفاء يركزون على هزيمة المحور الأوروبي أولاً، ويـــ بقون في الدفاع في المحيط الهادي حتى يقضى على ألمانيا العدو رقم 1.

واعتسبر هذان القراران حجر الزاوية في الاستراتيجية العسكرية الغربية ويجسب أن يستحولا إلى خطط استراتيجية. وكان تقدير الأميركيين بعد مسح إمكاناتهم المادية والبشرية والإنتاجية أن بمقدور الحلفاء التحول إلى الهجوم العام في 1943 وقدم روزفلت خطة النصر PROGRAM VICTORY PROGRAM. وهي تقضي بوضع ثلاثسين فرقة أميركية في بريطانيا و3250 طائرة حربية مع اللوجستيقا اللازمسة بهدف شنّ هجوم على فرنسا من القناة البريطانية. بل إن الأميركيين

طالبوا بتنفيذ هذه الخطة في أيلول/سبتمبر 1942 وذلك لتحقيق هدفين:

- 1. إذا انتصر هتلر على الاتحاد السوفياتي يمنع من جني ثمار النصر.
- إذا انتـــصر الاتحاد السوفياتي يكون الغرب في قلب الاحتراق وبالتالي يجني أكثر ما يمكن من المكاسب لئلا يخلو الميدان للسوفيات.

وهنا دار صراع حاد بين الاستراتيجيتين البريطانية والأميركية لأن بريطانيا أصرت على تقوية الجبهات المفتوحة في شمال أفريقيا، والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط. ووافق روزفلت على إرسال قوات إلى شمالي أفريقيا ضد رأي هيئة أركان الجنيش الأميركي التي اعتبرت أن أي جهد خارج الجبهة الأوروبية إضاعة للوقت والطاقات.

هذا الصراع كان يعكس الخلاف بين الاستراتيجية المباشرة (كلاوزيفتز) وبين الاستراتيجية غير المباشرة (ليدل هارت) التي تعتمد المناورة، وطول النفس واقتناص المناسبات، دون التقيد بخطة محددة تنفذ بصرامة.

إن استراتيجية أميركا هي انعكاس لقوة مصادرها المادية والبشرية وارتفاع مسستوى طاقاتها الإنتاجية والتقنية (التكنولوجية) مقرونة بزخم الدولة الإمبريالية الطامحة لإعادة اقتسام العالم.

أما الاستراتيجية السوفياتية، فقد فرض عليها الهجوم النازي الصاعق الستراتيجية السدفاع الإيجابي العميق الذي يتأهب إلى الانتقال للاستراتيجية المباشرة في أكثر أشكالها حسماً. ولهذا فقد اتصف الدفاع الاستراتيجي للقوات المسلحة السوفياتية والشعب والحزب والدولة السوفياتية، بالصلابة والفعالية الكسبيرة والهجمات المحسودة المستمرة مع التحضير الحثيث (الإنتاج الكمي السخم للدبابات والطائرات) للحظة الانتقال إلى الهجوم المضاد العام الاستراتيجي، خصوصاً، بعد كسر شوكة هجوم العدو. وعندما تم الانتقال إلى الهجوم الاستراتيجي أصبحت الاستراتيجية المباشرة الشيء الأساسي والحاسم، فكان اختيار الضربة الرئيسة يعتمد على توجيه العمليات الهجومية نحو الاحتسادات الأساسية للعدو التي يؤدي تدميرها إلى فتح الطريق نحو الزحف الشامل للإجهاز كلياً على جيش العدو وصولاً إلى برلين.

## استراتيجية الحرب الشعبية طويلة الأمد

ولنأخذ الآن مثالاً آخر لاستراتيجية عسكرية تعتمد استراتيجية حرب الشعب طويلة الأمد كما وصفها ماوتسى تونغ.

حدّد ماوتسي تونغ أربع سمات رئيسية للحرب الثورية في الصين:

- 1. بـــلاد واســـعة شبه مستعمرة، متفاوتة التطور اقتصادياً وسياسياً، ومرت بتجربة ثورة عظيمة.
  - 2. عدو كبير وقوي.
  - 3. جيش أحمر صغير وضعيف.
    - 4. ثورة زراعية.

ويقول ماوتسي تونغ إن هذه السمات تحكم خطّ الحرب الثورية في الصين، والكثير من استراتيجيتها وتكتيكها. إذ يشير البندان الأول والرابع إلى أن من الممكن للجيش الأحمر أن ينمو ويقضي على العدو. أما البندان الثاني والثالث فيسشيران إلى أن من المحال للجيش الأحمر أن ينمو بسرعة ويقضي على عدوه بسرعة، ولهذا لا بدّ من أن تكون الحرب طويلة الأمد، ولكن من الممكن فقدالها إذا لم تقد بدقة وبخط سياسي صحيح.

بعد تحديد تلك القوانين أو السمات الرئيسة للحرب تشتق منها عدة قوانين:

- 1. استراتيجية حرب طويلة الأمد.
- 2. حملات ومعارك ذات قرار سريع.
- جـبهة متحـركة وحرب متحركة وتجنب خط الجبهة الثابت، وحرب المواقع.
- بنّـــي استراتيجية عمليات تقضي بالضرب بقبضة واحدة، في اتجاه واحد.
   وتجنب استراتيجية الضرب بقبضتين في آن واحد.
- نــسبة تــوازن القوى: استراتيجياً العدو عشرة والجيش الأحمر واحد، أما
   تكتيكياً (في المعارك المتفرقة) فالجيش الأحمر عشرة والعدو واحد.

6. النمو أثناء القتال، ووضع العمل السياسي بين الجماهير في المقدمة، بل إن الجيش الأحمر نفسه يلعب دور المنظم السياسي وناشر الوعي السياسي، لأن هذا يعني إذا نجح تجنيداً عسكرياً واسعاً.

طبعاً هذه القوانين لا تغطي كل قوانين حرب الشعب في مرحلة الدفاع الاستراتيجي كما أن المراحل الأخرى في شبه التوازن الاستراتيجي والهجوم الاستراتيجي تشتق منها ولها قوانين أخرى.

#### الاستراتيجيتان المباشرة وغير المباشرة

كان كلاوزيفتز قد وضع ثلاثة قوانين للاستراتيجية المباشرة:

- 1. تركيز الجهد.
- العمل بقوة ضد القوات الرئيسة للعدو، وتحقيق نصر في المعركة في مسرح العمليات الرئيسي.
  - 3. يمكن أن يكون التكتيك: دفاعي/هجومي.

أما ليدل هارت فقد اشتق ثمانية قوانين للاستراتيجية التي تتبع الطريق غير المباشر كما أسماها، عندما تطبق من قبل دولة قوية نسبياً مثل بريطانيا، ويمكن تلخيص تلك القوانين:

- تعظیم القدرات العسكریة من خلال التحالفات ولا سیما مع أمیركا.
  - إجبار العدو على تفريق قواته عن طريق إجراءات غير مباشرة.
    - تحقيق المفاجأة باختيار أساليب غير متوقعة من قبل العدو.
      - العمل بقوة ضد نقاط الضعف لدى العدو.
      - تحقیق قرار عن طریق العمل فی مسرح ثانوی إن أمكن.

# الأشكال الرئيسة للاستراتيجية العسكرية

ما تقدّم يمثل نماذج فقط لا يُغطي مختلف الاستراتيجيات، ولكن يمكن تلخيص الأشكال الرئيسة التي طبقتها الاستراتيجية:

## أولاً: استراتيجية الهجوم الاستراتيجي - الطريق المباشر.

إذا كانـت المصادر المادية أقوى، وثمة قوات عسكرية ضاربة كافية، فستشنّ

الحملــة هجومــياً، ويكون الهدف أخذ قرار سريع في المعركة الحاسمة - قوانينها الرئيسة تلك التي وضعها كلاوزيفتز.

### ثاتياً: استراتيجية دفاعية/هجومية - طريق مباشر.

إذا لم يكن الستفوق واضحاً، أو إذا كان الهجوم بسبب ظروف تكتيكية، أو جغرافية، أو نقص الاستعدادات غير قادر على تحقيق نتائج، فإن قانونها: إنماك العدو بعمل دفاعي أو استيعاب زحم الهجوم وشلّه، يتبعه هجوم مضادّ كاسح (وصلت هذه الاستراتيجية قمستها لدى السوفيات في الحرب العالمية الثانية كما طبقت عملياً في الحرب العالمية الأولى بعد فشل الهجوم الاستراتيجي - الطريق المباشر).

## ثالثاً: استراتيجية الهجوم المباشر تسبقه عمليات هجومية في نقاط ثانوية أو استراتيجية الطريق غير المباشر.

إذا لم يكسن الستفوق واضحاً وكان العدو يمتلك قوة متفوقة نسبياً، يلجأ إلى هسذه الاستراتيجية لإجبار العدو على تفريق قواته عن طريق هجمات غير مباشرة يتلوها الهجوم المباشر (ليدل هارت).

# رابعاً: استراتيجية الدفاع الاستراتيجي من أجل تحقيق شبه التوازن الاستراتيجي ثم الانتقال للهجوم الاستراتيجي.

إذا كان العدو متفوقاً حداً وكان الجيش المقابل صغيراً، ولكنه يمثل إرادة جماهير واسعة وقضية عادلة، ويعمل على أرض تسمح بها، فهو يلجأ إلى استراتيجية السدفاع الاستراتيجي علسى شكل حرب متحركة طويلة الأمد، لكن معاركها وعملياتها سريعة القرار. وهي تستهدف الانتقال إلى شبه التوازن الاستراتيجي. وهينا تلتقي في بعض الملامح مع استراتيجية الطريق غير المباشر، ثم تلتقي في بعض السمات مع استراتيجية الهجوم المباشر. ولكن هذه الاستراتيجية لا يمكن أن تطبق إلا مسن قسبل قوى ثورية تخوض حرباً ذات طبيعة شعبية ثورية. وقد طبقت هذه الاستراتيجية بخطوطها العريضة في الصين وفياتنام.

### خامساً: استراتيجية حرب الغوار ضمن استراتيجية سياسية كلية.

 إما لصغر حجم البلاد، أو لأسباب جغرافية، أو سكانية، وأحياناً تكنولوجية (تطور الطائرات ولا سيما الطوافات "الهيلوكبتر") فيلجأ إلى استراتيجية حرب الغوار طويلة الأمد بقصد إلهاك العدو واستنسزافه، ضمن استراتيجية كلية يكون مركز الثقل فيها للعمل السياسي والدبلوماسي على النطاق المحلي والإقليمي والعالمي وفي بلد حسيش الاحتلال نفسه. مما يصل في النهاية إلى شل إرادة العدو على القتال، وتعمسيق أزمته الداخلية ومحاصرته عالمياً. وقد طبقت هذه الاستراتيجية في حرب التحريسر الجزائرية وفي قسيرص وفي أفغانستان ضد الاحتلال السوفياتي، وضد الاحتلال الأميركي، كما في العراق ولبنان (قبل 2000) وفي فلسطين وفي الصومال أي في حسالات المقاومة من وسط الشعب أو عبر الحدود بما يختلف عن حرب الغوار في الغابات والجبال.

### سادساً: استراتيجية الثورة المسلحة العامة.

يطبقها عادة حزب ثوري، يستهدف الإطاحة بنظام استبدادي عن طريق الانتفاضة المسلحة العامة، وهي استراتيجية ترتكز على فترة تحضير طويلة ضمن إطار استراتيجية كلية تعتمد التحريض السياسي، والتظاهرات، والإضرابات، مع تسديد على تكوين التنظيم الحديدي الطليعي، والمنظمات الجماهيرية إلى حانب مختلف أشكال النضال من أجل الوصول إلى لحظة انفجار الثورة المسلحة العامة. وقد عرفها ستالين في كتابه "أسس اللينينية" بألها "تحديد اتجاه الضربة الرئيسة في مرحلة معطاة من مراحل الثورة ووضع خطة بموجبها لتوزيع قوات الثورة (القوات الرئيسة والاحتسياط المثانوي). والقتال لتنفيذ هذه الخطة خلال المرحلة المعطاة للمشورة". ولكن هذه الاستراتيجية إذ تعتمد على فترة طويلة من التحضير إلا ألها تعستمد بصورة أساسية على المقدرة في تعين اللحظة الحاسمة التي وصفها لينين بألها ولتماسك، وتكون فيها قوات العدو مفككة ومتفسخة، وتكون الفئات الوسطى شديدة التردد ويمكن تجيسيدها أو كسبها. أو كما حددها، بمناسبة أخرى، عندما تكون الطبقة الحاكمة غير قادرة على أن تحكم بالطريقة القديمة، ويكون نشاط الجماهير في أعلى درجات حدّته و لم يعد قابلاً بأن يحكم وهنا لا بد من توفر ظرف إقليمي ودولي درجات حدّته و لم يعد قابلاً بأن يحكم وهنا لا بد من توفر ظرف إقليمي ودولي ودولي عليه ودولي المنات وتحتمد والمنات والمنات والمنات ودولي ودولي ويكون نشاط المحاهر في أعلى درجات حدّته و لم يعد قابلاً بأن يحكم وهنا لا بد من توفر ظرف إقليمي ودولي

مناسب في اللحظة المحددة للهجوم. وقد طبقت هذه الاستراتيجية في روسيا عام 1917 مرتين كما طبقت في فياتنام عام 1945.

### سابعاً: استراتيجية الانتفاضة الشعبية العامة.

وهنالك نمط استراتيجية تفكيك سيطرة الطبقة الحاكمة على الجيش والأجهزة الأمنية من خالال انتفاضة شعبية "لاعنفية" شاملة. وقد طبقت هذه في الثورة الإسالامية في إيران 1979 – 1980 بقيادة الخميني في إيران. كما طبقت في عدد من دول أوروبا السشرقية ضد السيطرة السوفياتية في أوائل تسعينيات القرن العسشرين. إن هذه الاستراتيجية أصابت نجاحات في عدة بلدان وإن لم تلجأ إلى السلاح. ولكنها شكل من أشكال الحرب، كما يقول المهاتما غاندي (هندي السسلاح. ولكنها شكل من أشكال الحرب، كما يقول المهاتما غاندي (هندي الالتماسات والوفود والمفاوضات الودية، ولكن هذه ألقيت إلى الكلاب. لقد أدركت أن هذه ليست الطريقة التي تقنع الحكومة البريطانية. وقد أصبح التحريض على العصيان معتقدي. فما نحن عليه هو حرب لاعنفية".

أما شروط نجاح استراتيجية الانتفاضة الشعبية العامة فيمكن أن تلخص بن أولاً، بضرورة مشاركة شعبية واسعة متواصلة ومصممة تتحدّى القمع. وثانياً، حالة الحستلال في مسوازين القوى العالمية والإقليمية (يشل إمكان التدخل الخارجي). وثالثاً، تأسيد إعلامي عالمي مباشر أو غير مباشر (لا يتعاطف مع الحكم المستهدف). ومن هنا يمكن اعتبارها استراتيجية عنفية" ما دامت مواجهة لتبديد القوة العسكرية للعدو.

هـــذه الأنماط من الاستراتيجيات تشكل نماذج فقط، إذ ثمة أنماط أخرى قد تكون مزيجاً من نمطين أو أكثر، وهنالك استراتيجيات بدأت باستراتيجية ثم انتقلت إلى أخــرى مــثلاً اســتراتيجية الهجــوم الاستراتيجي، وقد انتقلت إلى الدفاع الاســتراتيجي إلى شــبه التوازن الاستراتيجي ثم إلى الهجوم الاستراتيجي - كما حدث في الحرب العالمية الأولى.

إن هذه الأنماط عامة في كل بند، بينما تظلّ تفصيلات تطبيق كل استراتيجية مرتبطة بقوانين خاصة - بسبب اختلاف طبيعة الحرب والزمان والمكان، بالإضافة إلى القانون العام الذي يحكم الاستراتيجية المعنية.

وكما قلنا من الخطأ الظن أن هنالك استراتيجية أفضل من الأخرى، كما هي المقولة التبسيطية الخاطئة "أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم". وقد أثبتت فسشلها في كشير من الحالات لأن لكل حرب استراتيجيتها الأكثر مناسبة والأفضل.

وأخيراً ثمية ظاهرة هامة جداً، وهي أن الاستراتيجية الصحيحة والقيادة الاستراتيجية الكفوءة تلعبان دوراً حاسماً عندما لا يتوفر تفوق حاسم على العدو، إذ ألهما تستطيعان أن تجعلا الأضعف ينتصر على الأقوى. فقد خُسرت حروب كثيرة، بسبب أخطاء استراتيجية، وعجز القيادة الاستراتيجية. كما أن كيثيراً من الحروب كُسبت بسبب صحة الاستراتيجية وعبقرية القيادة الاستراتيجية في ظروف عدم توازن في القوى المادية والعددية والتقنية في مصلحة العدو.

### التخطيط الاستراتيجي

كــل ما يمكن أن يقال عن الاستراتيجية يمكن أن يقال عن التخطيط لأن الأخــير هو ترجمة لاستراتيجية محددة، يعني إن معالجة بحال تلك الاستراتيجية، فهو يتضمنها من ناحية، وهو يصوغ تفصيلات عملية تحويلها إلى تطبيق عملي مــن ناحــية ثانــية. فإذا كان موضوع التخطيط يتناول الاستراتيجية الكلية؛ فــسيكون بحالــه التخطيط الكلي العام لكل المحالات التي تتناولها الاستراتيجية الكليبية. وإذا كـان التخطيط يتناول الاستراتيجية العسكرية فسيكون هدفه التخطيط للمهمة الموكولة للاستراتيجية العسكرية، أي وضع القوات المسلحة في التخطيط للمهمة الموكولة للاستراتيجية العسكرية، أي وضع القوات المسلحة في أقــصى وضــع ملائــم متفوق على العدو قبل بدء العمليات، فهو يتناول مسألة "كيف يتم ذلك"؟

وكلمة "كيف" تعني الدخول بالتفاصيل أي وضع برنامج العمل. فمثلاً لو كان الهدف مواجهة القوة المعادية (س) فهو سيبحث كم يلزم من القوات التي يجسب توفيرها وكذلك السلاح ومستوى التدريب كما يبحث وسائل تأمينها والمسدة - الوقت اللازم - وما إلى هنالك. ولكن إذ يعين التخطيط العسكري

العام الحاجات الواجب توفرها وكيفية توفيرها بالنسبة إلى الحرب ككل يعود للسيوزع تلك الحاجات على كل سلاح أو فرقة من أجل أن يقوم ذلك السلاح أو تلك الفرقة مثلاً، بعملية تخطيط جزئية تكتيكية لتحقيق ما هو مطلوب وهكذا.

وإذا كسان التخطيط يتناول استراتيجية العمليات؛ فسيعين التحركات العامة والتوزيعات العامة للقوات وتشكيلاتها ومجالات حركتها. ولكن تحرك كل فرقة أو سلاح لتحقيق المهمة التي وضعها مخطط العمليات، يتم، بدوره، من خلال وضع تخطيط حزئي تكتيكي يتعلق في المجال المنوط به وهكذا حتى نصل إلى عملية احتلال مخفر أو تلة.

يتنضح مما تقدم أن عملية التخطيط تحتاج إلى معرفة تخصصية عالية ومقدرة عالية، إلى جانب ضرورة توفر معلومات، ومنهج تحليلي دقيق.

يتناول التخطيط في المرحلة التحضيرية بالنسبة إلى دولة من الدول مثلاً:

- 1. صبوغ سياسة الحرب حيث تُقرر الخطوط الأساسية للسياسة العسكرية والحرب النفسية، والعمل السياسي، والجانب الاقتصادي والتنظيمي، كما تتضمن تشكيل التحالفات والتحركات الدبلوماسية.
  - 2. المرحلة التحضيرية:
- أ. المعلومات الاستراتيجية وتقويم الأخطار العسكرية والأهداف العسكرية.
  - ب. إعادة تنظيم القوات المسلحة لتكون في مستوى الحرب المحددة.
    - ج. الاستعداد للحرب أسلحة، تدريب، لوجستيقا.
    - د. التنسيق والتدريب المشترك بين مختلف الأسلحة.
      - 3. مرحلة التحرك:
        - أ. التعبئة.
      - ب. تحديد وتوزيع المصادر المادية.
        - ج. التوزيع الأولي للقوات.
  - هذه صورة للتخطيط على الطريقة البريطانية كما وصفها باليت (مرّ ذكره).

### أهم عناصر التخطيط الاستراتيجي

ولكن التخطيط الاستراتيجي لا يعني بالضرورة اتباع تلك الخطوات بكل حالسة. ولهنذا يحسن أن نعرض هنا أهم العناصر التي يجب توفرها في كل تخطيط حيد.

### 1 - المرونة في الخطة، والقوى الاحتياطية الاستراتيجية:

كــتب فريدريك إنحلز حول الخطط الاستراتيجية: "يجب التذكر، في الوقت نفــسه، أن هذه الخطط الاستراتيجية لا يمكن الاعتماد عليها كلياً في ما يمكن أن يــتولد عــنها، إذ ســتوجد، دائماً، ثغرة هنا وثغرة هناك. فالفيالق قد لا تصل في الوقت المناسب عندما تستدعى، وقد يقوم العدو بحركات غير متوقعة، أو قد يأخذ احتياطات غير متوقعة...

هذا يعني أن تؤخذ مجموعة كبيرة من العوامل في الحسبان عند وضع الخطة، ثم تسرك الخطة مرنة لكي تطبق حسب تطور الظروف. هذا وتعزز مرونة الخطة من خلال القوى الاحتياطية الاستراتيجية.

#### 2 - بُعد النظر والحيوية والفعالية:

لا بــــ من أن تتضمن كل خطة نقاطاً للتنفيذ مباشرة، وأخرى كخطوة تالية بعــد نجــاح تنفيذ النقاط الأولى، ولا بد من أن يتوفر في التخطيط عنصر الحيوية والفعالية في الانتقال من خطط قصيرة المدى إلى خطط بعيدة المدى، وبأسرع ما يمكن عند توفر الفرصة. وهذا يقتضي توفر بعد النظر، وكما يقول ماوتسي تونغ إن أسلوب التخطيط لمرة واحدة فقط، ولكل خطوة، هو أسلوب خاطئ ومضر إذ أن بعد كل تخطيط وكل خطوة من الضروري تفحص التغييرات القائمة والمحتملة.

### 3 - استمرار التخطيط والتنفيذ:

إن عملية معرفة وضع لا تكون، فقط قبل صوغ الخطة العسكرية وإنما أيضاً بعد ذلك، وإنما يجب أن تبقى مستمرة كما يقول ماوتسي تونغ، أي في أثناء تنفيذ الخطة من أول لحظة حتى نحاية العملية. لأن هنالك عملية أخرى لمعرفة الوضع، تأتي من عملية التطبيق. وهنا يجب أن يلاحظ إن كانت الخطة تتجاوب مع الواقع

المعطى، وهذا يقود لتغيير مستمر كلي، أو جزئي، في الخطة لتتجاوب مع الوضع: "إن الخطة تعدل جزئياً في كل عملية تقريباً وأحياناً تغير كلها، أما الشخص الذي يفتقر إلى المرونة ولا يعدل بخطته فيضرب رأسه بالحائط". وينطبق هذا على الخطة الاستراتيجية وإلى أصغر خطة (ماوتسى تونغ).

### 4 - الخطة والإمكانات المتوفرة:

يجب أن تصمم الخطة على محور الإمكانات المتوفرة، أو التي يمكن توفيرها فعلاً، وعلى أساس الوضع ككل وتوازن القوى واستراتيجية وتكتيك العدو، إذ لا قسيمة لخطة توضع تجريدياً من قبل مخططين في جعبتهم "خطط حاضرة". إن الخطة تعالج وضعاً ملموساً، ولا بدّ من أن تعبر بخطوطها العريضة وتفاصيلها عن الوضع الملموس.

#### 5 - الخطة وحساب الاحتمالات:

#### 6 - تماسك الخطة:

إذا كانت المرونة ضرورة لكل خطة عسكرية فلا بدّ من أن يتوفر، في الوقت نفسه، عنصر التماسك في الخطة. فالمرونة لا تعني الهلامية والتفكك، كما أن التماسك لا يعني التحجر والتحمد. إن التماسك في الخطة يجعلها قادرة على مسواجهة الانتكاسات الجزئية، كما يؤمن لها سرعة التنفيذ ومنطقيته، ومن يحافظ على الاتجاه نحو الهدف.

### 7 - التفكير الصحيح:

إذا كانــت الخطــة تعمل ضمن وضع ملموس، فإن وضعها، وحلّ مسائلها القائمــة، والـــتي يمكـــن أن تنــشأ، بحاجــة إلى تفكـــير صحيح يقود التخطيط والتنفيذ.

#### 8 - حرية الحركة:

القــصد الرئيسي من التخطيط الاستراتيجي هو المحافظة على حرية الحركة، والــسعى لحــرمان خطّة العدو منها. لأن كل من الطرفين سيحاول إنجاح خطته

وإفــشال خطــة الآخر. ولهذا لا بدّ من تأمين الأساليب التي تكفل حرية الحركة لتنفـــيذ الخطــة. وهذا يقتضي التخطيط لكسب المناورة الخارجية قبل بدء العمل العسكري.

### 9 - رؤية اتجاه التطور العلمى:

إن التخطيط على مستوى الدول، في العصر الراهن، عصر التغيير السريع في العلوم والتقنية يتطلب رؤية اتجاهات التطور على المدى المنظور، لتجنب تخصيص مبالغ ضخمة على سلاح، مثلاً، قد يصبح ملغى بعد فترة وجيزة. لذا يجب أن توضع خطة التسلح والنظام الدفاعي ضمن حركة التطور السريع نفسه واحتمالاته.

### خلاصة عامة حول الاستراتيجية

يلاحظ مما تقدم أن الاستراتيجية هي العملية التي تمتد من الهدف إلى تحقيقه، مروراً بالتطبيق العام ككل، تاركة للتكتيك عملية المعالجة الجزئية في التطبيق، ولكنها تحدد للتكتيك نظريته وتقوده ككل، كما تتلقى فعله الراجع.

إن الحديث عن الاستراتيجية يتطلب:

أ. تحديد الهدف الذي تعمل لتحقيقه، والججال الذي تعمل ضمنه (الزمان والمكان والطروف وموازين القوى).

ب. تعريف الاستراتيجية في ذلك المحال وتحديد سماتها وقوانينها.

وعندما نتحدث عن الاستراتيجية العسكرية فهذا يتطلب تحديد أية استراتيجية عسسكرية نعسني. وحتى حين نتحدث مثلاً عن استراتيجية حرب الشعب طويلة الأمسد، أو اسستراتيجية مسالحرب نظامية؛ علينا أن نحدد السمات الخاصة لتلك الاستراتيجية في الوضع المعطى.

إن وضع أية استراتيجية عسكرية يتطلب:

أولاً: تقويم وضع الحرب المعطاة:

أ. تقدير المصادر المادية والمعنوية المتوفرة.

- ب. حساب القوات العسكرية المتوفرة مادياً وبشرياً ومعنوياً وتنظيمياً.
  - ج. تقويم نظيراتها لدى العدو.
    - د. مراعاة المكان والزمان.
  - هـ. إمكانات المناورة والحركة لدى كل طرف وكيفية معالجتها.
    - ثانياً: ينتج عن تقويم الوضع:
- أ. تحديد الخطوط العريضة للاستراتيجية الأنسب ضمن وضع الحرب المعطاة
   (المفاهيم الاستراتيجية، والقوانين الأساسية لتلك الاستراتيجية).
  - ب. تحديد نظرية التكتيك الأنسب وكذلك العمليات.
    - ج. تحديد نظرية التنظيم.
    - د. تحديد أساليب امتلاك حرية الحركة.
- هـ... تحديد نسبة أهمية مختلف المحالات الأحرى على الوضع، مثلاً العمل السياسي، الستحالفات، الحالة الشعبية، الرأي العام المحلي والعالمي، وفي حبهة العدو.
- و. تحديد الأساليب والإجراءات الكفيلة بتأمين التفوق الكافي على العدو، وهدنا يدخل عدد القوات المطلوبة، الأسلحة، التدريب، أو تحديد أساليب تأمين هذا التفوق مستقبلاً في حالة البدء من نواة صغيرة.
- ثالمةً: وضع خطة استراتيجية عامة بناء على التقويم أعلاه ووضع خطط أدنى لكل بند في ذلك التقويم.

إذا كان كل ما تقدم على غاية كبرى من الأهمية فثمة جانب آخر لا يقل أهمية، بل إنه في كثير من الأحيان يحظى بالدرجة الأولى من الأهمية، ألا وهو التنفيذ المباشر. إذ بدون قيادات تنفيذية كفوءة وكوادر كفوءة على المستوى التكتيكي، فمن الصعب الحديث عن إنجاح أية استراتيجية وأي تخطيط، أو كسب أية حرب حسى ولو توفر عنصر التفوق المادي والتقني على العدو. إن مقدرة الكوادر القائدة وموهبتها تعتمدان على الوضع الاجتماعي، وعلى مدى مقدرة القيادة العليا على الحستذاب أفضل عناصر الشعب إلى صفوفها وتبني أهدافها، كما يتوقف على تأييد الشعب للقضية والحرب.

إن التقويم الاستراتيجي يجب ألا يقتصر على القوات العسكرية والأسلحة المتوفرة في اللحظة المعطاة فقط، لأن هذه لا تستطيع أن تحقق النصر إلا في حرب سيريعة، ولكن في حرب طويلة الأمد مثل الحرب الأهلية الأميركية أو الحربين العالميتين الأولى والثانية أو حروب التحرير، فعلى التقويم الاستراتيجي أن يركز على ما يمكن توفيره مستقبلاً، ولهذا لا بدّ من:

أ. أن تراعسى في حالة الحرب التقليدية بين دول من الطراز الإمبريالي، مسألة الوضع السياسي والاقتصادي والمدني في كل من الدول المتحاربة، وهذه مسألة أبدع كلاوزيفتز بالإشارة إليها.

إن عدم إدراك هذه النظرية، كما مرّ، أدى بالجنرالات الألمان في حربين عالميتين إلى الخطأ في التقدير الاستراتيجي لمدى إمكانات خصومهم على إطالة الحرب وعلى إعادة إحراز التفوق العسكري، إذ اقتصرت حساباهم على القوات العسكرية والأسلحة المتوفرة في لحظتها. وبنوا كل آمالهم على حرب سريعة. إنهم أخذوا من كلاوزيفتز نظرية الحرب المطلقة وعسسكرة السبلاد. ولكنهم لم يفهموا كل أبعاد نظريته، خاصة، فيما يتعلق بعلاقة الوضع العسكري للأمة بوضعها الاقتصادي والمدنى، إلهم لم يفهموا فكرته القائلة كما تكون في المدينة أيام السلم تكون في ساحة المعركة. وقد دفعوا الثمن حين فشل الهجوم في تحقيق نصر لهائبي سريع، واستقر القــتال علــي جــبهة طويلة، فلم يستطيعوا التعويض بقوة اقتصادهم وتقنيتهم، بينما تمكن التقدم الصناعي والمدني لخصومهم من تحمل إمداد مثل تلك الجبهة ولمدى طويل. ويكفى للتدليل على صحة هذه النظرية أن نعرف أن عدد القوات العسكرية للولايات المتحدة كان عام 1940 أربعمائة ألف رجل بينما وصل الرقم إلى ثمانية ملايين عام 1945 كما ثبت أن ضخامة الإنتاج الأميركي أمّن زخماً لا حدود له في إنستاج الأسلحة والذخائر واللوجستيقا والنقل والإدارة، وقد وصل أضعافاً مضاعفة عما كان عليه قبل الحرب (الصناعة المدنية تتحول إلى صناعة عسكرية).

ب. أن تراعسى، في حالة الحرب الثورية يخوضها جيش شعب صغير ضد عدو متفوق مادياً وتقنياً، مسألة أهمية التنظيم الثوري، والعمل السياسي، والقصية العادلة، وتفجير ذكاء الشعب وحماسته، وصحة الاستراتيجية والتكتيك، في كسب الحرب طويلة الأمد، في نهاية المطاف، ضد ذلك العدو. وقد وضع لينين أساسات هذه النظرية وأصبحت نظرية كاملة متماسكة، على يد ماوتسي تونغ، وطورتها التجربة الفياتنامية، وعدد من تجارب حركات التحرر الوطني. وبلغت في حرب تموز/يوليو 2006 على يد حزب الله قمة في تغلب الجهد الإنساني والذكاء الإنساني في (الخطة الدفاعية، "تمويه الأهداف") في التغلب على التقانة العالية للطائرات والسواريخ التي فشلت في تحديد أهدافها. وهذا كان وجهاً واحداً من أوجه تلك الحرب فقط.

### الفصل الثاني

- الاستراتيجية النووية 1949 2008
  - القواعد الأساسية في علم الحرب

# الاستراتيجية النووية 1949 – 2008 القواعد الأساسية في علم الحرب

### - القسم الأول -الاستراتيجية في العصر النووي

### مدخل عام

لا يمكسن مقارنة السلاح النووي وحامله الصاروخ عابر القارات بأي سلاح تقلسيدي آخسر. إذ إن الفرق بين الأسلحة النووية وبين الأسلحة التقليدية كيفي ولسيس كمياً. فمثلاً إن قنبلة نووية حرارية (ميغاتون واحد فقط) تستطيع أن تدمر مسئات الأميال المربعة وتقضي على أي أثر للحياة فيها، وإذا أضيف إلى ذلك توفر الصاروخ عابر القارات الذي يحملها ويضرب من أية نقطة على الكرة الأرضية إلى أيسة نقطسة أخرى في النصف الآخر، وبدقة عالية جداً، نستطيع أن ندرك التغيير الكيفي الذي أحدثه السلاحين النووي والصاروخي.

غمة فرق حاسم آخر بين السلاح النووي وبين الأسلحة التقليدية، وهو كون السلاح النووي ذا طابع هجومي أساساً، أي عكس السلاح التقليدي الذي هو دفاعي/هجومي حسب مقتضيات الحرب. وهذا يعني أن السلاح النووي مفتقر للمرونة كما أنه أفقد قيمة الدفاع في الحرب إلى حدّ بعيد. ومن هنا اقتضى السلاح النووي تبني استراتيجية تصعيد المقدرة الهجومية، وجعل الأولوية للقوة الضاربة النووية، خاصة إن ما بدا من إمكان اتخاذ إجراءات دفاع سلبي زمن القنابل الذرية قسد سقط من الحساب مع اختراع القنابل النووية الحرارية، إلى جانب تكاليفه الباهظة الخيالية. وجاءت الصواريخ عابرة القارات ومتعددة الرؤوس النووية لتسقط كل إمكانية دفاعية. وقد حرت محاولات لاكتشاف وسائل لمقاطعة

الـــصواريخ وحرفها عن مسارها ولكن المقدرة الهجومية - الاختراق - كانت قد خطــت في ذلـــك الحــين خطوتين إلى الأمام مع السيطرة على الفضاء، كما مع الصاروخ متعدد الرؤوس النووية.

طبعاً لم يستسسلم الاستراتيجيون الأميركيون لهذه المعادلة تماماً. ولهذا سعوا لتطوير الصواريخ المضادة للصواريخ منذ إعلان الرئيس الأميركي رونالد ريغان في ثمانينسيات القرن العشرين استراتيجية "حرب النجوم". وقد أُعيد إنتاجها في عهد إدارة جورج دبليو بوش في العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين. وسنأتي إلى معالجة هذه الإشكالية لاحقاً.

وإذا كان تطور التحكم بالسلاح النووي قد أدى مؤخراً، إلى تولد ما يسسمى بالأسلحة النووية التكتيكية المخصصة لاستخدام القوات البرية الآلية دفاعياً مجومياً، فإن هذا لا يلغي الطابع الجوهري الأساسي للسلاح النووي أي المجومية، إذ أن السشكل الرئيسي لهذا السلاح هو القوات الصاروخية الاستراتيجية، أي السصواريخ عابرة القارات ذات الرؤوس النووية، التي لا تستطيع حتى الآن إلا أن تكون أسلحة هجومية وعلى المستوى الاستراتيجي وليس التكتيكي.

كانست التغييرات المادية في الماضي تطرأ على التكتيك أولاً، ثم تعود لتؤثر في الاستراتيجية. أما في العصر الراهن فإن الأسلحة النووية، خصوصاً السلاح الصاروخي النووي، خرجت أسلحة استراتيجية فوراً، وأعطت للاستراتيجية طابعاً جديداً يختلف عن الاستراتيجية قبل الأسلحة النووية. فقد كان مدى الاستراتيجية ليسرتبط بمدى التكتيك والعمليات، أما الاستراتيجية النووية فمداها تعدى حدود العمليات والتكتيك، وأصبحت تصل أية نقطة مهما تكن بعيدة عن خط النار، بل أها الغست ما يسمى بخطوط النار أو جبهات القتال، أو الجبهة الأمامية والجبهة الثانية، والخلفية، وجعلت كل نقطة، أينما كانت، تحت متناولها. وإذا أضفنا إلى كل ذلك السرعة والضخامة الهائلتين للقوات البرية والقوات المحمولة جواً، فسيعني هدذا إلغاء الحدود الجبهية والجبهات وتحويل كل مكان في جبهة العدو إلى جبهة. وذلك على مستوى المواجهة بين الدول الكبرى الصناعية المتكافئة.

ثمــة فــرق آخر، لقد كانت الاستراتيجية في الماضي تحقق أهدافها من خلال العمليات والتكتيك - أي بالقوات البرية والبحرية والجوية - ولكن الوضع اختلف الآن حــيث أصــبح تحقيق النتائج الحاسمة يتم من خلال الصواريخ ذات الرؤوس الــنووية: أي الاســتراتيجية المباشرة. طبعاً في ما بين الدول المتعادلة في القدرات النووية والصاروخية.

### مراحل التوازن النووي العالمي (1945 - 2008):

لقد شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية أربع مراحل بالنسبة إلى وضع التوازن النووي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية.

#### مرحلة 1945 - 1949:

كانت الولايات المتحدة الأميركية تحتكر السلاح الذري، ولكن كانت نسبة ما لديها من القنابل الذرية محدودة، وكان الأسلوب الوحيد لنقلها يرتكز على الطيران بينما كان الاتحاد السوفياتي، في المقابل، متفوقاً أو متوازناً بالقوات المسلحة التقليدية بما في ذلك الدفاعات الجوية بالطائرات والمضادات (ولو كمياً) (1) إلى جانب اتساع شاسع لأراضيه، وإرادة لا تفل على القتال وعدم الاستسلام حتى لو واجه حرباً ذرية بضربات مثل ضربة هيروشيما وناجازاكي، ومن ثم كانت الحرب ستطول بينما كان حصوله على السلاح الذري أصبح وشيكاً. وإذا أضيف إلى كل ذلك وضع الدري العالم العالمي الذي كان معبأ ضد حرب جديدة، ولم يلملم جسراحاته مسن الحرب العالمية الثانية بعد. مما جعل الاستراتيجية النووية للإمبريالية الأميركية تتميز في هذه المرحلة:

- 1. الاستعداد لامتلاك قوة نووية كاسحة، وقوة طيران ضخمة من أجل خوض حرب شاملة حتى نهايتها، تحت الاستراتيجية المباشرة استراتيجية الهجوم المباشر.
- 2. إثارة حملة ذعر وتهديد وإرهاب في العالم من أجل إحكام السيطرة

<sup>(1)</sup> ثمــة رأي لفلادميـر لينــين يقول: "الكمية هي نوعية بحد ذاتها" (في نقاشه مع ستالين حول الدبابات).

- الأميركية على ما يسمى بالعالم "الحرّ"، وربطه بالأحلاف العسكرية، خصوصاً أوروبا الغربية وجنوب شرقى آسيا.
- تعزيــز القــوات العسكرية التقليدية في أوروبا الغربية، وإحياء العسكرية الألمانية نسبياً.
- 4. عملية تحضير سريعة عسكرياً وسياسياً، وخلق هستيريا العداء ضد السشيوعية، وتأزيم الوضع الدولي حتى الحدّ الأقصى تحضيراً لحرب عالمية ثالثة عملياً. من هنا يمكن اعتبار الاستراتيجية الأميركية في هذه المرحلة استراتيجية التحضير لحرب نووية ضمن السيطرة على أوروبا الغربية وتطوير قواتها العسكرية التقليدية، وبناء القواعد الذرية فيها كنقاط وسيطة للانطلاق على الاتحاد السوفياتي.

أما استراتيجية الاتحاد السوفياتي فكانت:

- أ. الإسراع في امتلاك القنبلة الذرية وتعزيز القوات الجوية.
  - ب. تحقيق التفوق في القوات العسكرية التقليدية.
- ج. تعبئة الرأي العام العالمي ضد الاستراتيجية الأميركية تحت شعار المحافظة على السلم العالمي.
- د. استيعاب أي هجوم نووي إذا وقعت الحرب، والانتقال إلى الهجوم بالقوات التقليدية.

### مرحلة 1949 - 1953:

فحّــر الاتحــاد السوفياتي عام 1949 أول قنبلة ذرية، كما انتصرت الثورة في الصين، وبهذا اختلّ توازن القوى بالنسبة إلى الولايات المتحدة من زاويتين:

أ. من ناحية القوة النووية.

ب. مـــن ناحـــية القوات المسلحة التقليدية خاصة في آسيا مع انتقال سبعمائة مليون إنسان في الصين إلى المعسكر الاشتراكي.

لقد تكشف هذا الاختلال في التوازن في الحرب الكورية (1950 - 1953)، عـندما أصر الرئيس الأميركي هاري ترومان على استخدام القنبلة الذرية، ولكن حسابات البنتاغون والبيت الأبيض أدركت أن التصعيد النووي في الحرب الكورية

سيرتفع إلى تصعيد على مستوى عالمي قد يهدِّد وجود الرأسمالية من الجذور. ولكن التلويح باستخدام القنبلة النووية أدى أكله في وضع سقف للهجمات الصينية لتدور حول خط عرض 38، بعد أن كادت تحرير كورية الجنوبية كلها.

حافظت الولايات المتحدة على خطوط استراتيجيتها السابقة، ولكن، عملياً، مسع تحفظ أشد في ما يتعلق بالوصول إلى نقطة الصفر، وقد أصبحت بحاجة ملحة إلى تعزيز القوات التقليدية في آسيا، لا سيما إحياء العسكرية اليابانية، والعمل على خلق حلف جنوب شرقي آسيا.

أما الاستراتيجية النووية في ما يتعلق بالعمليات، فإن تفكير الجنرالات التي الأميركيين قد انصب على استراتيجية هجوم شامل على كل المطارات التي يسهل تحديدها وتدميرها ما دامت القنابل الذرية تنقل بالطائرات، ولكن هذه الاستراتيجية سرعان ما سقطت عندما تبين أن التوزيع الحصيف للمطارات، وقدوة الرادار جعلا تحديد كل النقاط وضربها محالاً، وحاول العسكريون رسم استراتيجية هجوم مفاجئ صاعق على طراز بيرل هاربر، ولكن سرعان ما طارت هذه الاستراتيجية عندما أخذ عنصر المفاجأة يتضاءل أمام تطور الاحتياطات المختلفة.

### مرحلة 1953 - 1955:

امـــتلك الاتحــاد الــسوفياتي القنبلة الهيدروجينية قبل الولايات المتحدة، فــوحدت استراتيحية الولايات المتحدة النووية نفسها في حالة تراجع، عملياً، وأصــبحت مهمـــتها العمل الحثيث للحاق بالاتحاد السوفياتي وامتلاك القنبلة الهيدروجينية، ولكن القيادة الأميركية أعلنت عام 1954 استراتيحية الردّ الشامل الهيدروجينية، ولكن القيادة الأميركية أعلنت عام 1954 استراتيحية حرب محلية إلى مستوى الحرب الذرية. كان المقصود من هذه الاستراتيحية خلق وضع ذعر في العالم، لإخفاء اختلال التوازن من أجل الحيلولة دون اندلاع حروب التحرير علــى نطاق شامل، والضغط على الاتحاد السوفياتي، ليحدّ من تأييده لحركات التحـرر والـــثورة العالمية (مفهومها ارتبط، من جهة النظر الماركسية، بالثورة الاشتراكية في حينه).

#### مرحلة 1955 - 1960:

لم تكد الولايات المتحدة اللحاق بالاتحاد السوفياتي من خلال امتلاكها للقنبلة الهيدروجينية، حتى كان الاتحاد السوفياتي قد قفز خطوة أخرى حاسمة، إلى أمام، باختراع الصواريخ عابرة القارات، ثم توجه بالنجاح في إطلاق القمر الصناعي سبوتنيك. وبحذا اختلت نسبة التوازن اختلالاً قوياً، وتكشف هذا الاختلال في الموقياتي من الغزو الثلاثي على مصر، وتراجع بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني أمام تمديد الاتحاد السوفياتي بالتدخل إذا لم يتوقف العدوان. أما من جهة أخرى فقد كانت استراتيجية أميركا التربص بالاستعمار القديم لتحل مكانه في بسط نفوذها الإمبريالي الجديد. وقد ساعد هذا على ذلك التراجع أمام تمديد الصواريخ السوفياتية.

إن إطلاق القمسر السصناعي السوفياتي سوتنيك 1957 ثم القمر الصناعي الأميركي إكسسلورر في الشهر الأول من 1958، لم يقلا أهمية من حيث الثقل العسسكري الاستراتيجي عن تفجير القنبلتين النوويتين الأميركية 1945 ثم الروسية 1949.

عالم الأقمار الصناعية في الفضاء الخارجي أحدث ثورات في أنظمة المراقبة والتحسس والتعقب الأرضي، وتطوير الصواريخ والقنابل الذكية سرعة ودقة، كما إدارة حرب الدبابات وحروب الطائرات والأساطيل البحرية وأجهزة الملاحة الجوية والبحرية، وتصوير ومراقبة التقلبات الجوية وإعطاء توقعات مناخية أدق. ومن ثم تحديد الطرق والأماكن والمواقع أينما كان، وتطوير آلات التقاط الصور، فما نشهده اليوم من تلفاز وإنترنت ما كان ممكناً لولا إطلاق الأقمار الصناعية، وهكذا التطور يبدأ عسكرياً ليعم الحياة المدنية بعد ذلك، ويولد ما أخذ يعرف باسم عصر المعلومات.

ولا مبالغة إذا قيل إن الأقمار الصناعية أصبحت قاعدة التكنولوجيا العسكرية والمدنية. ولم يعد من الممكن تصور ماذا يحدث في حالة تدميرها. ولهذا عندما دمر السصينيون عام 2007 قمراً صناعياً لهم من خلال صاروخ لم تلتقط مساره أجهزة الرادار الغربية أحدثوا زلزالاً في هيئات الأركان العسكرية في الناتو. لأن ذلك يعني

الخطر على الأقمار الصناعية الغربية مما يترك القوات العسكرية مشلولة وعمياء وغسير قادرة على التحرك. ولكن لم يمض عام حتى أطلقت الولايات المتحدة صاروخاً اصطاد قمراً صناعياً أميركياً في الفضاء. ثم أعلن بعد شهر أن روسيا قادرة على اصطياد الأقمار الصناعية.

ومن هنا، فقد أصبح على رأس المهمات كيفية حماية الأقمار الصناعية واستمرارية عملها وإلا فإن كل ما يجري على الأرض في الجالين العسكري والمدني سيتوقف إن لم يجعل يخبط حبط عشواء. فما كان قد صمّم ليكون فعل هجوم أصبح بحاجة إلى فعل دفاع عنه لتبدأ جولة أخرى من السباق بين الدفاع والهجوم أو يختلط في الفضاء الخارجي الدفاع والهجوم ببعضهما.

أما مسن جهة أخرى، وبما يتصل بتطور الأقمار الصناعية فقد أدّى اختراع الصواريخ عابرة القارات إلى هزّ استراتيجية الطيران الأميركي، وكل أحلام الغطاء الجسوي، واستراتيجية بسيرل هاربر نووية، واستراتيجية الردّ الشامل، ولم تعد السولايات المستحدة بعيدة من مدى المعركة النووية، وهذا بدوره أفسح المحال أمام حركات التحرر الوطني للنهوض، كما أسهم، ولو بصورة غير مباشرة، في نجاحاتما السيّ تحققست خلال خمسينيات القرن العشرين، وهي مرحلة الاختلال في ميزان القوى العالمي بين قوى كبرى تتراجع وأخرى تتقدّم.

### مرحلة 1960 - 1980:

استطاعت السولايات المتحدة اللحاق بالاتحاد السوفياتي في محال الصواريخ عابرة القارات، وهنا عاد التوازن النووي والصاروخي. ودخل الوضع استراتيجياً مسرحلة جديدة. وكانست النتيجة أن أصبح لدى الطرفين شبكة ضخمة من السصواريخ محددة الأهداف، وبدأ الإمبرياليون الأميركيون يفكرون باستراتيجية السخربة الأولى، ولكن تبين أن الاستراتيجية المقابلة: استراتيجية البقاء بعد الضربة الأولى أصبحت حقيقة واقعة خصوصاً بعد انتشار الغواصات ذات الصواريخ النووية السيّ لا يمكن تحديدها كلها، وأن أية ضربة أولى مهما كانت قوية وكثيفة لن تقضي على الطرف المقابل الذي سيُبقي بين يديه إمكان توجيه ضربة ثانية، وبالقوة نفسها على الأقل. وهنا حلّت محلها استراتيجية الردع DETERENCE STRATEGY على الأقل. وهنا حلّت محلها استراتيجية الردع DETERENCE STRATEGY

السي تعني استراتيجية البقاء بعد الضربة الأولى، وقد اتبعها كينيدي بالاستراتيجية السي عبر عنها ماكسويل تبلور "استراتيجية الردّ المرن والردع المتدرج" أي أن كل إجراء "معاد" يواجه بردّ مناسب عن طريق استخدام قوة كافية لردعه، ولكن ليس أكثر مسن القوة الضرورية لذلك، من أجل الحيلولة دون التصعيد إلى حدّ الاشتباك النووي مع الاتحاد السوفياتي.

### مرحلة 1980 - 1990 (استراتيجية "حرب النجوم"):

جاءت هذه المرحلة بعد انتقال الاتحاد السوفياتي إلى الهجوم على مستوى النفوذ العالمي بعد هزيمة أميركا في فياتنام 1976. فقد راح يتقدّم في أفريقيا وجنوب شرقي آسيا (فياتنام، كمبوديا، لاوس)، وتمادى حتى على المعادلة الدولية التي حكمت الوضع في أفغانستان وصولاً إلى احتلالها بقواته العسكرية 1980. و لم يترك موقعاً على خريطة العالم إلا وحاول من نفوذه إليها.

اتّسم الوضع العالمي مع بداية الثمانينيات بمجوم سياسي عام سوفياتي وتراجع أميركي عام كان في مقدمته خسارة إيران وإن لم يعوّض ذلك خسارة السوفيات لمصر، ولا المواجهة بين السوفيات والصين. الأمر الذي دفع الاستراتيجية الأميركية إلى السعي لإحداث خرق في ميزان القوى النووي السعاروخي من خلال طرح استراتيجية "حرب النجوم" عساها تستعيد مكانة متفوقة في ميزان القوى العسكري ومن ثم النفوذ العالمي. وقد صحب ذلك دعم للمعارضات حيثما انتشر السنفوذ السوفياتي لا سيما حشد الدعم العربي والاسلامي للمقاومة الأفغانية.

استراتيجية "حرب النجوم" كانت تعني السياق التقني على مستوى الصواريخ المصادة للصواريخ. هذا السياق يحتاج إلى بحوث وتجارب مرهقة جداً لموازنة الدولة. وقد اندفع الاتحاد السوفياتي بدوره إلى هذا السباق فيما إمكاناته المالية والاقتصادية لا تقارن بما لدى الولايات المتحدة بسبب نفوذها الإمبريالي العالمي وما تسراكم من شروات وإمكانات. وهذا وقع الاتحاد السوفياتي تحت مطرقتين استنزافيتين الأولى حرب النجوم وتكاليفها الباهظة وحرب أفغانستان، وتوسع نفوذه العالمي.

وبالمناسبة، ثمة قضية كانت دائماً، ولم تزل، جديرة بالتفكير وهي ببساطة: كيف يمكن أن تفحّر صواريخ حاملة رؤوس نووية في الجو وفي أية نقطة قبل وصولها إلى أهدافها من دون أن تترك إشعاعاً نووياً هائلاً لا يمكن توقع مداه أو نستائحه. ويكفي أن نأخذ في الاعتبار ما حدث من تسرب إشعاعي عندما تصدّع جزء من الموقع النووي شيرنوبل، فكيف عندما تتفجّر عشرات أو مئات الصواريخ حاملة الرؤوس النووية. وهذا لا يمكن اعتبار ما يسمّى بالدرع الصاروخية يشكل دفاعاً ضد حرب نووية. عادت إدارة جورج دبليو بوش (2001 – 2008) إلى تبنّي الاستراتيجية الخرقاء غير المجدية.

### مرحلة 1991 - 2001:

لم ينت العام 1990 ويدخل العام 1991 حتى كان الاتحاد السوفياتي قد أخذ يستفكك ومعه ومن قبله حلف وارسو. طبعاً كانت لهذه النتيجة غير المتوقعة في الأقهل من حيث زمانها وطريقة حدوثها، أسباب لا تقتصر على ما عاناه من الاستنزافين المذكورين (حرب النجوم واحتلال أفغانستان) وإن كان لهما دورهما المقهدر، من ناحية مباشرة، في تسريع هذا الانحيار الذي قلب التوازن الاستراتيجي العسمكري في الحسرب الباردة (1949 – 1991) رأساً على عقب في غير مصلحة الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو.

بــدا للعالم أن أميركا خرجت من الحرب الباردة الدولة الكبرى الوحيدة من حــيث قوتما العسكرية التقليدية وفوق التقليدية. وكانت كذلك إلى حد بعيد من حيث الظاهر. ولكن ليس بالقدر الذي يمكن اعتبار ذلك حاسماً ونمائياً. أما السبب فيرجــع إلى احتفاظ روسيا وهي تنهار في عهد بوريس بالتسين بكامل ما امتلكه الاتحــاد السوفياتي من صواريخ وقوة نووية وتقانة (تكنولوجيا) وأسلحة تقليدية. فمــن هذه الزاوية أو من وجهة نظر فون كلاوزيفتز لا تكون أميركا قد حسمت الحرب ما لم تجرد العدو من سلاحه حتى لو هزم في الحرب وأخذ بالتراجع.

أضف إلى ذلك أن القوى النووية الأخرى، ولا سيما الصين، بقيت محتفظة بقدراتها وإمكانات تطورها، وإن انحنت أمام العاصفة من دون أن تستسلم. وحتى أوروبا الغربية ما كان لها أن تكون سعيدة تماماً إذا أسفرت نتيجة الحرب الباردة

عن استفراد أميركا بالقوة العسكرية. وتمكنت من إقامة نظام عالمي أحادي القطبية. ولهذا لم تمر خمس سنوات على الحدث المدوي بالهيار الاتحاد السوفياتي حتى بدأت تتعالى أصوات وبيانات مشتركة من الصين وفرنسا وروسيا وبلدان أخرى تطالب بأن يكون النظام العالمي متعدد القطبية. لأنه كذلك في واقع الحال من حيث القوى النووية والصاروخية والمنافسة الاقتصادية والنفوذ السياسي وإن كانت أميركا رقم (1) فيه. ولكنها ليست القوة المنفردة والحاكم بأمره إذا ما تقاطع الآخرون في معارضتها وسعوا إلى نظام متعدد القطبية.

وخلاصة مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة لم تكن مرحلة تصفية القوى السنووية الأخرى على يد المنتصر الأميركي. ولم تكن مرحلة النجاح في إقامة نظام أحادي القطبية وإنما كانت مرحلة محاولة ذلك بتعثر شديد. بل أخذت تظهر شيئاً فشيئاً نقاط الضعف الأميركي. وفي المقدمة عدم قدرتها على ضبط نظام عالمي تتحكم فيه كما في دوله الكبرى العسكرية والاقتصادية والسياسية الأخرى (أوروبا والصين وروسيا وبقية دول العالم). فمال الوضع العام إلى الفوضى "تحت قيادتها" أكثر منه إلى النظام. ووصل الأمر في الحملة الانتخابية الرئاسية (2000) أن صرح جورج دبليو بوش أن أميركا أصبحت مسخرة في العالم في عهد بيل كلنتون.

### مرحلة 2001 - 2008 (استراتيجية الحرب على الإرهاب):

فبدلاً من أن تتبنى أميركا، استراتيجية استكمال نصرها على الاتحاد السوفياتي من خلال تجريد روسيا من أسلحتها النووية والصاروخية وقدراتها العلمية (حاولت حرزئياً، بلا تركيز، في عهدي بيل كلنتون مثلاً شراء تلك الأسلحة والقدرات). وبدلاً من أن تستمر في احتواء الصين والحيلولة دون تطويرها لأسلحتها النووية والصاروخية ولقدراتها العلمية والتقنية ناهيك عن نموها الاقتصادي السريع، وبدلاً من أن تعيد صوغ علاقاتها التحالفية بأوروبا، تبنت إدارة بوش، وعلى الخصوص بعدد 11/9/10 استراتيجية جعلت أولويتها "الحرب على الإرهاب" أي دحرت إلى الخلف الاستراتيجية النووية لتركز على تنظيم القاعدة وتشعباته. بل راحت تركز على المقاومة في فلسطين ونبنان وعلى عدد من الدول التي اعتبرتها "مارقة":

أفغانــستان، العــراق، سورية، إيران، فشنت سلسلة من الحروب كانت نتائجها سلسلة من الإخفاقات والأزمات والاستنــزاف.

إن الحلل الأساسي في هذه الأولوية كولها راحت توجه الضربة إلى جبهات ثانوية، وتركت القوى المنافسة العسكرية والاقتصادية والعلمية الرئيسة تستعيد أنفاسها وقولها بلا ضغوط. وبهذا أتاحت الفرصة أولاً، للرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن يعيد بسناء الدولة الروسية القوية (تطهير مراكز القوى المؤمركة المصهينة) وكذلك الجيش والأجهزة الأمنية ويطور الاقتصاد وينعشه لتصبح روسيا دولة نووية – صاروحية كيرى. كما أتاحت الفرصة ثانياً للصين بتطوير قدراتها النووية والصاروحية والتقنية والاقتصادية حتى أصبحت الآن دولة منافسة في أكثر من مجال، وكذلك أتيح للهند أن تتطور نووياً وصاروحياً واقتصادياً. أما أوروبا فعززت وحدتها وقدراتها الاقتصادية حتى أصبح اليورو منافساً عالمياً حقيقياً للدولار.

وخلاصة، يمكن القول إن ميزان القوى العسكري على مستوى الأسلحة الاستراتيجية النووية – الصاروخية استعاد ما يشبه موقعه السابق تقريباً. الأمر الذي رشح العالم لسباق نووي – صاروخي جديد لمرحلة ما بعد 2008.

### الاستراتيجية النووية لمرحلة 2009 - 2020:

يمكن بالاستناد إلى الملامح الأولى التي أخذت تطبع الاستراتيجية النووية السماروخية بين استراتيجيي أميركا وروسيا أن يشار إلى سمة رئيسه من سمات الاستراتيجية النووية لمرحلة ما بعد 2009 وربما إلى عشر سنوات قادمة. وذلك إذا افترضنا أن الاتجاه الذي كرّسه فلاديمير بوتين في استعادة دور روسيا باعتبارها دولة نسووية – صاروخية كبرى كما كان الاتحاد السوفياتي (مع الفارق بالتأكيد)، سوف يستمر للعشر سنوات القادمة من جهة وإذا افترضنا أن أميركا ستعود إلى إعطاء الأولوية للسباق الاستراتيجي النووي مع الدول الكبرى الأخرى (استراتيجية الإحتواء)، وليس لأولوية "الحرب على الإرهاب، يحمل درجة عالية من الهلامية ولا علاقة له بتوازن القوى الاستراتيجي.

مسنذ 2007 أو قبيله بدأ التركيز في الاستراتيجية الأميركية على تطوير الصاروخ المسضاد للسصواريخ أو ما يشبه العودة إلى استراتيجية "حرب النجوم" التي طويت مع

الهيار الاتحاد السوفياتي. ومنذ قرار موضعة الرادار وقاعدة الصواريخ المضادة للصواريخ في بولـندا وتـشيخيا، تكـون المرحلة القادمة قد أخذت تتجه إلى استراتيجية نووية أميركـية جديدة بعد خمسة عشر عاماً من انتهاء الحرب الباردة. أي استراتيجية الدفاع الصاروخي ضد استراتيجية الهجوم الصاروخي النووي. الأمر الذي يعني إعادة الاعتبار إلى "الدفاع"، بعد تحقيق إنجازات في هذا المجال، في مواجهة الهجوم النووي الصاروخي الـندي كان سائداً في المراحل السابقة منذ تفجير قنبلتي ناجازاكي وهيروشيما، وكان محرد افتراض نظري في مرحلة الثمانينيات من القرن العشرين.

في المقابــل أعلــنت الاستراتيجية النووية - الصاروخية الروسية المقابلة بألها سترد بتطوير، أو بالتوسع في، امتلاك الصواريخ متعددة الرؤوس النووية بحيث تبقى متفوقة عددياً على أعداد الصواريخ المضادة للصواريخ. وهذا يبقى التفوق للهجوم النووي على الدفاع ضده.

فالاستراتيجية الروسية الجديدة، والتي ستلحقها الصينية، لن تدخل في المنافسة حــول التفوق في "حرب النجوم"، كما فعل الاتحاد السوفياتي في ثمانينيات القرن الماضــي، وإنما ستنتج عدداً أكثر دائماً من الصواريخ متعددة الرؤوس النووية، التي هي في متناول اليد، وهي أقل تكلفة، ويمكن أن تدخل في الإنتاج الكثيف أو تطور لتصبح أشد مراوغة، أو أكثر إفلاتاً من الصواريخ المضادة لها.

وخلاصة أن تطوير الصاروخ المضاد للصواريخ (الدرع الصاروخية) وتحسين السصاروخ متعدد الرؤوس النووية هما ما سيطبع الاستراتيجية النووية بطابعهما في المسرحلة القادمة. مما سيبقى توازن الرعب النووي وتوازن الردع النووي قائمين في المسدى المنظور ما لم تحدث "مفاجآت" سياسية تغير موازين القوى السائدة في ما بين الدول الكبرى.

أما السمة الثانية للسباق الاستراتيجي الصاروخي في المرحلة القادمة فقد افتتح بالها السصاروخان السصيني والأميركي اللذان أسقط كل منهما قمراً صناعياً في الفضاء. مما يجعل المرحلة القادمة سباقاً بين تدمير الأقمار الصناعية والدفاع عنها أو عدم السسماح بتدميرها كلها من خلال إيجاد بدائل لها. وهذا كله يدخل بطبيعة الحال في إطار الأسلحة ما فوق تقليدية.

ومرة أخرى، السؤال: هل سألت استراتيجية الدرع الصاروخية نفسها عن مدى "صدقيتها" الدفاعية حتى لو استطاعت أن تدمر كل الرؤوس النووية الموجهة إلى أهدافها، ولم تفقدها الاستراتيجية الروسية المقابلة تلك الصدقية أصلاً، أو السؤال، بصورة أوضح، ماذا يحدث لأميركا وأوروبا بل معظم الكرة الأرضية لو فحرت الصواريخ حاملة الرؤوس النووية في الجو أو حرفت عن مسارها لتنفجر "بعيداً" عن أهدافها. ومرة أخرى، هنا، يكفي تذكر آثار تسرب الإشعاع النووي من محطة شيرنوبل؟

### مسائل الحرب النووية:

إذا كانــت السمة المميزة للأسلحة النووية ككل أنها هجومية، فلا بدّ من أن تبرز ثلاث قضايا استراتيجية أساسية:

- 1. تصعيد المقدرة الهجومية وجعل الأولوية للقوة الضاربة.
- 2. إجراءات دفاع سلبي محدودة التأثير كالملاجئ تحت الأرض والأقنعة. وقد سقطت من الحساب مع القنابل النووية الحرارية والصواريخ عابرة القارات، فضلاً عن تكاليفها الخيالية (بناء كل ما فوق الأرض تحت الأرض وفي الأعماق).
- 3. محاولة اتخاذ إجراءات دفاعية لحرف الصواريخ عن مسارها. ولكن على الرغم من النجاحات المحدودة لهذه الإجراءات إلا أن القوة الهجومية ظلّت مستفوقة وأصبحت السمة السائدة الآن في التسابق التقني الذي تدور بين قسوة الاختسراق وقسوة المقاطعة التعرضية للصواريخ، وقد تفوقت قوة الاختراق كثيراً مع تطور السيطرة على الفضاء، كما مع تطوير الصواريخ متعددة الرؤوس النووية.

ولقد نشأت أمام هذا الوضع خمسة احتمالات لاستراتيجية نووية.

أولاً - استراتيجية الهجوم المباشر: وتنقسم إلى استراتيجيتين:

أ. استراتيجية تدمير أسلحة العدو النووية (ضرب مواقع القوة النووية الضاربة).

ب. استراتيجية تدمير اللدن.

ثالثاً - استراتيجية الحماية المادية ضد الانفجار النووي. وقد دفعت إلى المؤخرة.

رابعاً - استراتيجية الردع - البقاء بعد الضربة الأولى.

خامــساً – استراتيجية التفوق في الصواريخ متعددة الرؤوس النووية في مقابل استراتيجية الصواريخ المضادة للصواريخ.

من الواضح أن هذه الاستراتيجيات ابتعدت عن الحرب النووية الحامية، خصصوصاً، الاستراتيجية الرابعة والاستراتيجية الخامسة وقد أصبحتا استراتيجية العصصر - عصر التوازن الذري وتجنب التصعيد النووي. ولكنها في الواقع حرب غيير معلنة تجرى في مضمار سباق تقني، يحاول فيه كل طرف إلغاء سلاح الآخر. وقد سماها بعض منظري الغرب حرب لوجستيقا استراتيجية، تكتيكها - صناعي - تقني - علمي - مالي، أي هي حرب استنـزاف بكل معني الكلمة، ولكن دون إراقة دماء، تستهدف تدمير أسلحة العدو، وتفرض عليه تكاليف باهظة للحاق، فمــثلاً طائرات 1945 ألغتها طائرات 1950، وهذه ألغتها طائرات 1955 وهكذا. ومسئال آخر، جاء الرادار ضد الطائرات كإجراء دفاعي ثم ألغته الطائرات شاهقة العلــو التي تجاوزت الرادار، وألقت المدافع المضادة للطائرات في متحف التاريخ الا بحدود إجبار الطائرات على العمل من علو شاهق حداً مما يضعف من فعاليتها. ثم جاءت الصواريخ أرض أرض الني لا يمكن مقاطعتها فجعلت الطيران يفقد مرابضه ما دام مربوطاً بقواعد ومطارات ثابتة، كما أدى اختراع الصواريخ أرض جو إلى جعل الطيران العالى ملغي، ثم عاد فاستعاد مكانته من خلال الصواريخ جو أرض التي تطلق من الطائرة دون أن تكون في منطقة تمديف صواريخ أرض جو. ثم بدت إمكانات لمقاطعة الصواريخ أرض أرض فبرزت إمكانات الاختراق من المحطات الفضائية والصواريخ متعددة الرؤوس... إنها حرب غير معلنة ولكن نتائجها حاسمة. لهــذا يمكن القول إن حتمية الحروب في ما بين الدول الإمبريالية لم تعد شيئاً دورياً ولا حتمياً وإنما هي مسألة يومية يعيشها العالم كل يوم وكل ساعة. إذا كانت الدول الرأسمالية العالمية في انسابق تعالج أزمتها الخانقة عن طريق الحرب، فها هي ذي الآن تخوض حرباً يومية لتخفيف هذه الأزمة، ولكنها ليست حرب نيران. أمــا مسألة الدافع الآخر لحتمية الحروب الإمبريالية، أي هدف إعادة اقتسام العالم فقــد أفــسحت لــه استراتيجية التوازن النووي مكاناً واسعاً في الأجندة، ضمن اســتراتيجية الردّ المرن في مرحلة الحرب الباردة كما حروب التدخل الخارجي التي عرفتها مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة.

إن استراتيجية الردع النووي مقرونة باستراتيجية "الردّ المرن" في مرحلة الحسرب السباردة كانت تعني أن استراتيجية التوازن تقضي بعدم التصعيد بين معسسكري الناتو ووارسو. ولكنها تعني، في الوقت نفسه، إفساح مكان واسع لاستخدام الحسرب التقلسيدية، أو ما يسمى بلغة استراتيجية التوازن النووي "بالحروب المحدودة" وهو اسم أطلق سابقاً على كل الحروب ما عدا الحرب التي تستبك فسيها موسكو مع واشنطن. وهذا اقتضى تطوير الأسلحة التقليدية، والقسوات التقلسيدية، بمسا في ذلك القوات المضادة لحروب الغوار أو حروب المقاومة الشعبية.

ومن هنا فيان الاستراتيجية الكلية للدول الكبرى وفي مقدمها الإمبريالية الأميركية تبدأ من رأس هرم تقف عليه استراتيجية التوازن النووي، والسباق التقني السصاروخي وتجنب التصعيد إلى حرب نووية. ثم تندرج تحته استراتيجية الحروب المحدودة. وهذه لها شكلان رئيسان:

أ. في المناطق الحيوية، حرب محدودة سريعة القرار، وعنيفة جداً أحياناً ولكن قصيرة جداً، هدفها فرض الأمر الواقع يتبعها مفاوضات - مثال الغزو الثلاثي على مصر، وحرب العدوان الأميركي على الدومنيك وما تسلاه من خلق وضع في مصلحة الإمبريالية، أو حروب أميركية أو أطلسية منا بعد انتهاء الحرب الباردة مثل الحرب على يوغسلافيا والعراق وأفغانستان.

ب. حــروب استنــزاف طويلة الأمد - تقليدية وغوارية - (كوريا، فياتنام، أفغانستان، فلسطين) أو حروب المقاومة بعد انتهاء الحرب الباردة (العراق، أفغانستان، لبنان، فلسطين).

هـــذا ولم نتعــرض للشكل أو الأشكال الأخرى مثل الانقلابات العسكرية وعمليات التخــريب والاغتــيال والحرب النفسية، والحروب المضادة عن طريق العملاء المحليين، والتي تسمى بالحروب الخاصة.

### التطورات الجديدة في العصر النووي:

لعـــل أبرز السمات من حيث الأهمية في عصر ما بعد انتهاء الحرب الباردة، بعــد سمـــة الحروب الشعبية والمقاومة وإفشال الاحتلالات. هي سمة التقدم التقني الجبار في الجحال العسكري حيث حدثت تطورات هائلة في:

- 1. الاستمرار في تطوير السلاح الصاروخي النووي الاستراتيجي (الصواريخ عابرة القارات متعددة الرؤوس، بعيدة المدى والمتوسطة، والصواريخ السنووية بعيدة المدى والمتوسطة التي تحملها الغواصات والسفن الحربية والطائرات).
- الصواريخ النووية التكتيكية. فضلاً عن القنابل والصواريخ الذكية والموجهة والمبرمجة.
- الــصواريخ أرض جــو، جــو جو، جو أرض المضادة للطائرات والدبابات والغواصات والسفن الحربية.
  - التطورات في التقنية الإلكترونية الرادارات، والأدمغة الإلكترونية.
- الـــتطورات في بناء الطائرات والطوافات، والدبابات، والغواصات (خصوصاً ذات المحركات النووية) فضلاً عن مختلف صنوف الأسلحة التقليدية.
- 6. تطوير الصصواريخ المضادة للدبابات والطائرات المحمولة على الكتف أو المتنقلة الخفيفة، أو قريبة المدى ومتوسطته.
- 7. تطوير وسائط الاتصال والاستماع والتشويش والرؤية البعيدة والليلية والتصوير والرصد وتحديد الأهداف.

8. تطوير حفر الأنفاق وأساليب التمويه والسرية في الدفاع والرد الصاروخي وإعطاب الدبابات وشل حركة الطوافات في الحروب ضد التكنولوجيا والجيوش المتقدمة (تجربة حزب الله في حرب تموز/يوليو 2006 في لبنان).

لقد أدت هذه التطورات إلى البحث المستمر من قبل جيوش الدول الكبرى لاكتشاف أساليب وأشكال مواجهة حروب المقاومات الشعبية المختلفة بما في ذلك إعادة تسليح القوات بالأسلحة والأعتدة الجديدة، واستحداث التشكيلات المناسبة، وإيجاد طرق وأساليب تدريبها على خوض الحرب، وقد اقتضى كل ذلك إعادة الهيكل التنظيمي للقوات ونشوء أسلحة جديدة، وإحداث تطور كيفي في النظريات العسكرية، خصوصاً، في ما يتعلق بتعاون مختلف صنوف الأسلحة في ظلّ السلاح الصاروخي النووي الاستراتيجي، كما في ظل السلاح الصاروخي بعامه والطيران، كما على مستوى تشكل القيادات الميدانية العسكرية السياسية والاعلامية كوحدة متناسقة أو بكلمات أخروب التي تواجه بمقاومة شعبية مسلحة. وذلك من القوانين الموضوعية التي تحكم الحروب التي تواجه بمقاومة شعبية مسلحة. وذلك من قبل الطرفين: المعتدي والمعتدى عليه.

على السرغم من كل هذه التطورات فإن التقدير العسكري الآن ما زال يقسول إن الأسلحة النووية الاستراتيجية لا تستطيع وحدها تحقيق النصر في ما بين السدول الكبرى وإنما لا بد من إكمال التدمير الاستراتيجي الذي تحدثه، بوسساطة القوات التكتيكية، أما ما هو أهم من كل ذلك فبقاء الدور الحاسم للإنسسان في الحسرب. وذلك بالرغم من كل هذه التطورات المادية والتقنية المذهلة. وهنا تجدر استعادة مقولة ستروكوف: "ومهما بلغت درجة كمال العستاد الحسديث فإن النصر لا يمكن تحقيقه إلا بالمحاربين المصقولين من الناحية الفكرية، والقادرين على التضحية اللامحدودة، والحائزين على مهارة تقنية عالية، وانضباط فولاذي، وقدرة كبيرة على التحمل. وكلما ارتفعت الصفات المعنوية والعسسكرية للمحاربين وشجاعتهم وثباقم كلما أمكن الاستفادة القصوى من الطاقسة الجبارة للعتاد الحديث". ولكن هذا لا ينطبق على الجيش النظامي فقط وإنما انظباقه على المقاومة أشد وأولى.

### الصدقية والمعقولية CREDIBILITY

تعني المقدرة بالمفهوم التقليدي حجم القوة المادية للقوات المسلحة على أساس عدد القرات، وكثافة النيران، والحركة، والدعم اللوجستيقي إلخ. وهذه تعزز بالستدريب الأفسضل والتنفيذ الماهر والتطبيق الصحيح للقواعد الأساسية في علم الحرب، والعوامل المعنوية والإنسانية الأخرى.

ويقول باليت: "أما المقدرة في العصر النووي فلا تقاس فقط بامتلاك السلاح السنووي والصاروخي إذ لا بدّ من أن يضاف لها مسألة معقولية استخدامها، وكما تسمى الآن عامل المعقولية بالنسبة المن عامل المعقولية بالنسبة إلى قسوة نووية بمدى إمكان استخدام تلك القوة من قبل الذي يمتلكها إذا نشأت الحاجة". وهذه مسألة محكومة بسلسلة من الاعتبارات مثلاً:

- أ. المكان والسكان: إن عنصر المعقولية في استخدام السلاح النووي من قبل بلد صغير مصنع كثيف السكان مثل بريطانيا أضعف جداً من بلد زراعي واسع أقل عرضة للإبادة. لأن مغامرة بلد مثل بريطانيا في حرب نووية تعين دماراً كلياً لحضارتها وسكانها. ولكن هذه المعقولية تقوى في حالة تأكدها بأنها تستطيع مسح العدو بأخذ المبادرة الأولى، ولكن مثل هذا الإمكان يسسقط أمام التوزيع الحصيف والإخفاء الجيد للسلاح النووي ووجود الغواصات النووية والمحطات الفضائية. أو بعبارة أخرى أمام إمكان البقاء بعد الضربة الأولى لدى العدو.
- ب. مــدى قوة الضربة المقابلة: إن بلدا كبيراً مثل الولايات المتحدة الأميركية يحــتلك قــوة نووية هائلة تتوقف معقولية استخدامه للسلاح النووي على قضيتين:
- 1. إذا استطاع اكتشاف مواقع القوة النووية والصاروخية لدى خصمه، بمسستوى مائة بالمائة وليس أقل، وتأكد أن باستطاعته مسحها بأخذ المبادرة الأولى. ولكن هذه مسألة محالة.
- 2. إذا قــدر أن الضربة الثانية من الجهة المقابلة لن تؤدي إلى دمار كامل يصغر أمامه أي نصر يمكن أن يناله بتدمير خصمه.

ولكن هنده المسألة أصبحت مفروغاً منها، بعد أن غدا من الثابت أن مدى قوة الضربة المقابلة ستلغي قيمة أي نصر يمكن أن تحرزه القوة النووية المبادرة.

لذلك إن معقولية استخدام القنابل النووية في الوقت الراهن وإلى أمد بعيد – ما لم تحدث اكتشافات تقنية (تكنولوجية) غير متوقعة بالنسبة إلى مقاطعة الاختراق للسزيادة المعقوليية تماماً لا سيما مع الصواريخ متعددة الرؤوس النووية.

إن مــسألة المعقولـية لعبت دوراً رئيساً في استراتيجية الولايات المتحدة الأميركية، إذ حاولت باستمرار إقناع الاتحاد السوفياتي وشعوب العالم بمعقولية استخدامها للسلاح النووي، وذلك لكي تفرض تراجعات وتكبت حركات التحــرر. وهـــذا مــا يفــسر استراتيجية شفير الهاوية التي تبناها دالاس، كما يفسر استراتيجية الردع منذ أيام كندي حتى اليوم، وهنا تلعب الحرب النفسية السيكولوجية دوراً حاسماً في مرحلة الاستراتيجية النووية معززة بعمليات الاستطلاع والتحسس (مـــثل حادثة طائرة يو2 U2) لإضعاف معقولية الخصم من خلال إقناعه بزيادة المعقولية لدى الطرف الآخر نتيجة تحديد مواقع قواه النووية الضاربة. أو باتخاذ إحسراءات تصل الحدود القصوى التي تشرف على التصعيد (مثل حادثة حصار كوبا) لإيهام الطرف الآخر أن درجة المعقولية عالية جداً لدى خصمه. ولكن كــل هــذه الإجـراءات، بما في ذلك قصف فياتنام الشمالية، لم يأت كنتيجة للمقدرة النووية، ولا لتوفر المعقولية فعلا، وإنما جاء نتيجة معالجة عنصر المعقولية لدى الاتحاد السوفياتي الذي كان يخشى دائماً الدخول في لعبة المعقولية، أو كان يرى ما واجهه من نقاط تحدى لا تستحق المغامرة كوريا، كوبا، فياتنام. ولهذا كان من الممكن أن يحدث الشيء نفسه بصورة عكسية، لو عولجت عناصر المقدرة والمعقولية بصورة مختلفة من قبل الاتحاد السوفياتي أو لو تعلقت التجربة بقضية أشد حيوية بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتي من كوريا وكسوبا وفياتنام. لأن عنصري المقدرة والمعقولية لدى الولايات المتحدة الأميركسية، عملياً وموضوعياً، ليسا متفوقين على الاتحاد السوفياتي، عملياً وموضوعياً، بل، ربما كان العكس هو الصحيح<sup>(1)</sup>. وهنا تفوق لدى الأميركيين عنصر الشجاعة والثبات والذكاء والحسابات الدقيقة لفرض حدود على الخصم لا يجوز أن يتعداها. مما لعب دوراً هاماً ضمن التوازن النووي في مرحلة الحرب الباردة.

إن مسألة التراجع عند اقتراب ساعة الصفر لا بدّ واقعة من أحد الطرفين، وإن كان الآخر لا يقلّ استعداداً عن التراجع أيضاً، فالمسألة من الذي يتراجع أولاً؟ ربما كان هذا الوضع على ضخامته وخطورته يشبه ذلك النوع من المبارزة التي كان فيها كل من البطلين يضع إصبعه بين أسنان الآخر ثم يأخذ كل منهما بعض إصبع الآخر، والذي يصرخ أولاً هو المهزوم بينما لو انتظر لحظة كان الآخر سيصرخ. ومن الشروط التي تجعل الآخر يصرخ أولاً هو إشعاره أنك لن تصرخ أبداً. ولكن في الحالتين تكون اللعبة خطرة. وما تنبغي المغامرة فيها.

إن قوة المعقولية متوفرة، فعلاً، في حالة التعرض لهجوم نووي... هذه المعقولية متوفرة حتى لدى قوة نووية صغيرة إذ في تلك الحالة لا مفرّ من ردّ المقتول لا محالة. ولكن هذه المعقولية الحاسمة ضمانة ضد الهجوم النووي فقط.

امتحنت الصدقية والمعقولية، بعد أزمة برلين 1951، كما لم تمتحن من قبل، ولا من بعد، في أزمة الصواريخ السوفياتية النووية في كوبا 1962. فقد وقف العالم معها على حافة حرب نووية. فوضعت صدقية كل من الرئيس الأميركي جون كيندي والزعيم السوفياتي نيكيتا حروتشوف تحت الاختبار "من يصرخ أولاً؟". وعندما تأكد خروتشوف، بتقدير صحيح أو واهم، بأن كيندي مصمم حتى السنهاية قرر أن يتراجع، وتم التوصل إلى اتفاق بسحب الصواريخ وفي المقابل تعهد أميركي بعدم غزو كوبا.

<sup>(1)</sup> يقول الجنرال ستروكوف في "تاريخ فن الحرب": "كانت استراتيجية "الانتقام الكثيف" مبنية على أساس تفوق الولايات المتحدة على الاتحاد السوفياتي في الوسائط النووية وذلك حسب تقديسرات القادة الأميركيين. ولكن هذه التقديرات كانت باطلة، وقد اعترف بذلك عدد من المسؤولين في الولايات المتحدة، وفي دول حلف الأطلسي، حتى إن لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأميركي عام 1960 اعترفت بتفوق الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة في مضمار الأسلحة النووية".

ما إن انتهت الأزمة، وعادت القلوب من الحناجر إلى مواقعها، حتى أصبح القادة أكثر تعقلاً، والعالم أشد خوفاً من المصير الرهيب. فازدادت ضغوط الرأي العام لنزع السلاح النووي. وهو ما أدى إلى اتفاق حظر التجارب النووية 1963 ثم اتفاق حظر انتشار أسلحة الدمار الشامل 1969، فتحديد الأسلحة الاستراتيجية 1980، ومثلها 1977، ثم اتفاقية تقليص عدد الصواريخ متوسطة المدى عام 1989 (ريغان - غورباتشوف).

ولكن كل هذه الاتفاقات لم تمس الجوهر وهو امتلاك الطرفين لقنابل نووية وهيدروجينية وغيرها مع وسائط إيصالها إلى الهدف. و لم تغير من معادله ميزان الرعب النووي، أو تخفف من الخطر وإن كان قد أصبح مستبعداً. فالمتغير الذي بدا حاسماً كان الهيار الاتحاد السوفياتي على يدي غورباتشوف ويالتسين. ولكن هذا المستغير لم يكرس من خلال نزع السلاح النووي من يد روسيا. ومن ثم، في الواقع، بقي ميزان الرعب النووي قائماً، وإن لم يترجم نفسه في السياسة أو إلى صراع دولي، إلا بعد ستة عشر عاماً عندما تذكر المشاركون في مؤتمر ميونيخ للأمن الدولي في شباط/فبراير 2007، وهم يستمعون إلى خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بأن هنالك دولة نووية وريثة للاتحاد السوفياتي أخذت تخرج من حالة القوة والكمون إلى حالة الفعل والظهور.

### - القسم الثاني -القواعد الأساسية في علم الحرب

### تمهيد:

لكي تشتبك القوات المتحاربة لا بدّ من جلبها إلى نطاق تصبح فيه بمتناول بعضها بعضاً. ومن الطبيعي أن يحاول كل طرف المحافظة على قواته وسحق قوات الطرف الآخر، وهذا جوهر كل مبدأ عسكري، وهو يقضي بتأمين التفوق على العدو، وهذا التفوق قد يتخذ أشكالاً كثيرة. مثلاً، وضع القوات في مواقع أقوى مستفيداً من الأرض، أو امتلاك حرية الحركة، أو استخدام المفاجأة أو التركيز.

ويقضي أيضاً بتجنب المعركة التي يكون العدو فيها متفوقاً. إن هذه العمليات أساساً هي جماع المناورة وتوزيع القوات وهي تعرف باسم "العمليات" التي يجب أن تراعبي دائماً مسرح القتال، وحجم القوات المستخدمة، وأسلحتها ونيرانها وتعاون مختلف الأسلحة وحركتها ونسبة قوتها – العديد، السلاح، التوزيع – إلى مساحة الجبهة، وكذلك نظيراتها لدى العدو.

كانت الحرب قبل نهاية القرن الثامن عشر بسيطة لا تخرج عما تعلمه الضباط والجنود في فترة التدريب، إذ لم يكن مطلوباً من الضباط الذين يحتلون مرتبة أدنى من القائد العام أية مهمات قيادية مستقلة تتجاوز ما تعلموه: أخذ مواقعهم في المعركة، ثم التقدم بكتل ضخمة، والاشتباك مع العدو المباشر. لقد كانت العمليات والاشتباك مرحلتين متمايزتين مستقلتين. لأن الجيوش كانت تتحرك من نقطة محددة إلى نقطة المعركة على شكل كتلة واحدة متراصة. وقد تركز فن قيادة الحرب على عملية الاشتباك بالذات أي تكتيك المعركة. ولكن، مرة أخرى، لا بد لنا هنا من التشديد على استثناء حروب العرب المسلمين في القرنين السابع والثامن (ميلادي).

أخــنت اســتراتيجية العمليات في زمن المصريين واليونان والفرس والرومان معــن أكثــر مــن عصر الإقطاع في أوروبا، والعصر الذي سبق الثورة الأميركية والثورة الفرنسية، وكذلك تكتيك المعركة نفسها. فقد كانت الاستراتيجية في تلك الحروب تستهدف سحق الجيش المقابل في المعركة وتجريده من السلاح وضم بلاده إلى ســيطرة الجـيش المنتصر. وكثيراً ما أحذت استراتيجية المناورة قبل الاشتباك دراسة وتخطيطاً للطرقات، واتباع الطريق الذي يضع القوات في وضع أفضل، وإن كانت في النهاية تأخذ شكل تقابل الجيشين لبدء الالتحام.

أدى تطور البندقية والمدفع، وتحسن الطرقات، وتطور وسائط النقل، وكبر حجمه الجميوش وتحسين تنظيمها إلى ولادة مفاهيم أكثر تعقيداً حول العمليات والتكتيك، مثلاً: ضرورة الاحتياط وتشغيله، والزحف غير المنظور والمناورة قبل المعركة لأخذ المواقع الأنسب. وقد أدى هذا إلى زيادة مسؤولية الضباط ولكن ظلّب المسؤولية، أساساً، بيد القائد العام، واقتصرت مبادرة الضباط الأدبى على

تطبيق الأمر التكتيكي المباشر بعد بدء الاشتباك. وذلك في المرحلة التدميرية من الحرب. أما الأسباب التي جعلت المائة سنة السابقة لنابليون لا تجد من يجسد سمات التطورات الجديدة في المحال العسكري فقد مرّ ذكرها.

عـندما جاء نابليون كانت بين يديه حصيلة تجربة النورة الأميركية، والثورة الفرنسية، وجماع تجربة تورين، وفريدريك الكبير، ومارلبورو، وغوستاف أدولف، فـضلاً عـن وجود الجيش الجماهيري، وأحدث تطورات التقنية، وتطور العلوم، وإطلاق القوى الإنتاجية الجديدة فضلاً عن الرسالة التي حملها من الثورة الفرنسية. ولهـذا كان يمثل نقطة الطفرة لإحداث تغيير نوعي في قيادة العمليات والتكتيك، فأرسى قواعد "التكتيك الكبير" على أساس الجمع بين نظام التشكيلات الموزعة المرنة السريعة للعمليات وبسين التركيز المطلوب للمعركة، بينما ظل أعداؤه يتحسركون بكستل حامدة وتشكيلات الخطوط أي ظلوا يناورون وفقاً للتركيز المعهود.

عمد نابليون إلى تقسيم حيشه إلى جيوش، أو فرق، لتقوم بالحركات والمناورة ككتل مستقلة تتقدم إلى نقطة المعركة من اتجاهات مختلفة، أي مهد الطريق للجمع بين القيادة المركزية والقيادة اللامركزية في تنفيذ العمليات والتكتيك، وبهذا أصبحت مسألة التخطيط لعمليات كل فرقة من مهمة قيادات أدنى من القيادة العامية، وأصبح مصير المعركة متوقفاً على مبادراتهم وقراراتهم. لذلك نشأت السضرورة لوضع قواعد العمليات أو القوانين الأساسية لفن علم الحرب من أجل إرشاد القادة، وجعلها دليلاً للعمل.

أدت نجاحات نابليون وبراعة تكتيكه الكبير إلى جعل حروبه النموذج للدراسات النظرية التي حاولت اشتقاق المبادئ الأساسية لفن علم الحرب، وعلى السرغم من أن التطورات التي حدثت في القرنين التاسع عشر والعشرين أدت إلى إحداث تغييرات أساسية في استراتيجية العمليات والتكتيك، بالنسبة إلى استراتيجية العمليات والتكتيك، بالنسبة التي اشتقت من العمليات والتكتيك في العهد النابليوني إلا أن المبادئ الأساسية التي اشتقت من حسروب نابليون ظلّت في جوهرها هي المبادئ العامة للحروب الحديثة ما تحت السنووية. ولم يتجرأ عملياً على تجاهل تلك القواعد غير عبدة التقنية والتطورات

العلمية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة وقد دفعوا الثمن غالياً كما سنرى في حرب تموز /يوليو 2006 في لبنان.

حساول كلاوزيفت و جوميني استخلاص الدروس الأساسية أو القواعد الأساسية لفن الحرب من دراسة حروب نابليون والحروب السابقة، ثم حاول مولتكي البروسي، ودودج الأميركي، ولسوال الفرنسي تلخيص جوميني وكلاوزيفتز، وكنذلك فعل فوش وليدل هارت وفوللر، وسائر هيئات أركان الجيوش الحديثة. وقد ظلّت تلك القواعد، في الجوهر، تدور في فلك كلاوزيفتز وجوميني، مضافاً إليها التجربة العسكرية التقليدية لكل بلد.

ثمة شيء مشترك بين غالبية الذين تناولوا تحديد وشرح القواعد الأساسية لفنّ علم الحرب يتلخص في النقطتين التاليتين:

ب. لحا كانت كل حالة حرب ابتداء من الحرب ككل، ومروراً بالعمليات وانتهاء بالتكتيك، وسواء في عملية التخطيط أو التنفيذ، تحمل فرادتها الخاصة، فسيبقى ثقل أساسي للفكر المبدع والمبادرة الذاتية... وبكلمة أخرى، إن تطبيق تلك القواعد يجب أن يكون مرناً خلاقاً بعيداً من الحرفية والقالبية والبلادة. ذلك لأن دراسة تلك القواعد يجب أن تخدم دليلاً للعمل، وأحياناً لا بدّ من الخروج على بعضها. فضلاً عن مراعاة كل حالة حرب من حيث وضع الأولويات والتشديد بالنسبة إلى كل قاعدة أو مبدأ.

# المبادئ العشرة في فن علم الحرب

احتصاراً للبحث، فقد تم التعرض لعشرة مبادئ أساسية تدور في فلكها كل "تعليمات الخدمة الميدانية" في كل الجيوش، وكذلك كتابات المنظرين العسكريين، وإن كان من الصعب إيجادها كلها مجتمعة في كراسة واحدة، لأن البعض ركّز على أربعة قواعد منها، واعتبر الأخرى تحصيل حاصل، أو جمع بين قاعدتين أو ثلاث من تلك القواعد، والبعض جمع ست، وآخرون ثماني قواعد، ولكن هذا لا يعني أن

هــنالك مــن ينكر أياً من القواعد العشر الموضوعة هنا حتى ولو لم يذكر بعضها مباشــرة. إذ سيظلّ هنالك تركيز على بعضها أكثر من بعضها الآخر نظراً للوضع الخاص والتقليد القتالي لكل جيش.

ولكن يجب أن يلاحظ لدى مراجعة هذه القواعد أن من غير الضروري تسواحدها كلها في وقت واحد في كل حرب ومعركة وعملية. بل إن بعضها قد يتناقض في ظروف معينة مع بعضها الآخر. لذلك على كل قيادة، وفي كل حالة، أن تقيم التوازن الصحيح بين هذه القواعد في التطبيق حسب الوضع المعطى بحيث يركز على بعضها، ويوضع بعضها في المقام الثاني، أو يصار إلى تجاهل بعضها كلياً. أما القفز عنها جميعاً فطريق إلى الكارثة!

والآن ما هي هذه القواعد

### 1 - مبدأ تركيز القوات (التحشيد)

يقــضي هذا القانون بضرورة توفير أكبر قوة ممكنة متفوقة على قوة العدو من أجل تحقيق الانتصار عليه.

كان نابليون أول من تحدث عن هذا القانون بقوله: "إن كل فنّ الحرب يمكن تلخيصه بمبدأ واحد، وهو أن تجمع في جبهة واحدة قوة أكبر من قوة عدوك". وقد فسسر جوميني هذا المبدأ على أساس ضرورة "جلب غالبية الجيش، بإجراءات استراتيجية تباعاً، لأخذ دورها في المناطق الحاسمة في مسرح الحرب".

إن المناورة هنا تستهدف تأمين التركيز بحيث تجعل "قواتك الرئيسة ضد أجزاء فقط من قوات العدو"، أما في المعركة نفسها فتقوم من خلال مناورات تكتيكية "بوضع قواتك الرئيسة في المنطقة الحاسمة من أرض المعركة، أو ضد ذلك الجزء من قدوات العدو التي من الضروري التغلب عليها". أما كلاوزيفتز فقد سمى هذا المبدأ تحست نسم "تركيز الجهد" على أن يكون هذا التركيز ضد القوة الرئيسة للعدو، وتحقيق النصر في المعركة في مسرح العمليات الرئيس.

إن تركيز القوات يفترض جعل أقصى الإمكانات متوفرة رهن الإشارة، ولكنه لا يعسني، بالضرورة، إشراكها كلها في عملية الاشتباك. إذ أن الجوهر في هذا المبدأ هسو حسشد أقسصى قوة لتحقيق الهدف المحدد باعتباره إحراءً أولياً في التخطيط

للعملية، أما القوات التي ستشترك فعلياً في الاشتباك فهي مغطاة بالقوانين الأخرى وليس بمبدأ التركيز فقط. لأنك إذا أشركت كل القوات المتوفرة والمخصصة للمعركة، منذ أول لحظة، فسينتج عن ذلك افتقادك للمرونة في التنفيذ، وذلك لأنه سيصعب عليك، إذا ألقيت كل قواتك دفعة واحدة، مسواحهة أي تغيير مفاجئ في الوضع يتطلب تعديلاً في الخطة، أو نقلاً للقوات من جهة إلى أخرى.

إذا كانت الحرب لا تتم بصورة تكرر نفسها، أو على الأصح، إذا كانت كل حالة حرب تختلف عن الأخرى، وإذا كانت كل حالة تتضمن عدداً من الخيارات في أساليب التنفيذ، كما تتضمن، عادة، عدداً من المفاجآت والتغييرات في الوضع. ومن ثم، كل هذه تتطلب تخصيص أجزاء من القوات المحدودة المتوفرة. فهذا يقضي أن يأخذ التركيز صفة عامة أولاً، ثم يأخذ ضمن ذلك صفات أكثر خصوصية لمواجهة الحالات التي حددت للتركيز. ولكن القائد ساعة التنفيذ لن يكون بمقدوره في مرض نصر من أية نقطة يشاء، وهذه هي الخطورة التي يحذر منها مبدأ التركيز الذي يؤكد ضرورة اختيار الأسلوب الحاسم من بين عدد من الاحتمالات، ومن ثم تركيز القوات لمعالجة تلك الحالة، وهذا يضمن أن ينفذ بأقصى تفوق على العدو في المعركة، وبكلمة، إن قوة أقل عدداً حين تركز، بصورة صحيحة، تستطيع أن تحزم متفوقة متفوقة (1).

<sup>(1)</sup> هذه القاعدة لا تناقض الآية: (كُمْ مِنْ فَنَة قَايِلَة غَلَبَتْ فَنَةٌ كَثيرة بِإِنْ اللّه) (الشعراء: 54). وهذه الآية لا تناقض القاعدة الأساسية للحرب التي تفترض بأن التفوق العددي يتغلب. ولكن هذه القاعدة حتى في قواعد علم الحرب ليست مطلقة لأن هذالك قواعد أخرى تؤدي إلى النصر أو الهزيمة. ومن ثم فإنها مقيدة بتوفر شروط أخرى وهذا هو حال كل القواعد الأخرى حين تتوفر إحداها أو بعضها ولا يتوفر ما هو حاسم في حالة الحرب المحددة. الأخرى حين نتوفر إحداها أو بعضها ولا يتوفر حالات تغلب فيها الفئة القليلة الفئة الكثيرة، ومنها منذلاً كما ورد في معركة حنين (ويَوْمَ حُنَيْن إِذْ أَعْجَبَتُكُمْ كَثُرَتُكُمْ فَلَمْ تُعْن عَنْكُمْ شَيئًا وضناقت عَلَب النصر الأخرى أو قواعد وضناقت عَلَي المؤرى أو الما بالكثرة فتهمل أسباب النصر الأخرى أو قواعد الكثرر أمام القلدة. وذلك بسبب الإعجاب بالكثرة فتهمل أسباب النصر الأخرى أو قواعد الحسرب الأخرى، فالكثرة هنا إيجابية ولكن ليس إذا أدت إلى غرور وإعجاب مما يبطلان البجابية ويقودان إلى الهزيمة أمام فئة قليلة.

إن مــبدأ التركيــز عام لا يخالف فيه اثنان لأنه يعني في حوهره استخدام قوة كبيرة لإنــزال الهزيمة بقوة أصغر منها. ولكن المعضلة هي مسألة التطبيق أي كيفية تطبيق هذا المبدأ في كل حالة، خاصة في حالات التوازن الاستراتيجي بين القوات المتحاربة أو إذا كان العدو متفوقاً استراتيجياً.

يمكن رؤية هذا المبدأ في كل أشكال الحروب القديمة والحديثة، وابتداء من حرب غوار، إلى حرب مقاومة شعبية، إلى حرب تقليدية بين دولتين، إلى حرب نووية. لأن الجوهر في أية عملية اشتباك، سواء أكانت احتلال مخفر أم نصب كمين لدورية، أم معركة كبيرة، أم جبهة واسعة، هو أن تنازل عدوك بقوات متفوقة على قصواته. فالتركيز هنا قد يكون عددياً، أو في كثافة النيران، أو في حسن توزيع القوات واستخدام الاحتياط أو في المفاجأة.

ولك مبدأ التركيز يعمل في كل حرب وفي كل معركة بطريقة تختلف عن الأخرى تبعاً لاختلاف ظروف كل حرب وكل معركة. إنه يعمل بقوة حتى في حرب الغوار التي تفتقر إلى التركيز الاستراتيجي، وتتبنى تشكيلة المجموعات الصغيرة المتفرقة، كثيرة التحرك، حيث يتم تحقيق النصر في معاركها من خلال التركيز على نقطة يمكن تأمين تفوق على العدو فيها. إن الفرق الأساسي في تطبيق هذا المبدأ في حرب غوار أو في حرب بين جيشين نظاميين، أن الأولى تطبقه تكتيكياً على نقاط معزولة بينما لا تلجأ إلى التركيز استراتيجياً، فيما يطبق في الحالة الثانية استراتيجياً وتكتيكياً، طبعاً هنالك حالات أخرى مختلفة في تطبيقه، مثلاً حالة الحرب المتحركة الثورية في ظروف يمتلك فيها العدو تفوقاً استراتيجياً.

لقد شدد ماوتسي تونغ تشديداً قوياً على مبدأ التركيز إذ عندما صاغ موضوعاته حول "الهجوم ضمن الدفاع"، و"التفوق ضمن تفوق العدو"، و"القوة ضمن السخعف"، و"الوضع الملائم ضمن الوضع اللاملائم" و"المبادرة ضمن السسلبية"، كان يعالج مبدأ التركيز معالجة دقيقة ذات شقين: إحباط تركيز العدو، وتأمين التركيز لقوات أضعف. إنه يقول "إن كسب النصر في الدفاع الاستراتيجي يعتمد أساساً على هذا الإجراء - تركيز القوات". وكتب عام 1928 "لقد دلت بحربتنا على أننا حين كنا نتوزع كنا نتلقى الهزائم دائماً، بينما حين كنا نركز قواتنا

لــنقاتل قوة أصغر أو متفوقة قليلاً غالباً ما أمنا الانتصار". وقد اشتق من هذا المبدأ عدة قوانين:

أ. لا ينصح بالقتال حين تواجه قوى متفوقة.

ب. لا ينصح بالقستال حين تواجه قوة غير كبيرة، ولكنها قريبة من قوات مؤازرة.

ج. لا ينصح بالقتال حين تواجه قوة غير معزولة ومحصنة جيداً.

هـذه المـبادئ أثبتت فعاليتها في عدة تجارب لا سيما في الصين وفياتنام ولكن لم تصلح في حاله معركة الكرامة (1968) في الأردن. فحين قررت فتح القـتال والصمود في مواجهة قوة متفوقة مهاجمة جاءت بنتائج سياسية هائلة. وكذلك فعل الجيش الأردي في تلك المعركة. وعندما بادر مقاتلو حزب الله في المواقع الأمامية في حرب تموز/يوليو 2006 عدم الانسحاب ومواجهة قوى مستفوقة تحققت نتائج عسكرية ميدانية وسياسية أسهمت في إنسزال هزيمة بالعـدوان. الأمـر الذي يؤكد على فرادة كل حالة حرب وعلى الإبداع في التعامل مع القواعد العسكرية.

بــل إن قاعدة ماوتسي تونغ "لا ينصح بالقتال حين تواجه قوة متفوقة" يجب أن تقــيد بــشروط سياسية (تجربة معركة الكرامة وتجربة قطاع غزة في 2008)، وكــذلك القوة المتفوقة إن كانت في حالة تصميم أو ارتباك أو في حالة معنويات عالية أم هابطة وهكذا. فالتفوق يجب ألا يحسب بالعديد والسلاح فقط.

كما أن المبدأ الغواري الذي يستهدف جعل العدو يبعثر قواته لكي يسهل التركير التكتيكي ضده هو أيضاً اشتقاق من مبدأ التركيز من ناحية وخلق مضادات لمبدأ التركيز عند العدو من ناحية ثانية، ولكنها مضادات تعتمد على مبدأ التركيز أيضاً. وهو يستفيد في هذه المسألة من خلال جعل العدو في حيرة من أمره بين التركيز وبين خسارة الأرض، أو بين كسب الأرض وفقدان التركيز. وهذه المعضلة إحدى المقاتل الرئيسية للجيش الذي يواجه حرب غوار شعبية. وقد أثبتت بحسربة حرب تموز/يوليو 2006 في لبنان أن الصمود في المواقع أو العودة السريعة إليها جعل العدو في حيرة من أمره بين التركيز والتصميم من جهة والخسائر البشرية

من جهة أخرى، أو كسب الأرض وفقدان التركيز. فضلاً عن نشوء إشكال مدى الاستعداد لتحمل خسائر بشرية فوق الحساب والتقدير.

وعسود إلى مسبداً التركيز، فإن هذا المبدأ يتراوح بين التركيز ضد الجسم السرئيس لقوات العدو وبين التركيز على الأجنحة، أو على أجزاء من قوات العدو، أو على المسرح الرئيس للحرب، أو في مسارح ثانوية، أو التركيز على أشد السنقاط ضعفاً. بل هنالك أشكال كثيرة للتركيز: (أ) تركيز استراتيجي للمجوم مباشر، (ب) تركيز استراتيجي غير مباشر، (ج) تركيز تكتيكي وتوزع اسستراتيجي، (د) تركيز دفاعي - هجومي، (هد) التركيز في اللحظة الحاسمة باتحاه الضربة الرئيسية (لينين) (و) الصمود الدفاعي العميق في كل أو أغلب المواقع لإفقاد العدو ميزة التركيز.

يجب أن يلاحظ هنا أن مبدأ التركيز مع تطور الطيران والصواريخ وفي حالة السيطرة الجوية للعدو تفرض تطبيقه بالنسبة إلى حيش نظامي أو قوات كبيرة بما يسشبه حالة حرب الغوار ضمن شروط مختلفة. فهنا يتوجب على القيادة المعنية اكتشاف قوانينها وهو أمر ممكن إذا صممت على القتال في مثل هذه الظروف التي يسيطر فيها العدو على الجو.

على أن من النصروري ملاحظة التغيير الذي طرأ أيضاً، على عمل هذه القاعدة بالنسبة للحيوش النووية المعاصرة، حيث أصبح خطر تعرض القوات المركزة للضربات النووية يفرض توزيع وبعثرة التشكيلات القتالية، ولكن في المقابل فيان استخدام السلاح النووي من جانب القوات المبعثرة يتطلب إعادة تركيزها وحشدها من أجل تنفيذ الضربة النووية.

لقد أصبح القانون الذي يعمل في ظروف الحرب النووية شبيه بالقانون الذي يعمل في حرب الغوار أي بعثرتها عند التعرض لهجمات العدو، وتجميعها وتركيزها عسند القسيام بعملية ضد العدو. ومن هنا فإن القوات النظامية النووية شألها شأن قسوات الغوار بحاجة إلى امتلاك قدرة فائقة على سرعة التبعثر، وسرعة التركيز – تبعثر في القانون: تبعثر – تركيز – تبعثر - تركيز – تبعثر في حالة المبادأة بالهجوم.

وبالمناسبة لا بد أن تدرس هنا التجربة الفياتنامية الجنوبية الناجمة في تركيز القـــوات للهجـــوم في ظروف عدم توفر غطاء جوي أو في الأدق في ظروف الـــسيطرة الجـــوية للعـــدو. أما الصينيون فابتدعوا الهجمات الليلية في الحرب الكورية 1950 – 1953.

#### 2 - مبدأ الاقتصاد بالجهد

ويسمى "الاقتصاد بالقوات" أو "القوات الضرورية"، ويستهدف الحصول على أفضل النتائج بأقل حدّ ممكن من الجهد والقوات. إن هذا المبدأ يتناول مسألة توزيع القوات توزيعاً حصيفاً، ولهذا فهو مميز عن مبدأ تركيز القوات وينظر إليه، أحسياناً كمناقض له بينما هو، في الواقع، مكمل له أو هو المبدأ الأهم في ظروف معينة.

عــندما تركز القوة لتحقيق هدف محدد فإن جزءاً منها يشتبك في كل مرحلة مــن مــراحل العملية، وهو الجزء الذي يعتبر كافياً بينما يبقى الباقي في حالة عدم اشتباك، أي أن جوهر هذا المبدأ يختص بمسألة الاحتياط، كما يختص بمسألة حسن توزيــع القوات على نقاط كثيرة، خاصة، في جبهة واسعة، أو في حالة عدم توازن في القوى.

حين تضع خطة فمن النادر أن تكون مُلمّاً بمعلومات كاملة عن العدو لتحدد تقديراتك النهائية، ولكن عليك، مع ذلك، أخذ قرار باتباع أسلوب معين في التنفيذ، ولا بدّ من أن يبقى هنالك، دائماً، مكان للشكّ وعدم التأكد من الوضع. للذلك فإن دخولك المعركة يجب أن يحمل دائماً توقعاً لتطور غير متوقع. ومن هنا يعتبر الاقتصاد بالقوى مكملاً في التخطيط والتنفيذ لمبدأ التركيز - أي حشد أقصى ما يمكن من القوات - ولكن ينبغي لهذا الحشد أن يوزع باقتصاد بحيث تشترك في الاشتباك نسبة تمثل الحدّ الأدنى من القوات اللازمة بينما يظلّ الباقي في الاحتياط بيد القائد لإعطائه مرونة في التنفيذ اللاحق عندما تتضح أكثر كل جوانب الصورة. إنه مبدأ يفعل في الدفاع أكثر من فعله في الهجوم وإن بقي حاضراً في الهجوم كذلك.

ومقارنة بين قاعدتي التركيز والاقتصاد بالجهد فإن مبدأ التركيز يُعتبر في حالة الحسروب الستى تمستاز بتوازن استراتيجي، أو تفوق استراتيجي من جانبك مبدأ

استراتيجياً أكثر منه تكتيكياً في حين يعتبر مبدأ الاقتصاد بالقوات، في تلك الحالة، تكتيكياً أكثر منه استراتيجياً، في حين يعتبر مبدأ التركيز في الحروب التي يمتاز العدو فسيها بتفوق استراتيجي مبدأ تكتيكياً بينما يعتبر مبدأ الاقتصاد بالقوات، في تلك الحالسة، مبدأ استراتيجياً أكثر منه تكتيكياً - ولكنه هام أيضاً في التنفيذ الجزئي في هذه الحالة أيضاً.

تظهر قيمة مبدأ الاقتصاد بالقوات أيضاً، بصورة أشدّ، حين يكون اتساع الجبهة كبيراً جداً بالمقارنة مع حجم القوات، أو عندما يكون العدو متفوقاً الستراتيجياً، أو في حالات شبه التوازن الاستراتيجي. ولكن ديناميكية عمل هذا المبدأ تستوقف على نسبة القوى المتوفرة إلى المساحة. ولهذا فهو شديد الأهمية، وإن كان الاهتمام به يضعف لدى القوى التي المساحة. ولهذا فهو شديد الأهمية، وإن كان الاهتمام به يضعف لدى القوى التي تحصوصاً، عندما تنتقل إلى حالة الهجوم العام بعد أن أنرلت بالعدو ضربة قاسية في إحباط هجومه.

على أن من الضروري التذكر دائماً، أن مبدأ الاقتصاد بالجهد، أو قل، مبدأ الستوزيع العقلاني المناسب للقوات هو حجر الرحى لامتلاك حرية الحركة، وتجنب حشد الجيش كله في تركيز أحمق على خطّ مكثف...!

لقد كان هذا المبدأ حجر الرحى في التطبيق العسكري البريطاني، وفي التوزيع الدفاعي السوفياتي، وقد أصبح الآن حجر الرحى في التطبيق العسكري الأميركي، بل في كل الجيوش الحديثة. إن فكرته تنبع من عدم إمكان توفر قوات كافية لتغطية كلل النقاط بالقوة نفسها، وبالمستوى نفسه، خاصة، عندما يكون مسرح الحرب يحدور على نطاق عالمي أو بلدان شاسعة جداً. وقد تولدت عنه الآن فكرة تنظيم قسوى ضاربة احتياطية متأهبة دائماً للانتقال إلى أية نقطة تتعرض للخطر، أو يقرر العمل في اتجاهها، بدلاً من حماية كل النقاط بقوة عالية. ولقد ساعد التطور الآلي، خصوصاً، النقل الجوي على إعطاء هذا المبدأ حياة جديدة، إذ لم يعد من الحصافة تغطية كل النقاط بقوات كبيرة، على طريقة خط ماجينو، وإنما وضع قوات خاربة على طريقة مع إبقاء قوات ضاربة

سريعة الحركة على أهبة الاستعداد للتحرك إلى أية نقطة، وبأسرع ما يمكن. ولقد دلت التجربة السوفياتية في الحرب العالمية الثانية أن من الضروري تكديس الاحتياطي الاستراتيجي وتجميعه بشكل دائسم، وكان لتطوير الاحتياطي الاستراتيجي وحسشده في الاتجاهات الرئيسية مع الاقتصاد الشديد في النقاط الدفاعية، دور حاسم في امتلاك المبادرة الاستراتيجية والنجاح في خوض العمليات المجومية والدفاعية.

مرة أخرى، إن مبدأ الاقتصاد بالقوات يعني عقلانية توزيعها وتركيزها في آن واحد، وستبقى المشكلة هي مشكلة كيف يطبق، بصورة خلاقة في كل حالة..!

في تحربة حرب العدوان العسكري الأميركي على العراق في 2003 طبقت قاعدة الاقتصاد بالجهد على العديد اللازم لاحتلال العراق إذ اكتفي بــ 140 ألف جندي. ثم انتقد هذا التقدير من قبل قيادات عسكرية أميركية بعد أن تبين أنه غير كاف، لا سيما مع حل الجيش العراقي، لتثبيت الاحتلال والسيطرة على الوضع فقدر أن الحاجة كانت أكثر من ضعف هذا العدد (بين 300 - 400 ألف جندي). مما تكشف عن مدى البلادة في تطبيق قواعد علم الحرب، كما في تقدير الموقف.

#### 3 - مبدأ الأمن

عندما تحدث جوميني عن المناورة الاستراتيجية ونقلها إلى الخطوط الداخلية في جبهة العدو لقطع طرق مواصلاته وإمداداته وعزله – أو مثلاً ضرب مطاراته في العبصر الراهن! – اشترط ضرورة تأمين خطوطك الداخلية وتأمين خطوط تحرك مناورتك.

إن مــبدأ الأمن يفترض حماية النقاط الحيوية والضعيفة مثل القواعد وخطوط المواصـــلات والمطـــارات والأجنحة المكشوفة قبل الاشتباك، وذلك لئلا يؤدي أي للمديـــد مفاجـــئ لها بعد الاشتباك إلى جعل وضعك في المعركة مزرياً بشكل يتيح للعدو تحقيق نصر استراتيجي ضدك.

يجب ألا يفهم مبدأ الأمن بشكل جامد وحرفي لئلا يؤدي إلى المبالغة في الحمد، وبالتالي منع القائد من المغامرة أو المخاطرة في المعركة. في الواقع، إن هذا الممبدأ حاسم وضروري في مرحلة التخطيط بالدرجة الأولى من أجل أن يمهد

للتنفيذ. ويعطيه حرية حركة أكبر، لأن إزالة الأخطار المحتملة، أو تقليلها إلى الحدّ الأدنى يجعل القائد يتحرك بحرية أكبر في تنفيذ العملية. ولكن، إذا كانت المبالغة في الحيدر تمينع القائد من المخاطرة، فإن إهمال مبدأ الأمن يترك الجيش تحت رحمة استراتيجية العدو، ويجعل هزيمته سهلة مضمونة.

كان نابليون وهو من أكثر القادة جرأة ومغامرة يقول: "إنني أحاول أن أكتشف كل الأخطار المحتملة لأرى كل الصعاب..." "إن العلم العسكري يتضمن أن تقدر بكل دقة كل الاحتمالات الممكنة، ومن ثم تزيل بالحساب عامل الصدفة". إن إزالية عامل الصدفة هو شيء نسبي لأن التحرك على المضمون لا يوجد إلا إذا كان خصمك متهاوياً أو غبياً شديد الغباء، وهذا ما لا يجوز الركون إليه. ولكن على عليك أن تحسب كل الاحتمالات، وتتشدد في تطبيق مبدأ الأمن في مرحلة التنفيذ يصبح التنفيذ في المقام الأول، ويتراجع مبدأ الأمن إلى المقام الثاني دون إهماله كلياً.

إذا اقترن مبدأ الأمن بالخوف سواء في الهجوم، أو الملاحقة، أو الزحف، أو الانسسحاب، فسستحول إلى أمن سلبي، أي أنه سيجعل العدو يقرر حركتك وقرراراتك، ويكون موقفك هو الركض وراء الأمن. لذا يجب أن يفهم مبدأ الأمن إيجابياً بحيث يقوم على أساس الدفاع الإيجابي والحركة الدائبة والدوريات المستمرة، والاستطلاع الدائم، واستخدام الاحتياط.

إن هذا المبدأ يعمل بطرق مختلفة حسب اختلاف الحروب وظروفها. فمثلاً إنه يعمل في حسرب الغوار على أساس الحركة الدائمة، والاستطلاع الدائم، وتجنب مسصائد العدو وتطويقاته. ويعمل في الحرب الشعبية المتحركة على أساس التركيز، والجبهة المتحركة، ومعرفة اتجاهات تركيز العدو وتحركاته ويعمل في المقاومة وسط الشعب في تأمين السرية وحماية رحال المقاومة ونساءها من الانكشاف. ويعمل في الاسستراتيجية الذريسة على شكل ضرورة تأمين الضربة الثانية عن طريق توزيع حسيف للقوة النووية وإخفائها وتمويهها والرصد الراداري والاستخباراتي. أما في الحسرب التقليدية فيرتكز على الحصافة في استخدام الاحتياط والاستطلاع الجوي والسراداري، وتوزيسع المطارات وتحصينها وتمويهها وتأمين حماية أرضية وجوية والسراداري، وتوزيسع المطارات وتحصينها وتمويهها وتأمين حماية أرضية وجوية

وراداريــة دائمة لها. ولكن يجب إقامة توازن صحيح بينه وبين مبدأ التركيز لأنهما كثيراً ما يتعارضان.

يلعب مبدأ الأمن دوراً هاماً لأنه يفتح الطريق للعمل الجريء إذ إن حساب الصعاب والمخاطر وإزالة احتمالات عوامل الصدفة تؤدي إلى امتلاك زمام المبادرة والسيطرة على المعركة، خاصة إذا روعيت قواعد أمن الزمان، وأمن المكان، وارتفع مستوى سرعة الحركة.

لقد أثبتت تجربة حزب الله في لبنان في حرب تموز/يوليو أن مراعاة توفير أمن القيادات ومواقعها وأمن الصواريخ واستخدامها في أثناء المعركة، وأمن الأنفاق وتمويهها وأمن القوات وأسلحتها وحركتها وإخفائها مع استمرار فعاليتها في مواجهة التقنية الحديثة في الكشف والاستطلاع إلى جانب شل فعل الاستخبارات في الخرق وجمع المعلومات، قد لعب دوراً حاسماً في إبطال التفوق الجوي وإرباك الهجوم البري وإسقاط نظرية حرب بخسائر بشرية في الحد الأدنى (إسقاط مبدأ أمن القوات في تخطيط العدو).

#### 4 - مبدأ الحركة

يشمل هذا المبدأ تأمين حرية الحركة وسرعتها وسريتها وحمايتها – أمنها – وامتلاك زمام المبادرة. وهو يشمل الحركة الاستراتيجية والحركة التكتيكية.

كان السر في كل استراتيجية نابليون وتكتيكه يتركز أساساً في مبدأ الحركة. أما المعركة الحاسمة، فكانت قمة هذه الحركة لتحقيق الهدف. وعندما قسم قواته إلى فسرق وأقسام على كل منها قيادة ذات استقلال ذاتي، وجعلها تتحرك باتجاهات مخستلفة، كسان يرمسي إلى التحرك بسرعة متزايدة ومضاعفة قواته والتعويض عن نواقصها بسرعة الحركة والزحف.

إن الحركة في الحرب لا تقاس بسرعة حركتك الآلية، وإنما تقاس بالمقارنة مع حركة العدو، وهذا يعني إن الحركة في الحرب هي العمل بأسرع مما يعمل العدو. إن المقدرة على التحرك هي الجوهر لأن التحرك في الحرب ليس مقيداً فقط بالمسافة والطرقات ووسائط النقل، وإنما أيضاً بحركة العدو وإجراءاته لمنع تحركك... إنما تعني في حالة الوضع القتالي المتحمد امتلاك إمكان الحركة.

كتبت سون تسو في "فن الحرب": "الحرب هي ما يجعل للسرعة أهم اعتبار. وهـــو أن تفـــيد من كل ما هو في غير متناول العدو. وتسلك الطرق التي لا يتوقع فعل سلوكها وأن تماجم حيث لم يجر استعداداً".

عـندما حـبذ جومـيني التحرك بطابورين متوازيين، أو أكثر، والعمل على الخطـوط الداخلية استهدف الوصول إلى نقطة الهدف، بصورة أسرع، من الزحف بكـتلة واحـدة عن طريق واحد. وهذا ينطبق على اللوجستيقا التي يجب ألا تقل حركتها في الحرب الحديثة عن حركة القوات نفسها.

كثيراً ما أسيء فهم استراتيجية "الخطوط الداخلية" بحيث فهمت على أساس القيام بعمليات في منطقة معينة، بينما تتعلق أساساً بتأمين المقدرة على تحريك القوات إلى أية نقطة في جبهة القتال العريضة.

عندما كانت الحركة مرتبطة بسرعة سير المشاة على الأقدام كان من المنصوح به استراتيجياً قيادة العمليات من داخل جبهة محدودة ضد عدو منتشر حول محيط مسنظور، لأن إمكان نقل القوات والاحتياط وتأمين اللوجستيقا تصبح أكبر جوميني و لكن هذا المفهوم الجغرافي حول حركة الخطوط الداخلية أصبح معطلاً جداً للمناورة مع تطور النقل الآلي السريع والطيران. لذا فقد أصبحت استراتيجية الخطوط الداخلية تعامل اليوم بصورة نسبية، وضمن الغطاء الجوي والصاروخي، لأن الخطوط الداخلية تحدد اليوم بمقاييس النقل الآلي والبحري، وقبل كل شيء النقل الجوي. ولكن لا بدّ من التمييز هنا بين الحركة الاستراتيجية والتكتيكية، مثلاً قوات المظللات، أو على الأصح القوات المحمولة بالطوافة (الهيلوكبتر)، لها قوة حركة استراتيجية أكثر من قوة حركة تكتيكية، بينما تمتلك المشاة في منطقة جبلية قوة حركة تكتيكية وليس استراتيجية، في حين تمتلك القوة الآلية المحمولة الأرضية قوة حركة تكتيكية أكبر، إلى جانب درجة ما، من قوى الحركة الاستراتيجية.

لــذلك على القائد الاستراتيجي، في تخطيطه للعمليات، أن يحدد لكل سلاح سماته الخاصة لمواجهة متطلبات مبدأ الحركة على حدّ تعبير باليت.

إن الحسرب الحديثة جعلت القوات الآلية الضخمة تتطلب دعماً لوحستيقياً دائماً. لـذلك فإن إمكانات التحرك تعزز إلى حدّ كبير في مرحلة التخطيط قبل

توزيع القوات في ميدان المعركة. لذلك فإن الجمع الصحيح بين الأجزاء المكملة لبعضها: التشكيلات التي يجب تبنيها، وتوزيع المحمولات، والنقل، ووضع نقاط الاتصال وعلاماته، وتنظيم غرفة العمليات كلها عوامل تخطيطية تزيد من مرونة التنفيذ وبالتالي الحركة – (باليت).

عـندما ارتبكت القوات البرية الإسرائيلية أمام دفاعات حزب الله في حرب تموز/يوليو 2006 ارتبكت حركة اللوجستيقا. ثم أدى ارتباك حركة اللوجستيقا إلى مـزيد مـن ارتباك القوات البرية. وهو ما أطلق نقداً داخلياً حول الخلل في خطة حـركة اللوجستيقا والقوات (تقرير فينوغراد). ولكن هذا ما كان ليظهر لولا اصطدامه بصمود وقتال غير متوقعين ودفاع مفكر به جيداً.

لقد أصبح مبدأ الحركة في عصر الحركة الآلية فائقة السرعة لا يأخذ كالسابق صفة التحرك بأسرع من عدوك فحسب، وإنما أيضاً، صفة صراع مباشر بين الطرفين لعرقلة حركة الآخر، أي لم يعد عملية (سباق) فحسب، وإنما أيضاً عملية "عرقلة" أيصاً، ومنع العدو من الحركة، خصوصاً، وإن مسألة الخطوط الداخلية أصبحت مكشوفة دائماً للطيران، ولهذا غدا وجود غطاء جوي، في حروب الأسلحة التقليدية، مسألة حاسمة بالنسبة إلى حركة القوات الآلية على الأرض كما في البحر. هذا فضلاً عن تحول وسائط النقل الجوي إلى المقام الأول في نقل القوات الأرضية وفي عمليات اللوحستيقا... لقد أصبح امتلاك حرية الحركة بالنسبة إلى قصوة آلية يتوقف على السيطرة الجوية. ولكن الدفاع المستميت في العمق وفي كل المنقاط الممكنة يعيق حركة حرية قوات العدو حتى لو امتلك السيطرة الجوية وسرعة الحركة الآلية البرية (تجربة السوفيات في الحرب العالمية الثانية) لأن الصدام مع العقد الدفاعية يعوق حركته، كما أن تجاوزها يشكل خطراً على المؤخرة والجانين بسبب انتقالها إلى مهاجمتها مما يربك بدوره الحركة السريعة والآمنة.

إن مسبداً الحركة كأي مبدأ آخر تحكمه قوانين مختلفة سواء أكان من ناحية حركة كل سلاح، أم من ناحية نوع الحرب وطبيعتها وظروفها. ولكن يبقى تأمين الحركة – هويتها سرعتها وأمنها وقوة مناوراتها الاستراتيجية والتكتيكية – مسألة حاسمة في كل حرب.

كان ماوتسي تونغ قد طرح موضوعة هامة حول الحرب المتحركة في الحرب الثورية: "لا توجد خطوط جبهة ثابتة، إن خطّ الجبهة حيث يمكن الانتصار، قاتل عندما تكون قادراً على الانتصار، تحرك بعيداً عندما لا تكون قادراً على الانتصار. إن الحسركة في خطسوط الجبهة تعني الحركة في كل شيء، بما في ذلك طريقة بناء القسواعد"... "إنه لمسن الضروري صرف أكثر الوقت في الحركة، لا في القتال، ولكسنها حركة من أجل القتال. إن الحرب المتحركة تشمل مسائل: الاستطلاع، الحكسم، القسرار، توزيع القوات، القيادة، الاختفاء، التركيز، الزحف، التوزيع، المحوم، الملاحقة، المحوم المفاجئ، هجوم على المواقع، الدفاع عن المواقع، أعمال مسائدة، انسحاب، قتال ليلي، عمليات خاصة، تجنب القوي وضرب الضعيف، عاصسرة العدو لضرب تحصيناته، هجمات تضليلية، الدفاع ضد الطائرات، العمل بسين قوات العدو، عمليات تخطي، عمليات تنفيذ، عمليات بدون مؤخرة، الحاجة للراحة وتجميع النشاط والقوى".

وكتب محمد شيخو في "حرب التحرير في ألبانيا" حول أهمية الحركة لقوات الغوار: "وتكمن المناورة في طريقة تحريك قواتنا لتوجيه هجوم مفاجئ على العدو، والمحافظة على زمام المبادرة بأيدينا، وذلك بمهاجمته في الوقت والزمن والأسلوب الذي نريد"... "دلت تجربتنا على أن تلك التشكيلات التي استخدمت المناورة باعتبارها عنصراً تكتيكياً ذا أهمية رئيسة قد أحرزت عدة نجاحات، بينما كان الحال مختلفاً بالنسبة إلى تلك التشكيلات التي أهملت استخدام المناورة إذ تجمدت وأصبحت في الوقت نفسه هدفاً سهلاً للعدو وتكبدت خسائر كبيرة".

إن الفرق بين حرب الغوار، وبين الحرب النظامية بين جيشين، فيما يتعلق بمبدأ الحركة، أن الجيش النظامي، خصوصاً الحديث، يسعى إلى امتلاك الحركة على مستوى استراتيجي، أساساً، لأن هله هي الطريقة الوحيدة لتأمين حركته التكتيكية، في حين تسعى حرب الغوار امتلاك حرية الحركة التكتيكية، بينما تأخذ حسركتها الاستراتيجية طابع الاختفاء والزوغان في إحباط الحركة الاستراتيجية لعيش العدو.

تــستهدف الحــركة سواء أكانت انسحاباً، أم زحفاً، أم توزعاً، أم تركيزاً، جعل الوضع في الهجوم أو الدفاع في مصلحتك أو استعادته ليصبح في مصلحتك.

ملحوظة: إن المبادئ الأربعة السابقة - التركيز، والاقتصاد بالجهد، والأمن، والحسركة، - تحتاج إلى مهارة فائقة في إقامة التوازن الدقيق<sup>(1)</sup> بينها أي أن طريقة، ونسب الأخد، هده المبادئ، أو القوانين، ومراعاتها مسألة متحركة تحكمها الظروف المعطاة في كل حالة، فمثلاً يجب إبقاء القوة الرئيسية - حين تكون في السدفاع - غير مشتبكة في المراحل الأولى، لأن إشراك العدد الأكبر من الاحتياط يجسب أن يستم بعد أن تتضح اتجاهات المعركة، ويبين الاتجاه الرئيس لخطة العدو. ولكن المسئاورة والحركة الضروريتان في المرحلة الأولى قد تتناقضان مع التركيز المطلسوب في المرحلة الثانية، لذا فإن إحداث التوازن الصحيح بين هذه القوانين في كل مرحلة من مراحل التخطيط والحركة والمعركة، وفي داخل كل مرحلة، يشكل المعسلة الأساسية بالنسبة إلى القائد. أما إيجاد الحل الصحيح لتلك المعادلة في كل حالة فهو ما يميّز القائد العسكري الناجح عن القائد الفاشل.

إن التركيز في منطقة في البداية يجعل إعادة التوزيع وإحداث التغيرات المتلاك حرية الحركة – عملية متأخرة جداً في حالة نشوء وضع جديد بعد الضربة الأولى أو الاختراق، أو قطع طرق المواصلات، أو ضرب المطارات. ومن هنا فإن درجة توزيع القوات وتركيزها وتعيين الوقت المناسب لإحداث التغييرات الضرورية، وتغيير نسب أهمية كل مبدأ من تلك المبادئ هو ما يمكن تسميته بحيوية (ديناميكية) عمل المبادئ الأربعة، تلك المبادئ المترابطة والمؤثرة في بعضها البعض، فمراعدة مبدأ الحركة إذا لم يراع مبدأ الأمن، كما من الصعب مراعاة مبدأ الحركة إذا لم يراع مبدأ الخاس، النسبة إلى التركيز أو المسراعاة الأمسن إذا لم يمستلك مبدأ الحركة، وكذلك الحال بالنسبة إلى التركيز أو الاقتصاد بالجهد. هنا أمامنا عناصر متناقضة متشابكة متداخلة مترابطة ضمن

<sup>(1)</sup> استخدم في النسخة الأولى جرياً وراء شائع، أو مطاً لاستخدام كلمة "ديالكتيك" تعبير "التوازن الديالكتيك-ي" فيما منهج إقامة التوازن بين متناقضات أو متفارقات ليس له مكان في مبادئ الديالكتيكيك المتعلقة بصراع الأضداد ونفي النفي أو التغير من الكم إلي الكيف أو الترابط بين الأشياء، ومن هنا استخدم الآن "إقامة التوازن الدقيق" لأنه أكثر انطباقاً على المنهج المطلوب في التعاطى مع متناقضات أو متفارقات أو متكاملات.

وحدة، ولا بدّ من حلّ معادلتها كل مرة حلاً صحيحاً من خلال إقامة التوازن الدقيق في ما بينها، حسب الظروف المعطاة في كل حالة ومرحلة.

## 5 - مبدأ الهجوم (الدفاع)

ما من مبدأ أسيء فهمه مثل مبدأ الهجوم، وما من مبدأ عبد كما عبد مبدأ الهجوم في الحرب. ولهذا لا بدّ من دراسة هذا المبدأ دراسة متأنية هادئة.

ثمة شكلان أساسيان للحرب: الهجوم والدفاع.

عندما قارن كلاوزيفتز بين الهجوم والدفاع قال إن الدفاع لا بدّ من أن يكون هو "الشكل الأقوى في الحرب"، والدليل على ذلك أن الجانب الأضعف يلجأ إليه دائماً من أجل التعويض عن تفوق الأقوى عليه، لذلك فالدفاع، منطقياً، يتضمن الشكل الأقوى للحرب.

إذا كان كلاوزيفتز صاحب الاستراتيجية المباشرة يقول هذا الكلام فحدير بعبدة الهجوم التقاط أنفاسهم قليلاً، والتفكر بعض الشيء. ولكن كلاوزيفتز يسلط السنار على الجانب السلبي في الدفاع، بالرغم من أنه الشكل الأقوى، لأن الهجوم يحمل جانباً إيجابياً يفتقر إليه الدفاع. وذلك على الرغم من أن الهجوم هو الشكل الأضعف - لاحظ العقل النركيبي في تفكير كلاوزيفتز - ولهذا طالب أن يضع الدفاع نصب عينيه الانتقال إلى الهجوم لأن "التحول سريع الزخم إلى الهجوم" الدفاع نصب عينيه الانتقال إلى الهجوم لأن "التحول الدفاع". ويقول إن الامتحان الحقيقي لعبقرية القيادة تكمن في اكتشاف "نقطة التحول" التي تنقلب فيها كفتا الميزان، أي بعد أن يتصدع الهجوم أمام الدفاع، وهنا يجب أن يشن الهجوم المضاد السريع.

على أنه من الممكن أن يضاف، على طريقة كلاوزيفتز، أن الهجوم هو العنصر الحاسم في القتال، أو قل عنصر النصر، بدليل أن الأقوى يلجأ إليه من أجل سحق الأضعف وتحقيق النصر. ولهذا يجب فهم جوهر مبدأ الهجوم الذي يقف على رأس قدواعد الحرب في كل التعليمات الميدانية في كل الجيوش، لأن الدفاع يستطيع أن يصدع هجوم العدو، ولكنه لا يكسب حرباً إلا إذا يحول إلى هجوم مضاد في اللحظة المناسبة.

إن نابليون الذي اشتهر بعملياته الهجومية حتى عندما كان في حالة الدفاع كتب يقول: "إن كل فنّ الحرب يتضمنه الدفاع المفكر به جيداً، والمحسوب من كل جوانبه، يتبعه هجوم سريع مقدام".

إن الموقف الخاطع في عسبادة الهجوم في كل الحالات، وبغض النظر عن إمكانات الدفاع انعكس في لوحة تعليمات الميدان الفرنسية لعام 1921 إذ اعتبرت أحسنه موقف الهجوم هو القانون المطلق بالرغم من الدروس القاسية التي تلقتها مثل هذه العقلية في الحرب العالمية الأولى. وكان المارشال الفرنسي فوش (فيردناد 1852 - 1929) قد اعتبر أن على القائد أن يأخذ موقف الهجوم مهما يكن الوضع التكتيكي أو الاستراتيجي. وقد وقع بمثل هذا الخطأ كثير من الماركسيين وبعض القادة العسسكريين السسوفيات في حروب التدخل وفي الحرب العالمية الثانية، إذ عالجــوا مــبدأ الهجوم بروح تجريدية ومالوا إلى تأليهه وعبادته. لقد أخطأ تلامذة نابلــيون في فهم نابليون فيما يتعلق بمسألة الدفاع والهجوم في الحرب، كما أخطأ تلامسذة مساركس ولينين في فهمهما حين قالا إن الهجوم يجب ألا يتوقف لحظة واحدة عهدما تندلع الثورة المسلحة، وإن الدفاع هو موت الثورة المسلحة. إن نظرية ماركس في هذه الحالة صحيحة تماماً، وقد أكدها لينين نظرياً وعملياً مرتين في تُسوري 1917. ولكسن جوهرها مرتبط بشروط، وحالة خاصة، وهي اندلاع الـــثورة العامــة في ظروف تؤخذ فيها الطبقة الحاكمة على حين غرة. وهنا يجب الاندفاع الهجومي الزخم للإجهاز عليها، ومن دون إعطائها فرصة التقاط الأنفاس، وإعادة تنظيم صفوفها. ولكن هذا لا يعني عبادة الهجوم في كل حالات الحرب خصوصاً، إذا كان العدو مستعداً والقوى غير متفوقة تماماً، فحالة الثورة العامة غير حالمة الحرب، وقد بني لينين الاستراتيجية العسكرية للاتحاد السوفياتي في حروب الــتدخل على أساس الدفاع واستيعاب هجوم العدو ثم الانتقال إلى الهجوم المضاد، وقـــد عـــنف "اليساريين" الطفوليين لعدم إدراكهم مغزى توازن القوى في تقرير استراتيجية الحرب.

إذا كان من الخطأ عبادة الهجوم وتأليهه في كل الحالات وبمعزل عن الظروف المعطاة، فإن من الضروري اعتباره هدف كل حرب، سواء أبدأت دفاعية، أم كان

بالإمكان السبدء بهجوم استدراجي ثم الارتداد للدفاع لتصديع هجوم العدو ثم الانستقال إلى الهجوم المضاد النهائي. إن مبدأ الهجوم هو مبدأ الحسم في الحرب، ويجسب أن يكون نصب الأعين، كما يجب تعبئة القوات والقادة بروح المهاجمة وضرورة شنّ الهجوم ولكن عندما تكون الظروف المعطاة والفرصة متهيئتين.

لا يجوز التقليل من مزايا الدفاع وأهميته، خصوصاً، مع تطور الأسلحة الحديثة، ويكفي أن نتذكر أن أعظم المعارك كسبت في الحربين العالميتين الأولى والثانية بعد معركة دفاع باسلة تحولت إلى هجوم مضاد شامل أنهى الحرب في مصلحة الندين كانوا في الدفاع – وسنتعرض لهذه الناحية تفصيلاً في فصل التكتيك.

إن الدفاع السلبي هو الموت للجانب الذي يتبناه. أما الدفاع الإيجابي والمفكر به جيداً، والمشرب بالهجمات المحدودة، ثم الذي يتحول إلى هجوم مصاد هو حاسم في الحروب الحديثة (بين الجيوش) التي لا تستخدم فيها الأسلحة النووية.

الدفاع السلبي: هو أن تقوي التحصين، وتريض وراءه، لترد هجمات العدو دون أن تفكر بالتحول إلى الهجوم المضاد في اللحظة الحاسمة. أما الدفاع الإيجابي فهو الذي تتخلله اشتباكات حاسمة وهجمات صغيرة، إلى جانب التحصين القوي، ويكون هدفه تصديع هجمات العدو من أجل الانتقال إلى الهجوم.

طبعاً هذا لا ينطبق على المقاومة الشعبية أو عندما يكون العدو متفوقاً جداً. فالدفاع الإيجابي في هذه الحالة يكون في الهجمات المحدودة ولكن من دون الانتقال إلى الهجور العام. وهذه تجربة المقاومة الفلسطينية وقطاع غزة وحرب تموز/يوليو 2006 والمقاومة في العراق ومن قبل المقاومة في قبرص وفي الجزائر.

ما من عسكري إلا ويرفض الدفاع السلبي، ولكن في المقابل ما من عسكري حصيف يمكن أن يرفض الدفاع مبدئياً ويتخذ موقف الهجوم دائماً في كل الحالات.

كـــتب ماوتـــسي تونغ في دحض الأفكار التي تقول إن الهجوم الاستراتيجي متفوق على الدفاع الاستراتيجي بحجة أن الدفاع يهزّ المعنويات، أو أن الهجوم يهزّ معنويات العدو:

"تحت شعار الدفاع عن مناطق القواعد الثورية والدفاع عن الصين نستطيع تعبئة الأغلبية العظمي من الشعب لتقاتل بقلب واحد، وعقل واحد، لأننا مصطهدون وضحايا العدوان" ثم ضرب أمثلة كيف أن الاتحاد السوفيات خاض الحرب الأهلية تحت شعار الدفاع عن السوفيات وكذلك كيف تم التحضير لثورة أكتوبر والتعبئة العسكرية تحت شعار الدفاع عن العاصمة، ويقول "إن موقف السدفاع، في كل حرب عادلة، لا يخمد عوامل الاغتراب سياسياً فحسب، وإنما أيضاً، يجعل من الممكن حشد الأقسام المتخلفة من الجماهير للانضمام للحرب".

التركيز هنا على الجانب السياسي وأهمية الدفاع السياسي في الصمود والحشد والتعبئة وعزل العدو سياسياً. أما على المستوى العسكري فالعلاقة بين الدفاع والهجوم تتوقف على ميزان القوى والظروف المعطاة.

إن مسبدأ الهجسوم يستهدف الإقناع بضرورة الهجوم وتشريب الجيش بروح المهاجمة لأن الدفاع لا يحقق نصراً، ولكنه لا يعني رفضاً للدفاع من حيث أتى. ولا يعسيني عدم اتخاذ موقف دفاعي في البداية للإفادة من ميزات الدفاع تم التحويل إلى الهجوم المضاد في اللحظة الحاسمة.

في الواقع، إن عبادة الهجوم تعني رفض حرب الغوار والمقاومة والحرب الشعبية والحسرب المتحركة ضمن الدفاع الاستراتيجي لأن هذه الحروب، في الجوهر، لها طبيعة دفاعية استراتيجياً، ودفاعية هجومية تكتيكياً، إذ إن ضرورة الحركة المستمرة في حرب الغسوار أو في المقاومة أو الحرب المتحركة ضمن الدفاع الاستراتيجي تستهدف أول ما تسستهدف الإفلات من هجمات العدو وتطويقاته، أي هي شكل من أشكال الدفاع شديد الحركة والإيجابية، وبقدر ما تنجح هذه العملية - الدفاعية في الجوهر - بقدر ما تنفتح آفاق واسعة للهجمات التكتيكية التي هي الجوهر الثاني القرين بالحركة الدفاعية، أو على الأصبح، السدفاع المتحرك أو الدفاع الإيجابي. وهذا ينطبق في حالة الدفاع العمسيق. لأن تسرك المواقع هو ما يريده العدو لكي يتقدم بأمن وبأقل ما يمكن من المخاسر، كما حدث في حرب 1978 في لبنان وصولاً إلى الليطاني. وبالطبع نظرية السدفاع العمسيق في نقساط أساسية مسألة خاضعة لمجموعة شروط تقررها. ولكنها استراتيجية أثبتت جدواها بقدر ما أثبت القتال الغواري جدواه في كثير من الحالات.

#### أمثلة ونماذج

أولاً: ثمــة سلــسلة مــن أشكال الهجوم تستخدم في مختلف الحروب بطرق متعددة وفقاً لقوانين كل حرب، ويمكن إيجازها:

- الهجوم المباشر على نقطة أو موقع أو جبهة حيوية بمدف امتلاك زمام المبادرة وحرية الحركة، ولكن هذا الهجوم يشترط وجود قوة هجومية متفوقة.
- الهجوم المضاد بعد تصديع هجوم العدو ويمكن تطبيقه على مستوى معركة محدودة، ومستوى جبهة واسعة، ومستوى الحرب ككل، ولكن الشيء الحاسم هينا هيو حسن الاحتفاظ بقوة احتياطية خلف الخطوط الدفاعية المشتبكة، وحسن تقدير اللحظة المناسبة لشنّه، وهذه القضية تختلف من حرب لحرب، فمثلاً وضع ماوتسي تونغ ستة شروط للتحول من الدفاع إلى الهجوم المضاد في ظروف الحرب النورية في الصين.
  - 1. الجماهير تؤيد جيش الشعب تأييداً قوياً.
  - 2. كل القوات الرئيسية في الجيش الأحمر مركزة.
    - 3. الأرض مناسبة للعمليات.
    - 4. اكتشفت نقاط ضعف العدو.
  - أصبح العدو في وضع منهك، ومحطم المعنويات.
    - 6. أغري العدو على ارتكاب الأخطاء.
- الهجوم المفاجئ: ويتمّ إما في وقت لا يتوقعه العدو، أو في نقاط غير محمية، أو ضعيفة جداً لا يتوقع العدو أن يشنّ الهجوم عليها. ويستهدف ضعضعة تماسك العدو وتحطيم معنوياته.
- الهجوم التضليلي: ويتمّ عن طريق تهديد نقطة هشة من نقاط العدو من أجل إجـــباره على اتخاذ إجراءات لتقوية نقطة التهديد مما يضعف النقطة الأساسية التي يراد اكتساحها. ولكن يشترط هنا أن تكون نقطة التهديد التضليلي ذات أهمية خاصة بالنسبة للعدو.
- الهجوم الحداعي: ويتمّ عن طريق تنظيم قواتك واتجاهاتك بصورة تظهر للعدو على عكس حقيقة السير العملي الذي ستتخذه، من أجل خلق جو عدم تأكد

- لـــدى العـــدو لجعلــه يتخبط في الظلام، في حين تمضي لتحقيق الأهداف المحددة.
- الهجسوم الاختراقسي: تحطيم نقطة أو نقطتين في خطّ الدفاع، وإلحاق ذلك باختراق من قبل قوة تمثل جزءاً فقط من قواتك المهاجمة، ونقل العمليات إذا كانست على نطاق جبهة واسعة إلى ما وراء خطّ الدفاع لقطع خطوطه الداخلية وإحكام الحصار عليه، ومن ثم سحق قواته الرئيسة أو فرض الاستسلام. أو نقل القتال إلى داخل تحصينات الدفاع في حالة معركة، وإشغال الدفاع في قتال داخلي مع قوة الاختراق، بينما تتقدم القوات الرئيسية المهاجمة لاكتساح مواقع الدفاع الأمامية، والسيطرة على المعركة.
- هجمات الاستنزاف: وتتم عن طريق مهاجمة مجموعة من النقاط، وفتح جسبهات ثانوية للعدو، من أجل إنحاك مصادره وقواته في الدفاع عن نقاط ضعف متعددة. ولكن هذه العملية في حالة ممارستها في حرب بين دولتين، تقتضي أن تكون مصادر الذي يخوض حرب الاستنزاف أقوى من مصادر خصمه، لأن عملية الاستنزاف في الواقع سيف ذو حدين لأنه يستنزف الطرفين. أما بالنسبة إلى حرب غوار أو مقاومة أو حرب ثورية متحركة ضمن دفاع استراتيجي فتشترط وجود تأييد ودعم شعبي قوي جداً، أو متعاظم أبداً.
- هجــوم استدراجي: ويتم من أجل إغراء العدو على شن هجمات على نقاط محصنة جيداً متفوقة على الهجوم، أو لإغرائه على الملاحقة لإيقاعه بمصائد معدة سلفاً.
- العسودة إلى الهجسوم المباشر والمفاجئ والاختراقي: ويتمّ في حالة انسحاب العدو من الاشتباك بقصد إعادة تنظيم صفوفه من أحل استعادة المبادرة وحرية الحركة. وذلك لحرمانه من استعادة الوضع القوي، وملاحقته.
- الهجــوم عــن طريق الالتفاف على الأجنحة، ويشترط توفر السرعة وقوة
   كافية.
- الهجمات الصغيرة المحدودة المفاجئة لعدو متفوق مهاجم وهو يستريح أو يتحرك أو ينسحب. وقد مورست من قبل المقاومة في حرب تموز/يوليو 2006

في لبنان ممارسة ناجعة أشاعت الذعر في صفوف بعض المهاجمين كما لو كانوا يواجهون "أشباحاً".

ثانياً: ثمــة سلسلة من الأشكال الدفاعية تستخدم في مختلف الحروب يمكن تلخيصها:

- الخطوط الدفاعية الثابتة: وتتمّ عن طريق مدّ خطّ دفاعي متماسك كثيف ولا بسد من توفر احتياط متحرك يستطيع الانتقال إلى أية نقطة يتهدّدها هجوم كثيف أو يتمّ اختراقها، نجح في الحرب العالمية الأولى ولكنه سقط في الحرب العالمية الثانية ولم يعد شكلاً منصوحاً به الآن إلاّ في المناطق الصغيرة المساحة مع توفر كثافة شديدة بالقوات والنيران. ومع ذلك فشل هذا النمط الدفاعي الإسرائيلي على الجبهتين المصرية والسورية في منع الاختراق في حرب تشرين 1973.
- السدفاع العمسيق: ويتم عن طريق شبكة من النقاط الدفاعية الموزعة حيداً في العمسق، وهذه لا تمنع الاختراق، ولكنها تجعله يتحطم بعد أن يحدث، وتعمد إلى قطعه عن الاحتياط، خاصة حين يصطدم بإحداها، ولا تلجأ إلى الدفاع الثابت إلا في نقساط محسدة لأنهسا تعتمد أساساً على الدفاع الإيجابي الذي يحاول تطويق الاختسراق أو كسر الحصار وشن الهجمات المحدودة باستمرار. ولكن هذا الدفاع يتطلب عمقاً واتساعاً في المساحة مع زحم شعبي مدني مؤيد ومشترك بالمقاومة.

إن القـــتال الدفاعـــي المستميت في نقاط محددة في ظروف مقاومة شعبية ضد جــيش مــتفوق يربك خطة الهجوم ويعرقل حركته. وقد يسمح في ظروف محــددة إلى تحريك رأي عام شعبي واسع يؤثر في مجرى المعركة ونتائجها، كما حدث في معركة مخيم جنين 2002 في الضفة الغربية ومخيم جباليا في قطاع غزة 2008 وفي بنت جبيل 2006 في لبنان.

- السدفاع المستأهب المتحسرك: وهذا يتم عن طريق حماية مختلف النقاط حماية محسدودة ومؤقتة بينما يعتمد على قوة ضاربة متأهبة يمكن نقلها إلى أية نقطة بسرعة فائقة. وهو يعتمد على القوة الآلية والطيران.
- القتال التراجعي: ويتمّ عن طريق الانسحاب أو الابتعاد عن الاشتباك. ولكنه يشترط أن يتمّ بانتظام، وضمن خطة معينة، ويستهدف تغيير الوضع الذي كان

قائماً في المعركة في مصلحة الطرف المنسحب، مستقبلاً، وقد يتخذ شكل جرّ العسدو إلى نقاط دفاعية قوية، أو نصب مصيدة له، أو إنماكه بمطاردة فاشلة لا تصل إلى قرار.

- السدفاع التعويضي: وهو التخلي عن نقطة أمام هجوم العدو، والهجوم على نقطـة أخرى تجبر العدو على التخلي عن هجومه الرئيسي (استراتيجية هنيبعل الذي نقل المعركة إلى إيطاليا).
- السدفاع المتحسوك: وهو إبعاد النقاط التي يمكن أن يهاجمها العدو، عن طريق التحرك المستمر والزوغان من أمامه، أو الإخفاء والتمويه الجيد والسرية اليقظة مسع هجمات محدودة مستمرة. وهذا الشكل هام جداً في الحروب التي يمتلك فسيها العسدو تفوقاً حاسماً مثل حروب الغوار أو المقاومة أو الحرب المتحركة الشعبية ضمن الدفاع الاستراتيجي.
- دفاع خوق الحصار: وهو الدفاع الذي لا يستسلم حين يطبق عليه حصار ويستمر في المقاومة حرب دفاع مواقع إلى أن تسنح فرصة للتركيز على إحدى نقاط المحاصرين، وشقها والخروج من الحصار بانسحاب شامل وهنا ينتقل إلى السدفاع التراجعي، أو تطويق الحصار من الخارج وشنّ هجوم من الداخل والخارج.

هـــذا الــنمط من الدفاع هو الذي لعب دوراً حاسباً في كسر الهجوم الألماني علـــى الاتحــاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية. وكان فيه خروج على التقاليد العسكرية للجيوش التي تقول بالتسليم في حالة الحصار وفقدان السيطرة على الجووقطع طرق الإمداد.

طبعاً إن كل هذه الأشكال الدفاعية يجب أن تتضمن الدفاع الإيجابي الذي يسضع على رأس أهداف التحول إلى الهجوم، أما الهجوم المضاد الشامل، أو الهجمات التكتيكية المضادة حسب الظروف.

إن العلاقــة بــين الهجوم والدفاع كانت وما تزال علاقة عضوية متداخلة متبادلة الأولوية، وأي فصل تعسفي بينهما هو فصل خاطئ، ويؤدي إلى دمار.

ثالب ثاً: على أن من الضروري معرفة مسائل الهجوم والدفاع في ظلّ الأسلحة السصاروخية النووية، والتطورات الهائلة في كل مجالات الأسلحة والتقنية. ويمكن تحديد السمات التالية:

- ب. السدفاع الاستراتيجي: وتستخدم فيه صواريخ مقاطعة مسار الصواريخ السنووية المعاديسة، كما تستخدم فيه قوات الدفاع الجوي على اختلافها، لتدمير الضربات النووية الاستراتيجية المعادية في الجو أو حرفها. إن مهمة الدفاع الاستراتيجي هي مواجهة الضربات الاستراتيجية المعادية.
- ج. الدفاع والهجوم تكتيكياً: سوف يتخذ طابع العمليات للقوات التكتيكية البرية طابع الهجوم والدفاع حسب الظروف، كما كان الحال عموماً، مع ملاحظة السمة المميزة المعاصرة للقوات التكتيكية، أي الدور الأساسي السذي سيلعبه الطيران ووحدات الصواريخ والوحدات المدرعة والآلية، وكذلك السرعة الهائلة في الحركة. الأمر الذي قد يتضمن استخدام أسلحة نووية صغيرة، بحجم موضعي محدود.

وأخيراً، على الرغم من أن غالبية المنظرين العسكريين لمرحلة الأسلحة النووية يستبعدون إمكان أية عمليات برية في ما بين جيوش نووية. إلا أن هيئات الأركان استمرت على إعداد جيوشها لمواجهة حرب نووية وبرية و لم يزل هذا النهج سارياً حسى بعد الهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة. ولكن ثمة مطالبة واسعة بإعادة النظر حوله. وذلك باعتبار أن التحدي الذي يواجه جيوش الغرب في مكان آخر، كما يحدث في العراق وأفغانستان ولبنان وفلسطين.

#### 6 - مبدأ المفاجأة

ليس لهذا المبدأ نمط خاص في التطبيق، أو على الأصح، ليس له صورة واحدة، إنه يعين أنك حين تصمم خطّة هجومية، أو دفاعية، عليك أن تراعي عنصر المفاجاة فيها لأنه يعطي فرصاً أكبر للنجاح، وكثيراً ما يعوض عن نقاط الضعف سيواء العددية أو السلاحية أو التقنية، ولعل أهم ما فيه أنه يضعضع توازن العدو، وتماسكه، ويجعل الاضطراب يدب في صفوفه وعمله وعقله.

كثيرون يفهمون مبدأ المفاجأة بشن هجوم في وقت غير متوقع، أو على نقطة غير متوقعة فقط. إن هذا المفهوم يعطي جانباً واحداً من هذا المبدأ الذي يعني في الجوهر استخدام أي عنصر غير متوقع تفاجئ العدو به، وهذا ينطبق على كل المستويات من أكبر خطة استراتيجية إلى أبسط حركة تكتيكية، وينطبق على الدفاع كما على الهجوم، وعلى كل أشكال الحروب.

بيد أن مدى نجاح عنصر المفاجأة المقترح يتوقف على طريقة تنفيذه وسرعتها بحيث لا يعطي العدو فرصة أخذ الاحتياطات، أو الإجراءات المضادة، في الوقت المناسب. فمئلاً إن سرعة التعبئة للجيش، والتحرك الحاسم الدقيق قبل إعلان الحرب، أو في أثناء الحرب، وسرعة تنظيم القوات ونقلها من نقطة إلى أخرى كل هذه عوامل تحقق المفاجأة الاستراتيجية. وإن اختيار أسلوب غير متوقع أو الهدف أو طسريقة مهاجمته أو اختيار نقطة غير متوقعة أو وقت غير متوقع أو استخدام سلاح جديد أو تكتيك جديد، أو إدخال مفاجآت في أثناء الاشتباك وكذلك طسريقة استخدام الاحتياط، ومختلف الخدع، هي وسائل مختلفة لتحقيق المفاجأة في المحال التكتيكي. فهنالك أنواع كثيرة لتحقيق المفاجأة، أو قل أنواع المفاجأة: (1) بالزمان (2) بالمكان (3) بنوع السلاح (4) بالأسلوب (5) بالأمن والسرعة والحركة والتركيز والمبادأة والتمويه وبناء المقاتل.

إن إدراك مسبلغ أهمسية مبدأ المفاجأة، كمبدأ أساسي في كل حرب، يتطلب الحمايسة مسن مفاجآت العدو لك، وهذا يجب أن يقف على رأس الاعتبارات في تخطيطك. لأن الاحتياط سلفاً لمفاجآت العدو التي بنى عليها أملاً كبيراً، وإحباطها يسشكل عملسية مفاجأة للعدو تجعل الوضع ينقلب في مصلحتك. لذا يجب على

القائـــد أن يفكر سلفاً بكل الاحتمالات المتوقعة التي يمكن أن يلجأ إليها العدو بل ويحتاط لغير المتوقع ما أمكن.

يقــول مولتكــي: "ألاحظ أن هنالك دائماً ثلاث طرق مفتوحة أمام العدو ولكنه يأخذ عادة الطريق الرابع".

من هنا فإن ميزة القائد البارع أن يحسب للطريق الرابعة التي قد يسلكها العدو بينما يكتشف طريقاً رابعة لخطته لم تخطر ببال عدوه.

وبالمناسبة لم يسبق لحرب أن حملت مفاجآت سلبية كما حملت حرب تموز/يوليو 2006 بالنسبة إلى حالة الجيش الإسرائيلي وقيادته وأدائه، أو حملت من المفاجآت الإيجابية ما حملته بالنسبة إلى أداء حزب الله على مختلف الصعد. فهي حرب المفاجآت بما يتعدى الشائع في مبدأ المفاجأة.

#### 7 - وحدة القيادة والخطة والتنفيذ

ثمـة أسمـاء كثيرة تعطى لهذا المبدأ، فالأميركيون والسوفيات يسمونه وحدة القـيادة، والإنكليز يسمونه مبدأ التعاون والتنسيق CO-OPERATION كما أن هنالك من يقسمه إلى عدة مبادئ: وحدة القيادة، ووحدة الخطة، ووحدة التنفيذ، ولكن الجوهر واحد مهما اختلفت التسميات والتقسيمات وهو يتلخص:

أ. رؤية كــل جوانب الوضع المعطى في الحرب، بصورة موضوعية، بحيث تنتهي إلى تقويم واحد متماسك، وقرارات موحدة متماسكة.

ب. وضمع خطة واحدة متماسكة، وإقامة التنسيق بين كل أجزائها، وكذلك بين مختلف الخطط المتولدة عنها، كما بين مختلف الأسلحة واللوجستيقا والإدارة.

ج. التنفيذ الموحد تحت قيادة واحدة.

إن وحدة القيادة والخطية والتنفيذ تنطبق أهميتها على كل المستويات من مستوى الحرب ككل إلى مستوى العمليات إلى مستوى أصغر معركة، وهي تنطبق على الجيش ككل كما تنطبق على فرقة ولواء حتى الحضيرة.

يقول ماوتسي تونغ إن العلاقة بين الكل والجزء لا تنطبق فقط على العلاقة بين الاستراتيجية والحملة فحسب، وإنما أيضاً بين الحملة والتكتيك وتنطبق على العلاقة بين عمليات اللواء وعمليات العلاقة بين عمليات اللواء وعمليات

كتائـــبه، وعلى العلاقة بين عمليات الكتيبة وعمليات سراياها، وعلى العلاقة بين عمليات السرية وعمليات فصائلها وحضائرها.

ومن هنا على القائد، في أي مستوى، أن ينسق العمل والتعاون بين كل الأجنزاء المستوول عنها ويقودها، ويضمن انسجامها مع الخطة الأعم، لأن مبدأ وحدة القيادة والخطة والتنفيذ ينطبق على كل المستويات.

إن وجــود خطط متضاربة على أي مستوى في داخل الجبهة المحاربة يعني دمارهــا. وإن عــدم التنسيق بين الكل والجزء، وبين عمل مختلف الأجزاء يعني فقدان السيطرة على الوضع، وحرمان الجيش من التعاون والتنسيق.

وإن عدم التناغم بين عمل القوات الأصغر مع القوات الأكبر يعني الفوضى.

إن مسبدأ وحسدة القيادة والخطة والتنفيذ لا يعني المركزية المطلقة بمعنى رفض التقسسيمات اللامركسزية والمسبادرات اللامركزية، وإنما يعني جعل جماع العمل متماسكاً متناغماً موحداً ولكن ضمن مرونة.

ولكن إذا كان التمسك هذا المبدأ يتطلب الانضباط الصارم والنظام الحازم في داخل الجيش وهو أمر لا غنى عنه في الحرب، ويتطلب خضوع المراتب الدنيا إلى المسراتب الأعلى، فإن محتوى الانضباط والنظام يختلف باختلاف طبيعة الحرب التي يخوضها الجيش، أو طبيعة القيادة التي تقود الجيش، حيث نجد مبدأ وحدة القيادة والخطة والتنفيذ يطبق في الجيوش التقليدية.

إن مبدأ وحدة القيادة والخطة والتنفيذ أصبح حاسماً في عصر الحرب النووية، إذ غدا التنسيق الدقيق والبارع ضرورة بين الأسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية من جهة، والقوات البرية والبحرية والطيران من جهة ثانية.

ولكن في تجارب حروب الغوار وحالات المقاومة والثورات تراوحت بين حالات وحدة صارمة مثل الصين، فياتنام، وحالات تعدد في القيادات والتنظيمات والبرامج، فلسطين، العراق، أفغانستان (في المرحلة السوفياتية). أما لبنان فقد عرف السنمطين في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي حيث ساد التعدد. أما بعد ذلك حتى الآن تحت قيادة حزب الله فقد ساد مبدأ وحدة القيادة والخطة والتنفيذ.

#### 8 - مبدأ المحافظة على الهدف

لا يسوحد هسذا المسبدأ في كسل التعليمات الميدانية لمختلف الجيوش ولكن التعلسيمات الميدانية البريطانية، وكذلك المنظرين الإنكليز - فوللر وباليت مثلاً - يشددون عليه ويعتبرونه أساسياً في الحرب.

يـنطلق هـذا المبدأ من التفريق بين الهدف وبين خطة تنفيذه، إذ أن أي قائد عـسكري مهما تكن رتبته، من قائد سرية إلى قائد فرقة يأخذ هدفه - الهدف هنا عين TARGET أو المهمة - من القيادة الأعلى منه، أما الخطة فهي من تصميمه. ولهـذا فـإن هـذا المـبدأ يضع المهمة وخطة تنفيذها على مستويين مختلفين من المسؤولية، وكذلك من حيث الأولوية.

لـو راجعنا ديناميكية أية حرب، أو عملية، أو معركة، لوجدناها تتألف من أهـداف متداخلة، فمثلاً قد يكون أمام حملة لواء هدف واسع، بينما يقسم اللواء هـذا الهـدف إلى عدة أهداف يوكل تحقيق كل منها إلى كتيبة أو كتيبتين، ثم قد تقـسم كـل مجموعة هدفها إلى أهداف على مختلف سراياها ضمن العملية الأكبر وكجـزء من عملية تحقيق الهدف الأوسع سواء أكان قبيل البدء بالتنفيذ الشامل أم في أثـنائه. ولكـن كثيراً ما يحدث بعد أن يتلقى كل مستوى هدفه من المستوى الأعلى منه، ويبدأ بوضع الخطة والتنفيذ، أن يجد نفسه مضطراً لتغيير الهدف والخطة إلى هـدف وخطة جديدين. وذلك إما لاهتبال فرصة قد سنحت لم تكن متوقعة، وإمـا لتجـنب كارثة محيقة لم تكن منظورة عند تسلم الهدف. ولكن إن كان من الحصحيح، عموماً، تغيير الخطة لتلائم الوضع المعطى وتغيراته، إلا أن تغيير الهدف السحيح، عموماً، تغيير الخطة لتلائم الوضع المعطى وتغيراته، إلا أن تغيير الهدف ولك التغيير يتناول هدفاً هو جزء منها. ولهـذا يفترض هذا المبدأ عدم تغيير الهدف من قبل المستوى الذي كلف بتحقيقه، لأن مـسؤولية التغيير هي من صلاحية المستوى الأعلى الذي حدد الهدف وذلك بخباً لخلخلة الخطة كلها وتعريضها للخطر.

قد يبدو هذا المبدأ متناقضاً مع المرونة في التطبيق ومعطلاً للمبادرة. لكنه في الواقع لا يتناقض مع تغيير الخطة لمواجهة الوضع الجديد تمشياً مع سائر المبادئ الأخرى التي تشدد على ضرورة المرونة. وذلك لأنه يتشدد في عدم تغيير الهدف

إلاَّ ضمن تغيير عام للخطة الأعلى فالهدف هنا جزء من خطة القائد الأعلى من ذلك المستوى، وهو الذي يجب أن يغيره لا القائد الذي كلف بتحقيقه.

ثمـة حـالات كثيرة لم يراع فيها هذا المبدأ، وعلى مستويات مختلفة، حيث وضع هـدف جديد وأهمل الهدف المعطى، ولكن بالرغم من النجاحات التي قد يحققها مـثل هـذا التغيير بحد ذاته، إلا أنه قد لا يسهم في تنفيذ الخطة الأوسع والهدف الأكبر، فتكون النتيجة كارثة بالنسبة إلى الخطة الأوسع بسبب هذا التغيير الجزئى في الهدف.

إن تطبيق مبدأ المحافظة على الهدف في الحروب الحديثة التي تتميز بالآلية السسريعة والضخمة والحشود الكبيرة واللوجستيقا الهائلة، يحظى بأهمية كبرى، لا سيما، إذا كان مستوى العملية كبيراً، لأن طبيعة التوزيع الآلي للقوات، كما يقول بالسيت، يعطيها صفة قوة الاستمرار، ولهذا فإن أي تغيير فحائي خاطف في الهدف على مستوى عال يؤدي إلى مخاطر.

يترجم هذا المبدأ في حرب الغوار استمرارية العمليات أو المقاومة. لأن التمكيلات الصغيرة، تعمل بصورة شبه مستقلة، وهي التي تحدد فيها أهدافها وتحدد خطتها، ومن ثم تستطيع تغيير أهدافها وخطتها بمرونة كبيرة. ولهذا ترجم مبدأ الستمرارية العمليات باعتباره مبدأ المحافظة على الهدف من خلال المواظبة على شن العمليات العسكرية ضد العدو دون انقطاع. وقد أكد أنور خوجا ومحمد شيخو على مبدأ المحافظة على الهدف في حرب الغوار من خلال استمرار القيام بالعمليات بالنسبة إلى كل وحدة صغيرة أو كبيرة وهو ما ينطبق على المقاومة وسط الشعب.

#### 9 - مبدأ المبادرة

ينطبق مبدأ امتلاك زمام المبادرة على المستوى الاستراتيجي وعلى العمليات وعلى التكتيك. ويعتبر أساساً في مبدأ حرية الحركة. ولهذا فإن كثيراً من التعليمات الميدانية لا تفرد له بنداً خاصاً لأنها تعتبره جمعاً بين المفاجأة والحركة والأمن والهجوم.

يقول ماوتسي تونغ إن المبادرة ليست شيئاً حيالياً إنها شيء ملموس. ويقصد إن المبادرة في الجوهر هي المحافظة على قواتك وجعلها تمتلئ بالروح القتالية. لذلك

فإن الانسحاب أمام ظروف غير مؤاتية هو عملية مبادرة بالرغم من أنه يبدو في الظاهر تراجعاً اضطرارياً، لأن الانسحاب في تلك الحالة يعني المحافظة على القوات، وكسب الوقت من أجل قهر العدو في النهاية، بينما يعتبر، في المقابل، أن رفض الانسحاب ورفض الارتداد إلى الدفاع في ظروف غير مؤاتية، والإسراع للاشتباك من أجل كسب زمام المبادرة، يؤدي إلى هزيمة وهو شيء سلبي.

إن كسب زمام المبادرة قد يكون بالانسحاب، وقد يكون برفض الانسحاب وفقهاً لظروف كل حرب كما قد يكون بالهجوم، وقد يكون بإحباط مخططات العدو، كما قد يكون بمبادرات إيجابية تربك العدو.

قد يفهم من المبادرة ألها عملية البدء أولاً، ولكن هذا شكل من أشكالها وإن كانت بمعناها الواسع تعني حسن التصرف ضمن الحالة المعطاة. الأمر السذي قد يتعارض أحياناً مع التطبيق الحرفي للقواعد أو التعليمات. أما حسن التصرف فقد يكون باهتبال فرصة سانحة غير متوقعة، أو تجنب خطر لم يكن متوقعاً، أو ابتداع تكتيك جديد في معالجة حالة خاصة. ولهذا، من جهة أخرى، فإن كل التعليمات العسكرية تفترض إبقاء فسحة لمبادرة القائد في أثناء التنفيذ، بحيث لا يعمل ضمن خطة جامدة غير قابلة للتعديل والتغيير وفقاً لمبادرته وحكمه الذاتي.

## 10 - مبدأ تقدير الحلقة الحاسمة

مسن المحال في القتال توزيع قواتك على كل النقاط توزيعاً متساوياً، كما أن من المحال أن تحتم بكل القضايا اهتماماً متساوياً.

يقول ماوتسي تونغ: "على القائد بأي مستوى أن يركز على المسألة أو العمل الأهم والأكثر حسماً في كل الوضع الذي يعالجه، وليس على مسائل وأعمال أخرى"... "لا يتقرر الشيء الأهم تجريدياً وإنما وفقاً للوضع الملموس".

إن مسبداً تقدير الحلقة الحاسمة يترجم في العمليات والتكتيك إلى "مبدأ توجيه السضربة الرئيسسة" أي تحديد نقطة أو نقاط (العدد قليل عادة) التركيز والاتجاه الرئيسي لعملك. فقد تكون هذه النقاط أحياناً هي أشدّ نقاط الضعف لدى العدو – عسندما يكون متفوقاً استراتيجياً – وقد تكون أحياناً النقاط الحيوية – في حالة

ويترجم هذا المبدأ في العمل داخل الجيش على أساس تحديد نقطة التركيز كل مرة مثلاً على التدريب، أو على التسليح، أو على التنظيم والانضباط، أو على رفع مستوى الكوادر القائدة، أو على العمل التثقيفي والمعنويات أو العلاقة بالشعب أو الاهتمام بالرأي العام أو على عزل العدو سياسياً.

إن مبدأ تقدير الحلقة الحاسمة، أو تحديد المسألة الأهم، والأكثر حسماً، في كل حالة يشمل الجمع الخلاق بين عدد من المبادئ السابقة وكيفية تطبيقها. ويتولد عنه عدد من القواعد مثلاً: "إنزال الهزيمة بالعدو على دفعات" إنها جمع بين الاقتصاد بالقوات والتركيز والحركة، أو قاعدة: "توجيه الضربة الرئيسة" وهو جمع بين الاقتصاد بالقوات والتركيز.

هـــذا ويمكـــن أن يــضاف في هذا العصر مع تطور تكنولوجيا الاتصالات والتكنولوجيا المعتادة لتعطيل الاتصالات، مبدأ المحافظة على الاتصالات.

# تجربة الحرب العالمية الثانية والقواعد الأساسية لفن الحرب:

أكدت تجربة الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية على أهمية وحيوية القواعد الأساسية لفنّ الحرب، ولهذا يستحسن ذكرها مع ملاحظة ما أدخل عليها مدن تطوير نتيجة تجربة الحرب العالمية الثانية (من كتاب تاريخ فنّ الحرب ستروكوف – الجزء الثاني):

- "- مبدأ الجاهزية القتالية الدائمة.
- مــبدأ حشد القوى والوسائط على الاتجاهات الحاسمة وقد تم ذلك على
   أساس الاقتصاد في القوى على بقية الاتجاهات إلى أدبى حد ممكن.
  - مبدأ الانسجام بين القوى والوسائط المتوفرة وبين المهام الموضوعة.

- مبدأ التنسيق العميق للقوى والوسائط.
- مبدأ المفاجأة، وهو ذو أهمية كبيرة جداً في الظروف الراهنة
- مبدأ الفعالية الذي لا يزال يحتفظ بأهمية خاصة في الوقت الحاضر، والذي يضم عنصر المبادأة والقدرة على المناورة بالقوى والوسائط.
- مبدأ تحقيق النصر بالاعتماد على الجهود المشتركة لكل صنوف القوات.

ويقول ستروكوف أن هنالك بعض المبادئ الخاصة التي تطورت أثناء الحرب والسيتي لا ترال تحتفظ بأهميتها حتى في الوقت الحاضر ومنها مثلاً: مبدأ المطاردة الحاسمة، مبدأ تعزيز الخطوط المحتلة، مبدأ تنفيذ الاستطلاع بشكل دائم ومستمر، مبدأ تأمين الفرج والاجناب، مبدأ تأمين الارتباط المستمر".

#### خلاصة:

إن التطبيق الصحيح لقواعد أو مبادئ فن علم الحرب يساعد القائد على خلق وضع مستفوق على العدو، أو إلغاء حالة غير ملائمة له، أو تعطيل تفوق العدو، ولكن نجاح هذا التطبيق لا ينفصل عن مجموعة العناصر الإنسانية الأحرى مثل الوعي والشجاعة والتضحية والمعنويات والتنظيم والتدريب والانضباط والقضية التي يقاتل المسرء من أجلها. كما لا ينفصل عن وزن القوى المادية المقابلة (حجم القوات، وكثافة النيران، ومستوى الأسلحة والتقنية والحالة المدنية والرأي العام).

إن مفتاح التطبيق الصحيح لقواعد فنّ علم الحرب يكمن في اكتشاف القوانين الخاصة التي تحكم كل حرب وكل حالة داخل الحرب. وهنا يلعب العقل الإنساني أهمية حاسمة في التحليل والتقدير وأخذ القرار المناسب.

على أن المعادلة بين التطبيق الصحيح لقواعد فنّ علم الحرب وبين العناصر الإنسانية ووزن القوى المادية المتقابلة تختلف من حرب إلى حرب، خصوصاً، في ما يتعلق بطبيعة كل من القوى المتحاربة، والهدف الذي تقاتل ما أجله.

# الفصل الثالث

التكتيك

# التكتيك

#### - 1 -

## مدخل عام

لقد رأينا في غالبية التعريفات للاستراتيجية أن أكثرها عرّف التكتيك مقابل تعريف الاستراتيجية. ويلاحظ من تلك التعريفات ألها متفقة حول تعريف التكتيك أكثر بكثير من اتفاقها أو تقاربها في تعريف الاستراتيجية. وقبل أن نمرّ بها من جديد، يحسن أن نتذكر إن مهمة الاستراتيجية لا تنحصر في بحث مسائل الاستراتيجية كاستراتيجية فحسب، وإنما أيضاً، تختار التكتيك الأنسب وتوجه العمل التكتيكي نفسه، وتقوده ككل، من أجل أن يلعب دوره في الوصول إلى قرار.

#### دارت التعريفات حول التكتيك:

- التكتيك هو استخدام القوات العسكرية في المعركة.
  - التكتيك فن قيادة القوات في المعركة.
- التكتــيك هــو الوســيلة الـــتي بوســاطتها تنــــزل الهزيمة بالعدو في المعركة.
  - ساحة المعركة هي مجال التكتيك.
- التكتيك هـو فـن استخدام السلاح والقوات، أو النيران والحركة في المعركة. وذلك بطريقة تجعلهما يمارسان أكبر تأثير.
  - علم التكتيك هو دراسة قوانين الحرب في وضع جزئي.

تـــتفق كل هذه التعريفات على نقطة أساسية، وهي حصر التكتيك في عملية الاشـــتباك في المعركة، وإن كانت هنالك تعريفات تضمّ له المناورة الاستراتيجية العملانـــية - أي تعتـــبر التكتـــيك يشمل كل مجال التنفيذ، ولكن هذا المطّ لمجال

التكتيك لا يسهل الدراسة، وإن كان مسوَّعاً، خصوصاً، بعد التحام العمليات في التكتيك مع الحروب الحديثة. فقد أصبح التكتيك جزءاً من العملية الاستراتيجية مهداً لها لستعود بدورها لتمهيد الطريق للتكتيك - كما سنرى في عمليات بليتزكريغ - ولهذا فإن حصر التكتيك في ميدان المعركة نفسها، يجب ألا يجعلنا، في العسصر الراهن، نمد جداراً عازلاً بينهما، وإن كان من الضروري دراسة التكتيك كمحال قائم بذاته مميز عن العمليات، بل إن نابليون نفسه سمى العمليات، بالتكتيك الكبير تمييزاً لها.

تتناول دراستنا للتكتيك هنا مسائل السلاح، والتشكيلات، والأرض، والستخدام القسوات العسكرية في المعركة، خصوصاً، مسألة النيران والحركة في المعركة، أو قسل جزئيات الحرب تاركين للاستراتيجية كل ما له علاقة بالحرب ككل، مع إطلالة للعلاقة بين العمليات والتكتيك.

إن أية عملية اشتباك هي عبارة عن: بشر، سلاح، تشكيلات وأوضاع معينة بالعلاقة مع الأرض أو قل تشمل عملية الاشتباك أساليب القتال من أجل الوصول إلى الخصم في المعركة والقصاء عليه. أو بعبارات مختصرة عامة: فنّ استخدام القوات المسلحة في المعركة. وهذا يضم طريقة تنظيمها، وتشكيلاتها، وتوزيعاتها، وتركيزها، وحركتها، واستخدام أسلحتها، والتعاون بين مختلف صنوف الأسلحة في الصدام.

ومن هنا فإن التكتيك يتناول مسائل:

- السلاح وفن تحريكه في المعركة، وهو ما يعرف باللغة العسكرية المعاصرة فن النيران والحركة.
- 2. التشكيلات بحيث يتبنى التشكيل الأنسب للقوات في المعركة، وذلك لجعل أسلحتها ومعداتها تستخدم على أفضل وجه، وكذلك قوتها البشرية والعددية.
- طريقة استخدام أرض المعركة في الجمع بين السلاح والتشكيلات والحركة.

أما تفصيل ذلك:

#### السلاح:

يمكن تقسيم أنواع الأسلحة منذ أقدم العصور حتى اليوم إلى قسمين رئيسيين:

- 1. سلاح الصدام، أي سلاح الاشتباك القريب مثل السيف والرمح والحربة.
- سلاح المقذوفات أي سلاح الاشتباك البعيد مثل السهم والمقلاع والمنحنيق والرصاص والقنابل والمدافع والصواريخ.
  - 3. الدرع والمتراس والخندق والنفق.

وينضاف إلىها الوسائط المساعدة مثل الفرس والفيلة والعربات والدبابة والطائرة.

إن سمية أسلحة الصدام أو القتال القريب - وقد أضيف إلى عائلتها في العصر الحسديث الرشاشات الخفيفة والمسدس والقنبلة اليدوية - كونها أكثر حسماً لأنها تعين الاشتباك الجسدي الذي يحدد النهاية. إما هزيمة أو نصراً. ولهذا يعتبر هذا القتال مفتقراً إلى المرونة. أما في حالة المقذوفات بعيدة المدى، عدا القنابل النووية، فهي تمتلك المرونة لأنها تعطي القائد وقواته إمكان عدم الاشتباك، وإعادة التحميع، والعودة إلى الاشتباك بالرغم من عمل القذائف، ولا تعتبر هذه الأسلحة حاسمة كأسلحة الاشتباك. والحسم هنا لا يحدد أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه في تقرير مصير المعركة وإنما القصد أن القرار النهائي لا يمكن أن يتم إلا بعد الدحول إلى حسيث العدو لتجريده من السلاح وإنهائه كقوة مسلحة. وهذا ما تحققه أسلحة الصدام. لقد رأينا إن التقديرات العسكرية، حتى في عصر الحرب النووية، تتجه إلى اعتبار السلاح النووي وحده لا يكفي لتحقيق النصر النهائي، إذ لا بدّ من القوات اعتبار السلاح النووي وحده لا يكفي لتحقيق النصر النهائي، إذ لا بدّ من القوات الصدام التكتيكية لإكمال المهمة، ومن المشروع أن تعتبر هذه القوات أي قوات الصدام القسريب متكاملة مع الصواريخ عابرة القارات. بل يجب أن تكون هي الأساس واثانية في خدمتها، ممهدة لها.

### الحركة:

إن طريقة تحريك السلاح وتشكيل القوات وتحريكها، أي الحركة، هو الذي يعطي الحيوية والزخم في المعركة، ولهذا يوصف التكتيك بأنه فن النيران والحركة. وقد انقسسم العسسكريون منذ القديم، وخاصة، في العصر الحديث حول الأهمية

الخاصة لكل من النيران والحركة، ومال الكثيرون إلى التشديد على أهمية النيران، أو السلاح، أو ما يسمى اليوم الثورة في التكنولوجيا العسكرية، والتقليل من أهمية الحركة ودورها. ولكن هذه الموضوعة تقلل من شأن القائد والجندي، أو العامل السذاتي، بالسرغم من أن التاريخ القديم والحديث مليء بالأمثلة التي استطاعت فيها قوات أقل سلاحاً وأضعف نيراناً أو أدنى تقنية، أن تنتصر بفضل الحسركة على قوات أقوى سلاحاً وأكثف ناراً وأرقى تقنياً تكنولوجياً. طبعاً هنالك حالات اعتمد النصر فيها على تفوق السلاح فقط. ولكن هذا الاعتقاد يسؤدي إلى كارثة في حالة عدم الحسم من خلال التفوق في النيران، أو في حالة مسواجهة خصم متفوق بالحركة التكتيكية، أو على الأصح، بالجمع الماهر بين الحركة والنيران في المعركة. لذلك فإن التشديد يجب أن يكون على الحركة أو على النيران المتوفرة والحركة في آن. لأن الحركة هي التي تجعل السلاح يعمل على أفضل وجه.

من هنا يسأتي مقستل عَبَدة التكنولوجيا العولميين حين يتنكرون للإنسان وللأساسيات في علم الحرب ويضعون ثقل الحسم كله في الحرب على التقانة (التكنولوجيا) العليا (الطيران والصواريخ: النيران ثم النيران).

### التشكيلات:

إن مسسألة تسشكيل القوات في المعركة تشكيلاً مناسباً يستهدف الإفادة من كتلتها وأسلحتها ومعداتها وحركتها التكتيكية على أكمل وجه ممكن.

ما دامت المعركة هي صدام بين كتلتين من البشر تستخدمان السلاح لسحق بعضها بعضاً فهذا يقتضى:

- أ. أن تنظم كل كتلة بطريقة تجعلها تعمل كرجل واحد، أو في الأدق بأعلى درجات التناغم والتناسق، لكي يؤدي توحيد جهودها إلى مضاعفة مقدرة للحموع من خلال وضع الكتلة كلها ضمن تشكيل معين.
- ب. ينبع تشكل القوات في المعركة من حاجة كل مقاتل لأن يكون محمياً من أجنحته ومؤخرته بجيرانه، ومن الطبيعي أن يرتب الأفراد بشكل يتيح لكل

- فرد أن يغطي جيرانه، ويغطّى من جيرانه بنظام متراصّ طويل، أو صغير، وبعمق كبير أو قليل تبعاً لتكتيك العصر.
  - ج. لا يمكن قيادة تلك الكتلة من البشر إذا لم تكن منظمة.
- د. تشكيل القوات يعطي كل فرد ثقة بالرابطة المادية والمعنوية التي تربطه ببقية الكتلة.
- ه... لا يمكن تحريك تلك الكتلة وجعلها تقوم بمناورات تكتيكية قبيل المعركة، أو في أثنائها، ما لم تكن مشكّلة بطريقة معينة.

عرفت الجيوش منذ أقدم العصور حتى اليوم أربع تشكيلات رئيسية سواء أكانت القوة التي تشكّل مؤلفة من عشرة أم مائة أم من مائة ألف، وسواء أكانت مسلحة بالرماح والسيوف والقوس والنشاب أم بالرشاشات والصواريخ المضادة للدبابات، وسواء أكانت تسير على الأقدام، أم تمتطي صهوات الخيول، أو ظهور الفيلة، أم تركب الدبابات والعربات.

### وهذه التشكيلات هي:

- الخط LINE: من ميزاته أنه يؤمن التركيز الأقصى لقوة السلاح في حركة الاشتباك. ولكن سيئاته هي افتقاره للعمق، والمرونة، وبطئه، وعدم سهولة تأقلمه مع كل أنواع الأرض.
- 2. الرتل COLUMN: من ميزاته أنه يؤمن المرونة، والعمق، ويتأقلم جيداً مع الأرض، وهــو أكثـر سرعة من الخطّ. أما سيئاته فهي افتقاره إلى الجبهة FRONTAGE وضمانة الأجنحة FRONTAGE.
- 3. المربع SQUARE: يؤمن العمق والجناحين، ويؤمن جبهة وتركيزاً معقولاً. ولكنه أقل إمكانية على المناورة التكتيكية من الرتل، ويستخدم أساساً في التكتيك الدفاعي سواء أكان على شكل مربعات نابليون المقسمة إلى أرتال، أم كان بالمفهوم المعاصر القائل بالنقاط الدفاعية الشاملة والعميقة.
- 4. تشكيلة المناوشة SKIRMISHING: وهي تشكيل متحرك يصلح أساساً للقــوات الــصغيرة. ومــن مزاياها سرعة الحركة، والتأقلم مع الأرض،

ومقسدرتما على أخذ أشكال متعددة بما فيها الخطّ والمربع، ولكن سيئتها افتقارها إلى التركيز عند الالتحام.

أمسا بقية التشكيلات فهي اشتقاقات من هذه التشكيلات الرئيسة الأربعة. ثم تنسشأ إلى جانب ذلك مسألة عدد القوات في التشكيلة، وهذه لها خمسة أشكال: التركيز، التوزيع، الاقتصاد، الزيادة، النقصان.

على أن من المهم الانتباه إلى أن تشكيلات الجيش تقرر نمط التدريب ومستوى القيادات وطرائق عملها وهي مشتقة من نمط الاستراتيجية والتكتيك المحددين. ولهذا حظيت دائماً على أهمية قصوى في الرؤية الاستراتيجية للحرب والنظرية التكتيكية. وتأثرت بنوع السلاح وطبيعة الحرب.

الأرض: إن طريقة استخدام الأرض في المعركة تقرر كيفية الجمع بين السلاح والحركة والتشكيلات. فإن ما يسمى بطوبغرافية أرض المعركة يؤسس شرطاً أساسياً للتنفيذ التكتيكي والمناورة التكتيكية. بل هي من أولى مهمات المناورة التكتيكيية. ولكن من الأنفاق وبناء مدن التكتيكية. ولكن مواصلات تحت الأرض (يمكن من الأنفاق وبناء مدن وخطوط حديدية وطرق مواصلات تحت الأرض).

لم يكن هذا العنصر مهماً أيام المعارك على أرض منبسطة يختارها الطرفان، ولكنها أصبحت حقيقة بديهية الآن خاصة منذ زمن مارلبورو لكنها أصبحت حقيقة بديهية الآن خاصة منذ زمن مارلبورو (1650 – 1722) الذي جعلها عاملاً هاماً في طريقة قيادة الجيوش في المعركة (1).

يجب التفريق هنا بين أهمية استخدام الأرض في المعركة وبين النظرية الخاطئة التي اعتبرت أن الموقع أهم من القوات، ومن ثم اعتبرت أن احتلال الأرض والمواقع الاستراتيجية هما الشيء الحاسم، في حين أن الشيء الحاسم دائماً هو سحق قوات العدو في المعركة لأن أي احتلال للمواقع والأرض، بينما قوات العدو الرئيسة ما زالت سليمة لا يحمل أهمية حاسمة، إذ ستسقط كل المواقع وتستعاد الأرض بأسرع ما أخذت إذا هزمت القوات الرئيسة نظائرها في المعركة الحاسمة.

<sup>(</sup>۱) جون مارلبورو (إنكليزي) قاد معركة "راملي" Ramillies (في بلجيكا) ضد فرنسا وبافاريا.

لقد ازدادت في الحروب الحديثة أهمية استخدام ما تحت سطح الأرض مثل الأنفاق أو غرف الاستراحة والاسعافات الطبية، ومخازن الأسلحة (شريطة عدم اكتشافها من العدو) مع السيطرة على الجو وتطور التقانة العالية للطيران والمنظار والصاروخ والقنابل الذكية، كما لمواجهة استخدام الغازات والقنابل الكيماوية أو النووية الصغيرة.

### تمهيد حول التكتيك

إذا كانت تشكيلة القتال تعني خطأ متراصاً من الرجال يتراوح في العمق، وفي الطول، فإن الحماية ستضعف عند الأجنحة وهي أضعف النقاط. ونظراً لضعف الأجنحة أصبح المتحاربون يحاولون كسب النصر عن طريق الالتفاف عليها مما تطلب الدخول إلى المعركة بجبهة أطول من جبهة العدو. وإذا لم يكن العدد كبيراً فهذا يعني تمديد الجبهة، ومن ثم خلق نقاط ضعيفة جديدة في الجبهة نفسها. وقد فستح هذا إمكان استغلاله عن طريق خرق جبهة العدو. ومن هنا أصبح هدف التكتيك الهجومي في المعركة هو شق تماسك جبهة العدو، وتحطيم نظام تشكيلته، إما عن طريق الالتفاف حول الأجنحة أو خرق الجبهة الأمامية أو الإنزال خلف الخطوط.

ما إن تخرق جبهة العدو حتى يصبح تماسكه مفككاً، وتؤدي الصدمة إلى السعار كل جندي بالخطر، فتتمزق الرابطة المعنوية مع تمزق التماسك المادي، فيستحول الجيش المنظم إلى كتلة مضطربة. ومن هنا أكد كلاوزيفتز على أهمية تحطيم معنويات العدو من خلال الصدمة في المعركة. وكانت هذه هي لحظة إطلاق كتلة الفرسان في الماضي. أما في العصر الحديث فقد أخذت شكل انسحاب منتظم قدر الإمكان من جانب المهزوم، وأحياناً قبل الاشتباك. ومن ثم ملاحقته من جانب المهزوم من إعادة تنظيم قواته، ومتابعة الإجهاز عليه.

إن حسركة الالتفاف على الأجنحة تتطلب حركة أسرع، وامتداداً أوسع، مما يتطلبه خرق الجبهة. ولهذا السبب كانت الأجنحة تتشكل من الفرسان وأصبحت تتشكل من الآليات المصفحة فيما بعد.

يجسب علسى الجانب المهاجم أن يمتلك قوة متفوقة على دفاع العدو، وهذا يستحقق عن الطريق التعاون بين مختلف أسلحة الصدام – فرسان ثقيلة أو خفيفة، فيلة، مدرعات ودبابات – وأسلحة النيران المؤازرة أو الممهدة (سهام، نبل، مقاليع، منحانيقات، مدفعية مشاة، طائرات، صواريخ) ويجب على كل هذه الأسلحة أن تتقاسم الأدوار وتكون متعاونة متناغمة ومتحركة وسريعة في حرق جبهة العدو.

اعــــتمد هذان الشكلان من الهجوم: الالتفاف على الأجنحة، أو صدمة خرق الجبهة الأمامية، على ما يلى - في الماضى:

- 1. حجم كل من الجيشين.
- 2. فعالية فن الهجوم بمقارنته مع فن الدفاع كما فعالية كل منهما.
  - 3. السرعة.
  - 4 وأضيف عامل الأرض والتحصينات فيما بعد.

كان الدفاع يعتمد على مقدرة كل رجل في الخطّ على استخدام سلاحه، وكان أحياناً محمياً بدرع، أو بخطّ من رماة النبل والسهام، أو بحاجز صغير من الأخيشاب، أو خندق، أو وراء سور (كان الأسلوب في معالجة الدفاع عن المدن من وراء أسوار عالية يعتمد على الحصار الطويل أساساً، مع محاولات لاختراق السور من إحدى نقاطه، أو أبوابه، عن طريق الخدعة والتسلل أو التسلق).

ولكن الدفاع في معركة الاشتباك قد اعتمد أساساً على استخدام القذائف بادئاً بالسسهام، ثم المنجنيق، ثم المدفع، والقذائف المتفجرة، والبنادق، وكان على الهجنوم مواجهة هذه الأسلحة قبل الوصول إلى متاريس العدو في قتال قريب، عن طريق استخدام مثيلاتها لإسكات أسلحة القذف الدفاعية، أو على الأقل إنقاص كثافتها إلى حدّ معقول يتبح إمكانية الاندفاع إلى نقطة الاختراق.

ولكن منع تطور الأسلحة التقليدية الحديثة - زيادة كثافة النيران - أصبح الدفاع في القمة. مما جعل عملية المعركة أكثر تعقيداً وأصبحت تتطلب مجموعة من الإحسراءات والخطط الماهرة وعمليات المناوشة حتى يغدو بالإمكان الالتحام مع العدو. أي أضحى من الضروري إنحاكه وإنسزال خسائر أولية به مع التركيز على السنقطة الحاسمة في الوسط أو في الجناحين. ولكن كان لا بدّ قبل بدء عملية

الاختراق أو الالتفاف تشغيل احتياط الدفاع، إما بجرّه إلى نقطة هجوم تضليلي، أو إحسباره على التوزع على نقاط كثيرة، إلى جانب التركيز على هزّ معنوياته. ومن هنا أصبحت المعركة التكتيكية تتشكل من مرحلتين:

- 1. مرحلة أولى تمهيدية قد تكون طويلة أو قصيرة حسب كل حالة.
  - 2. مرحلة توجيه الضربة الرئيسة.

ولنتذكر أن أي حيش يتألف من بشر يجمعهم نظام، وتماسك، وثقة متبادلة، ومعنويات وإرادة على القتال، وأسلحة وكثافة نيران، وتشكيلات معينة تؤلف سداً في وجه الهجوم، واحتسياط متحسرك، واتصال دائم بالقواعد الأساسية لتأمين المواصلات والتعزيزات - والدعم اللوجستيقي. الأمر الذي راح يفرض على الهجوم:

أ. تمـزيق تماسك الجيش ونظامه وهزّ معنوياته، الناحية النفسية السيكولوجية (وكـان كلاوزيفتـز قـد كرس جزءاً كبيراً من كتابه "حول الحرب" (ON WAR) لمسألة المعنويات وأهميتها في الحرب).

أما تحقيق ذلك فيتمّ بطرق متعددة منها:

- 1. قــبل المعــركة: عمليات حصار وإنحاك مستمر، وشائعات وحملات نفسية، وتظاهرات قوة.
- 2. بــدء المعــركة: عمليات خداع، رهبة القتال، والصرخات والقنابل المصوتية، وعمليات التمويه، وأساليب المفاجأة، التي تصل قمتها حــسب رأي نابليون عند لحظة تصدع معنويات العدو أي لحظة المحوم المفاجئ الكاسح.
- 3. عملية الاختسراق نفسها وتمزيق أحد الأجنحة أو كليهما، أو خرق الوسط، أي هز تماسك الجيش ومعنوياته بقوة الصدمة المسلحة (كلاوزيفتز).
- ب. إسكات نيران العدو، أو إنقاصها جداً، وذلك من خلال تركيز نيران تمهيدية، خصوصاً، في نقطة توجيه الضربة الرئيسة. وهذا بدوره يمزق تماسك العدو عندما ينجح الاختراق من تلك النقطة ويتخلخل سدّ الدفاع.

- ج. قطــع مواصـــلات العدو وطرق إمداده، وإذا أمكن ضرب مخازن ذحائره وتموينه في جبهة المعركة نفسها أيضاً.
- د. أصحبح تحوفير غطاء جوي أمراً حاسماً في الحروب الحديثة التي تستخدم السلاح التقليدي، ولكن المقاومة الفياتنامية في حرب تحرير جنوبي فياتنام أثبتت أن من الممكن لقوات المشاة المهاجمة تخطي هذا الشرط الذي يجمع عليه كل العسكريين الكلاسيكيين.

ينطبق ما تقدم على تكتيك المعارك الأرضية، أما الأسطول البحري وقوة الطيران فالعملية في الجوهر صراع بين آلات حديدية في قلبها الرجال، لذا فإن الجانب المادي في معارك الجو والبحر له الأهمية الحاسمة مثل السرعة والحركة والمدى والحماية والوزن والعدد. فنتائج المعركة تقرر، أساساً، بعدد السفن المغرقة والطائرات المسقطة. وإذا لم تكن القوى المادية متوازنة فإن أحد الطرفين سيتخلى عن الميدان، لذا فإن التفوق في السلاح والمعدات هو الحاسم في معارك البحر والجو.

إن التكتيك في الجو والبحر يختلف عن الأرض:

 أ. العامل الطوبغرافي ملغى، أما العوائق الوحيدة مثل الرياح والشمس والغيوم والضباب فهي دائماً متساوية بين الطرفين بسبب عملية الحركة والمناورة.

ب. العامل الإنساني أقل تأثيراً في معارك الجو والبحر.

ج. إن القـــتال في تشكيلات خطوط وأرتال لم يطبق في البحرية إلا في مرحلة قصيرة ولم يطبق في الجو مطلقاً.

د. الــشيء الحاسم في معارك البحر والجو متوقف على الجانب المادي والتقني فضلاً عن أهمية التدريب والشجاعة.

وأخيراً إن المعركة الجوية هي حصيلة معارك فردية، وهدفها تحطيم آلة الطيران المعـادي في الجو، أو في المطارات. لذلك فإن مفهوم تكتيكها يختلف حوهرياً عن تكتيك معارك الأرض.

### بين العمليات والتكتيك

كـــان مركز الثقل بين العمليات والتكتيك يتنقل من أحدهما إلى الآخر، مع مراحل اندماج أو توازن.

لقد كانت المرحلة الأولى، والتي امتدت ردحاً طويلاً من الزمان حتى أواخر القرن الثامن عشر، باستثناء حروب الفتوحات الإسلامية الأولى، قد تميّزت بأولوية المعركة على العمليات حيث كان الأساس هو الاشتباك والمناورة التكتيكية على أرض المعركة بالدات، وفي أثناء الالتحام. وكان مركز الثقل في المعركة يتحدد أساساً في حجم القوات وقوة "النيران". أما المرحلة الثانية، فقد انتقل فيها مركز السثقل إلى العمليات أولاً، ثم إلى الحركة وقوة النيران داخل المعركة، وكان نابليون أستاذ هذا التطوير الجديد في العصر الحديث. وجاءت المرحلة الثالثة، والتي امتدت حسى نهايدة الحرب العالمية الأولى آخذة في طريقها القرن التاسع عشر كله، حيث انعقد نوع من التوازن الرجراج بين العمليات وحجم القوات والحركة التكتيكية وقوة النيران.

لقد أدى تطور كثافة النيران والأسلحة والتجنيد العام، وتعميم "التكتيك الكبير" النابليوني، إلى تكوين شبكة واسعة من الأرتال أصبح الرجال فيها مكثفين لتسشكيل كتلة قتالية متأهبة دائماً. مما أنقص من قيمة العمليات النابليونية، وجعل الحركة التكتيكية في المعركة لا تقل أهمية عن حركة العمليات.

إن زيادة قوة النيران، وخاصة، البندقية السريعة الطلقات، إلى جانب الخنادق والمــــتاريس، ثم المدفـــع الرشاش، والأسلاك الشائكة مع مطلع القرن العشرين زاد كثيراً من قوة الدفاع. وأصبحت عملية الاختراق صعبة. وبقي الأمل لدى الهجوم في حــركات الالـــتفاف حول الأجنحة غير المحمية، ولكن هذا الالتفاف يشترط لنجاحه أن يكون أسرع من نقل احتياط الدفاع وأسرع من انسحاب الجناح الذي ضُــرب علــيه عملية الالتفاف. ولكن هذه السرعة لم تتوفر وأسفرت عن التفاف يقابلــه انــسحاب، ثم التفاف مضاد فانسحاب، والتفاف مضاد، كما حدث في الحــرب العالمية الأولى بالنسبة إلى خطة سكليفن SCHLIFFEN ومعركتي المارن الجبهة المحدث المحدث المحدد المحدد

مسن سويسسرا حسى بحر الشمال وتحولت إلى معارك استنزاف. علماً أن هذه الظاهرة سبقت وحدثت في الحرب الأهلية الأميركية، وفي جبهة منشوريا في الحرب الروسية - اليابانية (1904 - 1905).

لقد كان السبب في تحوّل حرب الحركة النابليونية إلى جبهة راكدة:

- أ. زيادة القدرة الدفاعية مع اختراع المدافع الرشاشة محمية بالخنادق والمتاريس
   والأسلاك الشائكة، وتوفر عدد ضخم من الجنود والاحتياط.
- ب. لما أصبحت حركة الالتفاف الجانبية غير ناجحة تدنت المعركة إلى حرب خسنادق، مسع بقاء محاولات الاختراق على أمل إعادة الحركة للعمليات وللمعركة على حدّ سواء.
- ج. تخلف جنرالات الحرب عن إيجاد التكتيك المناسب، وحركة العمليات المناسبة في مواجهة قدرة الدفاع مع التطورات الجديدة في كثافة النيران والتحصين وسرعة الاحتياط.

وكان الحلّ الوحيد الذي فكر فيه الجنرالات في هذه المرحلة هو زيادة كثافة السنيران، خصوصاً، نيران المدفعية. ولكن على الرغم من الزيادة الهائلة لتلك النيران فقد بقي الركود على حاله. فقد كان يكفي ليفلت موقع رشاش أو أكثر، ليقضي على اندفاع الهجمة الكثيفة. وثبت أن قوة نيران الهجوم مهما تعاظمت لا يمكن أن تكون حلاً إذا لم تصحبها حركة مناسبة.

جاءت المسرحلة السرابعة مع تطور استخدام الدبابات والطيران متحلياً بتكتيك بليتزكريغ الألماني، مما أعاد للحركة كل حيويتها - الحركة في المناورة الاستراتيجية والحركة في المناورة التكتيكية. ولكن هذه المرحلة تميّزت بالاشتباك مهداً لاختراق بعض نقاط دفاع الجبهة الطويلة يتبعه تغلغل في العمق مصحوباً عسناورات استراتيجية شبيهة بالمناورة النابليونية لفرض قرار في معركة حاسمة. وهسناك عاد مركز الثقل إلى الحركة - حركة الاشتباك ثم حركة العمليات ثم حركة الاشتباك، وهذا عكس التكتيك الكبير النابليوني - العمليات تسبق وقميئ للمعسركة - الآن معسركة الاختراق تسبق وقميئ للعمليات والتي قميء بدورها للاشتباك.

أما مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية فقد عاد مركز الثقل لحركة العمليات، ولكسنها حسركة سريعة الالتصاق بحركة المعركة. وذلك بسبب تضاعف السرعة وحركة القوات نتيجة تطور الطيران ليس كقوة ضاربة فحسب، وإنما أيضاً، كقوة مسناورة تحمل القوات الأرضية بآلياتها إلى أية نقطة في جبهة العدو ووراء خطوطه الأمامية لتبدأ مناوراتها وتفرض المعركة. إن تكتيك بليتزكريغ الذي كان يقضي بإحسراء عملية اشتباك أولاً لنقل الدبابات إلى ما وراء خطوط الدفاع، أصبح الآن عملية اشتباك جوي للسيطرة على الجو لنقل القوات الأرضية. هذا وقد يتخذ إما شكل هجوم على المطارات أو معارك جوية كتمهيد للعمليات ثم المعركة.

وإذا تـرجمنا هـذا إلى لغـة عسكرية فسوف يعني أن استراتيجية العمليات أصبحت شديدة الحركة مع سرعة التحرك والطيران. ومن ذم زاد عمق المعركة و لم تعـد جبهة أمامية. بل أصبحت منطقة واسعة عمقاً وعرضاً وذات بعد جوي على غاية الأهمية، و لم تعد خطوطاً وجبهات وإنما اتجاهات. وتكرّست هذه الظاهرة مع تطور الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى.

إلى هـنا نكـون قد مهدنا بخطوط عريضة عامة لندخل في موضوع دراسة التكتيك بتفصيل يزيد الصورة وضوحاً.

- 2 -

## تطور التكتيك عبر العصور

لم يــتطور التكتيك العسكري صعداً من الأدبى إلى الأرقى على شكل تطور مطرد متناسق، كما لم يكن دائماً في مستوى التطور التقني والصناعي والاقتصادي والاجتماعــي. لأنه كثيراً ما كان يتخلف عنه، ويظلّ أسيراً للتقاليد لمدى طويل أو قصير. ولكنه كان في النهاية يعود ليصبح في ذلك المستوى.

يقــول كلاوزيفتــز: "أي شــيء أكثر بدهية من أن يكون للحرب الثورية (الفرنسية) طريقتها الخاصة في التصرف ومعالجة الأشياء؟ ولا يمكن للنظرية إلاّ أن تشمل تلك الطريقة الخاصة، بيد أن المعضلة هنا أن النظرية المتولّدة عن حالة خاصة

سرعان ما يولي زمانها، لأنها تستمر في البقاء من دون تغيير في حين تكون الظروف قد أخذت تتغير كلياً بالتدريج. وهذا ما يجب على النظرية أن تتجنبه من خلال النقد المرن العقلان.".

إن كلاوزيفتر، في الواقع، يطرح هنا موضوعة صحيحة على غاية الأهمية تفسر التطور المتفاوت بين تخلف النظرية وتغير الظروف. كما تفسر لماذا لم يتطور التكتيك صعوداً من الأدنى إلى الأرقى على شكل تطور مطرد، وإنما أحذ شكل تعرجات تشبه الرسم البياني لسلسلة جبال تعلو قممها وتمبط، كما أن تلك القمم لا ترتفع باطراد، وإنما قد ترتفع إحداها لتتلوها مجموعة من القمم أدنى منها ثم تأتي قمة أعلى وهكذا. أما تفسير ذلك فيرجع إلى اختلاف القارات والأزمنة والأمكنة والظروف الاجتماعية والأنظمة.

لقد تطور التكتيك العسكري زمن المصريين القدماء تطوراً عالياً جداً كما يبدو من تفاصيل معركة قادش 1288 ق.م. حيث نظموا جيوشهم إلى فرق ذات اكــتفاء ذاتى تــتألف كــل فرقة من مختلف الأسلحة (مشاة، رماة النبل، العربات المحاربــة). وقد راحت تعمل كلها بتناسق رائع في المعركة. كما أقاموا نظاماً إدارياً عالى الكفاءة، واستخدموا تكتيك الالتفاف على الأجنحة وأساليب الهجوم التصفيلي مع التركيز على نقطة الهجوم الرئيسي. ولكن هذا المستوى من التكتيك لم يحسافظ علميه، ولم يطور في زمن اليونان والرومان والفرس، بل تدبي مستواه، خصوصاً، مع تشكيلة الفلانكس PHALANX المكدونية حيث راح القتال يأخذ شكل خطّين متوازيين تقف المشاة الثقيلة في المقدمة ووراءها المشاة الخفيفة، بينما ينتــشر رماة النبل والحجارة في الخطّ الثاني، أما الفرسان فعلى الجناحين. إن عيب تشكيلة الفلانكس يأتي من ثقل كتلتها وصعوبة مناورها، إذ ما إن يشتبك الطرفان حتى تصبح أية مناورة من قبل تشكيلة الفلانكس غير ممكنة، عدا المضى في الصدام جامداً، كـونها خالـية من الاحتياط وغير قادرة على التأقلم مع كل الظروف الطوبغسرافية، فهي لا تستطيع أن تعمل إلا في الأرض المنبسطة لأن قوها تنبع من تماسك كتلتها. اكتـشف هانيـبال (حنابعل) هذا الضعف فأضاف لتشكيلة الفلانكس خطأ ثالثاً يمـثل الاحتياط. وقد استخدمه بمهارة فائقة في معركة طريبة TREBIA في إيطالـيا (218 ق.م.) حيث أشغل وسط الجيش الروماني بقوته الرئيسية الأمامية، وهاجم جناحه الأيسر بدفعة قوية من الفرسان والمشاة في لحظة حاسمة من لحظات المعـركة. وكـان الرومان قد أضافوا هم أيضاً تشكيلة الخط الثالث الاحتياطي، وأسمـوا تـشكيلة الفلانكس من خطين مثل تشكيلة الفلانكس من خطين متوازيين صداميين مضافاً إليهما خط التعزيز أو الاحتياط.

وقد سموا تلك الخطوط أنساق (أيشلونات). ولكنهم قسموا كل نسق (أيسشلون) إلى وحدات أصغر مما أكسبه عمقاً. ومن ثم أصبحت كتلة الليجون قدادرة على التوزع والتشكل كما يمكن أن تجزأ لوحدات أصغر متحركة. وقد برزت قيمة هذا التشكيل الجديد على الفلانكس اليوناني في معركة بدنا PYDNA في السيونان (168 ق.م.) حسيث جروا الفلانكس إلى أرض غير مستوية فانفصل جسناحاه وهنا اندفع الرومان كرأس سهم ضارباً إسفيناً مزق الفلانكس بالرغم من دقة نظامه وتدريبه الجيد. وهكذا برزت قيمة الحركة والمرونة واستخدام الاحتياط بيسنما ظهر جمود الفلانكس وعدم قدرته على الحركة المرنة والتشكيل السريع، وافتقاره إلى الاحتياط، وميزه التأقلم مع الأرض غير المستوية.

تكرّست تشكيلة الثلاثة خطوط بدل الخطّين اليونانيين منذ ذلك التاريخ. وإلى أمد طويل.

بعد معركة أدريانوبل ADRIANOPLE في تركيا (378م) سحقت الليجونات الرومانية أمام هجمة الفرسان التي استخدمت لتقوم بدور تكتيك الصدمة الهجومية الرئيسة. ومنذ ذلك التاريخ تخلى الرومان عن الليجونات – المشاة القوة الرئيسية – وجعلوا الفرسان سلاحهم الرئيس. كان تكتيك المشاة باستخدام الرمح والسيف عاجراً عين مواجهة صدمة الفرسان. وهنا استخدم تكتيك مضاد للفرسان وهو القوس والنشاب.

وجاء الإمسبراطور جوستنيان في القرن السادس للميلاد ليعالج هذا التكتيك المضاد فقسم الفرسان إلى قسمين (أ) الفرسان الخفيفة وسلاحها القوس والنشاب

التطلق سهامها في كل اتجاه وهي تعدو بسرعة على خيولها، (ب) الفرسان الثقيلة وسلاحها السسيوف والرماح ومهمتها إنسزال الصدمة الهجومية الرئيسة بعد أن تكون المشاة الخفيفة قد عطلت رماة السهام من المشاة أو ضعضعتهم. أما تنظيم الجيش البيزنطي فقام على أساس وحدة الباندوم BANDUM (400 رجل) وكل تسلات أو أربع وحدات باندوم تشكل لواء وكل ثلاثة ألوية تشكل فرقة أو تورما وسلات أو أربع وحدات للجيش إدارة كفوءة، فكانت هنالك عربة لوجستيقا لكل وحلا إلى جانب خدمات طبية منظمة.

كان الفرس في تلك الفترة قد طوروا استخدام سلاح الفيلة ليلعب دور السحدمة التي تشق صفوف المشاة بينما تكون مشاة الفرس خلف الفيلة مباشرة لإتمام الهجوم، وهو تكتيك شبيه بتكتيك الحرب العالمية الأولى في استخدام الدبابات ووراءها المشاة لتحقيق الاختراق.

وجاء العرب ليتفوقوا على كل من قبلهم في مجال التكتيك العسكري، خصوصاً، في محال الحركة التكتيكية، وتشكيلات القوات، وتعاون صنوف الأسلحة وابتداع فن المناوشة (١).

ولكن هذا التطور الذي أحدثه العرب لم يحافظ عليه في أوروبا التي هوت بين براثن الإقطاع وعقلية الفروسية. فسلاح الفرسان أصبح في عهد الإقطاع في أوروبا، وهو السلاح المتفوق، فاقداً لقوة المناورة التي أعطاها له العرب، فغدا كتلة من الحديد الثقيل فوق الفرس. وأتقن فن المبارزة الفردية مع انحدار في فن تكتيك التشكيلة القتالية في معركة تتعاون فيها الأسلحة كلها وتمارس أدوارها بتناغم.

ولعسل الفترة الوحيدة في هذه المرحلة، التي تطور فيها التكتيك، هي تلك التي حساءت على أثر تجارب جيوش أوروبا الإقطاعية في حروب الفرنجة ("الحروب الصليبية")، حيث أفادت من الدراسات النظرية التي خلفتها الإمبراطورية الرومانية السشرقية، والستي عامل منظروها الحرب كعلم. ووضعوا مجموعة من الدراسات النظرية وكراسات تعليمات ميدان تغطى مختلف مجالات الحرب.

 <sup>(</sup>١) راجع الدراسة الخاصة بحروب العرب المسلمين وحروب نابليون في نهاية الفصل الخامس.

ولعـــل أهم هذه الأعمال هي التي كتبها الأباطرة، أمثال الإمبراطور موريس MAURICE في عام 580م، ومؤلف MAURICE في كتابه "الاستراتيجية" STRATEGIEON في كتابه الاستراتيجية " STRATEGIEON في المحكيم الذي امتد حكمه من 886 – 912. وقد بحثت في هذه الدراسات مسائل التنظيم في الجيش والإدارة وتسلسل القيادة وأقسام الجيش، وعمله التكتيكي في الميدان والاعتبارات الاستراتيجية التي يجب أن يراعيها القادة. وقد انعكست هذه الدراسات على جيوش الفرنجة التي شكلت الجيش من الفرسان وسهام الثقــيلة والمــشاة وجعلته كتلة واحة مع تكتيك يجمع بين حركة الفرسان وسهام المشاة ("النيران"). وهذا تفوق التكتيك العسكري الأوروبي في حروب الشرق على التكتيك العسكري بين الإقطاعيين في أوروبا.

لكن هذا التكتيك سقط أمام تكتيك المسلمين الذي امتاز بقوة المناورة وحركة المناوشة والسرعة، إذ بينما كانت جيوش الفرنجة تتحرك ككتل متماسكة وتعتمد على صدمة هجوم الفرسان في الاشتباك، راح المسلمون على خيولهم الخفيفة يناورون بشكل متحرك سواء أكان في أثناء الاشتباك، أم في إزعاج جيش العدو في أثناء الزحف. وقد استخدموا الخيالة من رماة السهام لتناوش الجيوش الثقيلة من الأجنحة ومن المؤخرة وتكر عليها ثم تفر لتستدرجها إلى مصائد أو تنهكها، ثم يأتي دور الصدمة الهجومية في اللحظة الحاسمة.

أما صلاح الدين الذي أظهر مهارة في تطبيق هذا التكتيك برع في إبداع تكتيك آخر وهو العمل على فصل المشاة عن الفرسان في جيش العدو وضرب الطرفين منفصلين بعد أن يفقدا عنصر الجمع بين سهام المشاة وصدمة الفرسان.

على كل حال، إن استعراضنا لتطور التكتيك اعتمد على المراجع الأوروبية، وخصوصاً ليدل هارت. ولهذا مرّ سريعاً بتطور التكتيك قديماً في مصر وفارس مع تركيل على أوروبا لكي نأتي تدريجاً إلى بحث التكتيك في عصر نابليون ثم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين – أي مرحلة الأسلحة النارية. ولهذا فإن تطور التكتيك للدى الشعوب الشرقية في آسيا لم يعط حقه في هذه الدراسة. لأن الدخول فيه يحتاج إلى بحسث مطول مستقل. وإن كان من الضروري التنويه بصورة عامة أن الشرق، ولا سيما، المغول والعرب قد أبدعوا في فنّ المناورة التكتيكية وفنّ المناوشة.

## تطور التكتيك في عصر الأسلحة النارية

كـتب إنجلو في الصد دوهرنغ يقول القد جلب البارود من العرب إلى أوروب الغربية، في مطلع القرن الخامس عشر، وقد أدى ذلك، كما يعرف كل تلميذ مدرسة، إلى إحداث تطوير أساسي في قواعد الحرب ". ولكن إنتاج البارود والأسلحة النارية يتطلب صناعة ومالاً، وكان هذان الجانبان يوجدان بأيدي سكان المدن، لذلك كانت الأسلحة النارية منذ البداية أسلحة المدن وأسلحة الملكية المعتمدة على المدن في كفاحها ضد النبلاء الإقطاعيين، وقد راحت الأسوار المجسرية حول قصور النبلاء تتساقط أمام مدافع سكان المدن، كما أخذ رصاص المسنادق والطبنجات يخترق دروع فرسانهم. وهكذا أصبحت المشاة والبنادق هي العامل الأكثر حسماً مع تطور البرجوازية ".

كسان الأتسراك من جهة وجيوش بولندا من جهة أخرى هم أول من حاول تشغيل المدفعية في الميدان، وإن كان الأتراك قد برعوا في استخدام مدفعية الحصار، ولكسن غرب أوروبا ظلّت متخلفة عن المناورة في المدفعية في الميدان، وكان أقصى استخدام لها يتركز في وضعها وسط خطّ الجبهة دون أن تلعب دوراً متحركاً.

أما الطبنجات والبنادق فقد ظلّت أسلحة بطيئة وبدائية، ولهذا بقي دورها مساعداً لأنها كانت بعد أول إطلاق جماعي VOLLEY تنشغل في إعادة الدكّ للإطلاق السثاني، وهنا تصبح تحت رحمة هجمة الفرسان. مما اقتضى تجميع حملة البنادق من المشاة في خطّ متراصّ على طريقة الفلانكس وأصبحوا كتلة ثقيلة دفاعية وبحاجة أيضاً إلى صف آخر من حملة الرماح للدفاع عنهم أمام هجمة الفرسان. فقد كان سلاح الفرسان في هذه المرحلة يشكل القوة الرئيسة. أما المشاة والمدفعية فأسلحة مساعدة.

أدخــل غوســتاف أدولف (1594 - 1632) تحسينات أساسية على تنظيم الجــيش، فجعــل ســرية المــشاة 150 رجلاً (75 حملة بنادق و59 مسدسات - طبنجات - والبقية ضباط ومساعدو ضباط)، وألف الكتيبة من أربع سرايا، واللواء مــن ست كتائب. وخفف وزن البندقية وقصر الرمح من 16 قدما إلى 11 قدماً، وكانت التشكيلة شبيهة بالليجون الروماني (ثلاثة خطوط متوازية)، وحرر الفرسان

مـن البنادق، وقصر أسلحتهم على السيوف والطبنجات ليصبحوا أخفّ وبالتالي أسرع حركة. وقسم المدفعية إلى ثلاث فئات:

أ. المدفعية الثقيلة للحصار أساساً.

ب. مدفعية ميدان تقيلة ومتوسطة.

ج. مدفعية كتيبة - باوندين - تصحبها المشاة الخفيفة.

لقد أدى إدخال مدافع الميدان الخفيفة إلى زيادة كثافة النيران مع حركة تكتيكية للرمي على أية نقطة، وهذا عكس مدافع الميدان الثابتة التي كانت ترمي على اتجاه واحد فقط. وإذا أضيف إلى هذا إدخاله للحربة على البندقية يكون قد جعل الميشاة سلاحاً رئيساً يلعب دور قوة صدام لأن إدخال الحربة على بندقية الميشاة جعل من الممكن توزيع الخط، وتخفيف التراص مما قلل أخطار المدفعية المضادة، وحرر المشاة من ضرورة حمايتها بوحدات الرماح ضد هجمات الفرسان.

إن إصلاحات غوستاف أدولف عززت دور المدفعية - مدفعية الميدان المتحركة - ومعها سلاح المشاة. ولكن هذه الإصلاحات لم تصبح عامة في أوروبا و لم تجد تكتيكها المناسب إلا بعد مرور زمن طويل. وكان فريدريك الثاني الكبير (1712 - 1786) قد ارتفع بإصلاحات غوستاف أدولف إلى أعلى ذروة حتى ذلك الوقت، في ما يتعلق بتنظيم المشاة على ثلاثة خطوط. وقد جعلها على شكل مربع أحدوف طويل الجبهة. وتتم حركته على أساس كتلة واحدة وفقاً لنظام التحرك العسكري في المعركة كما طور فريدريك الكبير تكتيك الخط المائل.

ويقــول إنجلــز عن تشكيلة الخطوط في زمن فريدريك الكبير: "إن مثل هذه الكتلة ثقيلة الحركة لا يمكن أن تتحرك بهذه التشكيلة إلا على أرض منبسطة تماماً، بل وحتى في هذه الحالة، فإن تحركها يتم بمعدل بطيء جداً (خمس وسبعون خطوة في الدقــيقة). وأما تغيير هذا التشكيل في المعركة فكان أمراً محالاً، إذ ما أن تشتبك المشاة مع بعضها البعض فإن النصر أو الهزيمة يتقرران بسرعة، وبضربة واحدة".

أدخل تكتيكان هامّان خلال هذه الفترة أحدهما جاء بوساطة القائد الفرنسي هنري تورين TURENNE (1675 - 1675). وقد عمل على تغيير نظام الخطوط السئلاث المستوازية بتسشكيلات تستطيع القيام بمناورات تكتيكية مثل الاستطلاع

والتمرن على فن الاستكشاف وحماية الجيش في أثناء الزحف، أما التطور الثاني فكان على يد القائد الإنكليزي جون مارلبورو (1650 - 1722) حيث أرسى تكتيك احتلال الموقع الاستراتيجي أكثر من الاهتمام بتكتيك مهاجمة نقاط الضعف في جيش العدو. وأثبت في معركة راميليس RAMILLIES (1706) - في بلجيكا - أن أشد نقاط الضعف والخطر هي تلك القريبة من خطوط انسحاب العدو. إن هـنين التكتيكين أصبحا يتطلبان لتنفيذهما إحداث تغيير أساسي في تشكيلة الخطوط، ولكن هذا التغيير انتظر طويلاً حتى بجيء نابليون.

### تكتيك المناوشات

بينما كانست أوروبا تقاتل بتشكيلة الخطوط كانت القارتان الأميركية والآسيوية تمارسان تكتيكاً أرقى وهو تكتيك وحدات المناوشة التي تقاتل في الغابات وخلف السصخور وتنصب الكمائن، وتستخدم الحركة الفائقة في تكتيكها.

لقد لاقى البريطانيون الأمرين من تشكيلات الهنود الحمر القائمة على أساس فسن المناوشة المجلسة SKIRMISHING حيث راحوا يقاتلون تشكيلات الخطوط من مسسافات أبعد ومن وراء مواقع مستورة. ولم يسعف البريطانيين في النهاية غير التفوق في النيران والسلاح والتقنية.

وكان هذا الفنّ (فن المناوشة) متطوراً جداً في آسيا، وبصورة تقليدية، وقد طبقـــته باستمرار القبائل العربية في شمالي إفريقيا وفي الصحراء ومارسته القبائل في أفغانستان، كما قبائل المغول وغيرهم.

أعدادت حرب الاستقلال الأميركية الحياة من جديد لهذا التكتيك، حيث راحت تشكيلات الثوار تقاتل بزمر موزعة وقوات سريعة الحركة، وبقناصة منتشرين تحت غطاء الغابات والصخور. ويقول فريدريك إنجلز "فأصبحت تشكيلة الخطوط تحت مثل هذه الظروف، بلا حول ولا طول، فلحقت بها الهذي من خصوم غير مرئيين وغير ملموسين. لقد أعيد اكتشاف القتال بأسلوب المناوشات، وهو أسلوب جديد في الحرب جاء نتيجة للتغير الذي طرأ على المادة الإنسانية في الحرب".

تفــسير إنجلز هنا حول التحول إلى أسلوب المناوشات من خلال ما طرأ على المــادة الإنــسانية في الحرب لا يفسر أولاً تطوره في مناطق متعددة قبل ذلك. ولا يفسر ثانياً تطوره من خلال تجرب الاستقلال الأميركية نفسها.

#### تكتيك نابليون

جاء نابليون ليحسّد التطور الكيفي الذي حدث مع اندلاع الثورة الفرنسية، وليصل حدّ الكمال بـ:

- 1. تطويرات غوستاف أدولف فيما يتعلق باستخدام المدفعية في الميدان.
  - 2. تطويرات تورين حول المناورة.
  - تطويرات مارلبورو حول الإفادة من الأرض.
  - 4. تطويرات فريدريك الكبير في مفاجآته التكتيكية البارعة.
- تطويرات حرب الاستقلال الأميركية حول فن المناوشة واستخدام القناصة.
  - 6. تطويرات الثورة الفرنسية باستخدام تشكيلة الرتل.

وكان أمامه استخدام جيش ضخم مؤلف من تجنيد أمة بأسرها؛ فأبدل تسشكيلة الخطوط وأحل محلها تشكيلة الرتل COLUMN مما أتاح لقوات قليلة الستدريب أن تتحرك بمستوى جيد من النظام. والأهم أن تتحرك بسرعة أكبر (مائة خطوة وأكثر في الدقيقة)، وكانت لهذه التشكيلة مزايا أخرى: (1) سهولة قيادتما (2) مقدرتما على التأقلم مع أية أرض (4) توفير العمق الذي برزت أهميته في معركتي ريفولي RIVOLI (1797 ضد النمسا في إيطاليا) ومارينغو MARENGO (MARENGO ضج النمسا أيضاً) وإذا أضيف لها مجموعات القناصة، وزمر المناوشة، واستخدامه البارع للمدفعية، فمن السهل التصور مدى تفوقه التكتيكي على تشكيلة الخطوط الجامدة. مما أتاح له اختراقها بسهولة.

كان تكتيك نابليون في المعركة يبدأ بمجمات صغيرة من مجموعات القناصة، والمناوشة، لإشغال تشكيلات الخطوط وإبقائها في حالة اشتباك، ومن ثم إنحاكها عموماً، بينما يكون قد ركّز مدفعيته على النقطة التي حددها للاختراق، وما إن

يمزق تلك النقطة وينهنه بقية الجيش بعمليات القناصة ينتقل إلى الهجوم في اللحظة المناسبة قبل أن يستعيد العدو رباطة جأشه، ويعيد تنظيم خطوطه، ولا سيما، نقطة الاختراق. هنا كنان يشن هجوم المشاة بكل قوة تشكيلة الرتل الذي أعطى الاختراق عمقاً وجبهة. وبهذا جاءت انتصاراته حاسمة.

يلاحـــظ ممــا تقــدم أن نابلــيون لم يكــن أستاذ الاستراتيجية والعمليات الاســتراتيجية فحسب، وإنما أيضاً أستاذ التكتيك وذلك بالجمع البارع بين النيران والحركة والتشكيلة المناسبة واختيار نقطة توجيه الضربة الرئيسة مع اختيار اللحظة الحاسمة لتوجيهها.

أما هريمة نابليون في ووترلو (1815) فلها مجموعة من الأسباب السياسية والدولية، ولكن إذا أخذت المعركة من الناحية العسكرية الصرف، فقد تفوق عليه ويلنغتون (DUKE OF WELLINGTON – إنكليزي) بالقيادة التكتيكية للمعركة مستفيداً من دروس نابليون نفسه، وهو بهذا المعنى تلميذ له بحق. فقد قام نابليون بمسناورة استراتيجية عبقرية حرين ركر قسماً من قواته سراً في شارلوروا بمسناورة استراتيجية عبقرية ماكرة على الطريق الرئيسي نامور – نيفل NAMUR-NIVELLES، ونسصب مصيدة ماكرة على الطريق الرئيسي نامور – نيفل من طوبغرافية الأرض لحماية جنوده من تركيز نيران المدفعية، وقرر اتخاذ موقف دفاعي بقصد استيعاب نيران المدفعية والصدمة الهجومية التي ستليها، وبرع في إعادة تسشكيل قواته بسرعة فائقة لشن الهجوم المضاد. وهكذا جاءت معركة ووترلو لتستنفذ أبعاد تكتيك نابليون وتحتاط له بتكتيك مضادّ... الدفاع المدروس حيداً ينتقر على اللحظة الحاسمة وبسرعة فائقة إلى هجوم مضادّ. وهكذا لم ينتصر على تكتيك نابليون غير تكتيك نابليون.

قــبل الانتقال إلى التكتيك في القرن التاسع عشر يحسن أن نستعيد ملحوظة إنجلــز حول العاملين التقنيين اللذين أديا إلى مساعدة نابليون على تطوير أساليب الحرب: الأول، العربات السريعة الخفيفة حاملة مدافع الميدان التي صمّمها غريبوفال والـــي أمــنت حــركة أكثر سرعة حسب متطلــبات الحرب في هذه المرحلة، أما الثاني، فهو إمالة مقبض كعب البندقية الذي

كــان حتى ذلك الوقت باستقامة امتداد "سبطانة البندقية" وقد دخل هذا التحسين إلى فرنسا عام 1777 نقلاً عن بنادق الصيد، فغدا من الممكن إحكام التسديد على فــرد محدد من دون خطأ بالضرورة. ولهذا أصبح من الممكن، بفضل هذا التحسين على البندقية، استخدام تكتيك المناوشات الذي كان تطبيقه بالسلاح القديم عديم الجدوى.

## التكتيك في القرن التاسع عشر:

كان القرن التاسع عشر عصر الثورة الصناعية والعلمية، وأدى هذا بدوره إلى تطويسر الأسلحة، خاصة، البندقية السريعة التي تعبأ من المخزن إلى جانب تطوير المدافع. وإذا ما أضيف إلى ذلك إمكان الإنتاج الغزير، ورخصه بالتالي، إلى جانب شيوع نظام التجنيد الإجباري في كل دول أوروبا؛ فسوف نتصور جيوشاً كبيرة، تشكل المشاة المسلحة بالبنادق السريعة الحديثة قوتها الرئيسة، مدعومة بنسبة ثلاثة مدافع ميدان لكل ألف رجل. وهي مدافع ذات نوعية جيدة جداً - طبعاً بالنسبة إلى ذاك العصر.

إذا ترجمنا ما تقدم إلى اللغة العسكرية فيعني إن كثافة النيران أصبحت للغاية حداً. وقد عبرت الحرب البروسية - الفرنسية 1870 عن نتائج هذا التطور، ولنترك فسريدريك إنجلز يصف الوضع: "كانت الحرب البروسية - الفرنسية أول حرب يتقابل فيها حيشان، وكلاهما مسلح بالبنادق التي تعبأ رأساً من المخزن. أما ما هو أكثر من ذلك فكون كل منهما قد استخدم التشكيلة التكتيكية نفسها..." ولم يكسن هنالك من فرق بينهما سوى إضافة البروسيين لتشكيلة الرتل تشكيلة الرتل المسلاح المسرافق، في محاولة، لإيجاد شكل للقتال ينطبق، بصورة أفضل، على نوع السلاح الجديد.

ويواصل انجلز: "ولكن عندما حاول الحرس البروسي في موقعة سان بسريفات ST. PRIVAT، في 18 آب/أغسطس، تطبيق استخدام تشكيلة الرتل المسرافق تطبيقاً جدياً، وإذا بالفرق الخمس المشتبكة، بصورة رئيسة، تفقد أكثر من ثلث قوتها (176 ضابطاً و5114 حندياً) في أقل من ساعتين. فهجرت، منذ

ذلك التاريخ، تشكيلة الرتل المرافق، بصورة لا تقلّ عن هجران تشكيلة رتل الكتيبة وتشكيلات الخطوط. لقد هجرت كل فكرة تقول بكشف الجيش، بأي شكل من الأشكال، كشفاً يضعه ضمن مدى نيران العدو. ولهذا فقد واصل الألمان بقية القتال معتمدين على تلك المجموعات التي تشنّ حرب المناوشة. وحلّت الأرتال تلقائباً لتتحول إلى مثل تلك المجموعات تحت تأثير وابل مخيف من النيران. ولكن هذه العملية لاقت، أيضاً، معارضة من ضباط المراتب العليا بحجة ألها منافية للانضباط الجيد، بيد ألها تشكل، في الوقت نفسه، الشكل الوحيد المناسب للتحرك تحت نيران مضاعفة من بنادق العدو. وهكذا أثبت الجندي، مرة أخرى، أنه أذكى من قائده. فقد كان الفضل يرجع للجنود، حين اكتشفوا، بالغريزة، الأسلوب الوحيد للقتال الذي أثبت جدارته حتى الآن تحت نيران البنادق السريعة التي تعبأ من المخزن. وقد نفذ الجنود هذا الشكل رغما عن ضباطهم، تنفيذاً ناجحاً".

إذا ترجمنا هذا التطور إلى عبارات أخرى فسنجد أن سرعة الإطلاق من البندقية أعطى للحركة التكتيكية في المعركة كثافة نيران لم يسبق لها مثيل، وهذا يعين أن تكتيك هجمات المشاة الجماعية أو الفرسان على مواقع الدفاع أصبح تكتيكاً ملغى لأن ازدياد مدى النيران مع الكثافة الشديدة، يفترضان عبور المهاجمين مسافة طويلة تحيت مدى النيران قبل أن يصلوا إلى تحصينات الدفاع. ومن ثم سيحيصدون جماعياً قبل أن يتحقق لهم الالتحام القريب. وهذا يعني بلغة التكتيك العسكري تفوق الدفاع تكتيكياً على الهجوم.

تأكيداً على صحة هذه الموضوعة، لنراجع دروس الحرب الأهلية الأميركية حيث تميّزت:

- 1. حيشان ضخمان كل منهما قد تجمد خلف تحصيناته بانتظار هجوم الآخر وقد ركدت الجبهة وامتدت على خطّ طويل جداً.
  - 2. استخدام شبكة المتاريس والخنادق من قبل القوات المدافعة.
- زيادة كثافة نيران الدفاع مع شيوع استخدام البندقية السريعة التي تعبأ من المخزن.

عندما كان الجنرال روبرت إدوارد لي LEE (قائد أميركي شمالي 1807 - 1870) في موقف دفاعي ركّز قواته بين متاريس من الخشب كغطاء للمدافعين. مما شكّل عقبات في طريق المشاة المهاجمة. وكان هذا هو حال القوات الأخرى وهي في حالة الدفاع. لقد أدى هذا الوضع إلى رجحان كفة الميزان في مصلحة المحوم، لأن المدافع المتمترس مغطى جيداً، وقادر على ضرب المهاجمين من مسافة بعيدة، وهنا كان على المهاجم قطع مسافة طويلة تحت نيران كثيفة، وبعد ذلك كان عليه أن يكافح لتحاوز المتاريس أو الخنادق. ولهذا كان أي هجوم بتشكيلة كبيرة يعني خطر الإبادة، ولم يكن من الممكن أي تحرك ضمن هذا الظرف إلا لوحدات صغيرة - وحدات مناوشة - فقط، أي تحرك ضمن هذا الظرف إلا لوحدات صغيرة - وحدات مناوشة - فقط، لأنه كان باستطاعتها أن تدور خلف المتاريس، أو تتقدم تحت غطاء نيران كشيفة. أما تقدم تشكيلة كبيرة من المشاة فقد أصبح مغامرة غير محمودة العواقب.

لم تستطع قوات الشمال أن تحرك وضع الحرب إلا حين أخذت تناور حول معسسكر ميل سبرينغ MILL SPRING المحصن، في محاولة، لإيهام القائد الجنوبي زولسسوفر ZOLLICOFFER للمدافعين الجنوبيين أن أمامه قوة صغيرة. ولما ابتلع زوليسسوفر الطعم خرج بقواته من وراء التحصينات، وإذا به يواجه بقوة متمترسة مستفوقة... فتمزق جيشه وراح الشماليون يتابعون المعركة والملاحقة حتى حققوا انتسصاراً حاسماً... وهكذا بدأت نقطة الانعطاف في تدهور وضع الجنوبيين الذين لوبقسوا خلسف خنادقهم، ولم يوزعوا معسكراقهم عن بعضها كثيراً، لكان على الشمال أن يقاتل أمداً أطول بكثير.

عندما أخذ القرن التاسع عشر يقفل أبوابه وافتتح القرن العشرون بالحرب الروسية اليابانية 1904 – 1905، كان الدفاع قد قفز خطوة أخرى إلى الأمام، مع اختراع المدفع الرشاش والأسلحة الرشاشة الخفيفة.. وزادت الخنادق عمقاً، وشيدت التحصينات الإسمنتية، ومدت شبكات الأسلاك الشائكة... وقد أدت هذه التطورات إلى تحويل هجمات المشاة الجماعية، في ذلك الحين، إلى مغامرة خرقاء تماماً.

# التكتيك في الحرب العالمية الأولى

عـندما انـدلعت الحـرب العالمية الأولى لم يكن الجنرالات في كلا الطرفين المـتحاربين قد أدركوا أبعاد الطور الجديد الذي مال إلى الدفاع، ولم يفيدوا مطلقاً مـن دروس الحرب البروسية - الفرنسية، أو الحرب الأهلية الأميركية، أو الحرب الروسية - اليابانية في جبهة منشوريا، فظلّوا يعيشون ضمن أوهام الهجوم الجماعي والشجاعة والحربة، وقدروا أن زيادة أعداد المدافع - أصبحت ستة لكل ألف رجل مع تحسين نوعيتها أكثر كما كثافة نيرالها - ستتكفل بالخنادق والمتاريس والأسلاك السشائكة وأعـشاش الرشاشات. ولم يقتصر الأمر على القادة الفرنسيين في التغني عيزفون على الوتر إياه.

انطلقت الأوامر تُصدر بشنّ الهجمات الكثيفة الجماعية لاكتساح مواقع السدفاع بهجمات جبهية. وكانت النتيجة ارتفاع أرقام الضحايا ارتفاعاً مريعاً دون نتيجة تذكر. أما عمليات الالتفاف على الأجنحة فكما سبق وقلنا، دخلت مأزقاً مسدوداً هي الأخرى عندما تبين أن سرعة جلب الاحتياط تضاهي سرعة الالتفاف وكذلك سرعة انسسحاب الجناح تعادل سرعة الاختراق. مما أسفر عن عملية الستفاف فعملية التفاف مضاد، فعملية التفاف مضاد... وهكذا تجمدت الجبهة من سويسرا حتى بحر الشمال وأصبحت حرب خنادق وحرب استنزاف طويلة حتى بدت وكأن لا نهاية لها، كما دلت معركتا فيردوم VERDUM وسوم SOMME.

راح الجنرالات يجربون تكتيكات جديدة لمعالجة الدفاع المتمترس وراء المدافع الرشاشة والأسلاك الشائكة والتحصينات والخنادق. وكان أمامهم:

أولاً: استخدام المدفعية على نطاق أوسع وأكثف لدك أعشاش الرشاشات فرادت نسبتها إلى عشرين مدفع لكل ألف رجل بالإضافة إلى الدعم قصير المدى السذي أمنه الهاون. ويقول ليدل هارت إن كثافة النيران ارتفعت في عام 1917 إلى وحسود مدفع لكل خمسة أو ستة أمتار في الجبهة التي يشن عليها الهجوم، أي أكثر

من مائتي مدفع لكل كيلومتر واحد. وبالمناسبة، يقول ليدل هارت أيضاً إن مدفع الهاوتزر أثبت فعالية في سحق التحصينات أكثر من مدافع الميدان الأبعد مدى.

كان استخدام المدفعية أساس تكتيك نابليون بقصد فتح ثغرة لشن هجوم المسشاة وكان هذا التكتيك ينجح غالباً حين يكون القصف فعالاً لشلّ المدافعين مؤقتاً، أما التكتيك المضاد فكان الدفاع المرن ELASTIC DEFENCE حيث يغطى الخسط الأمامي للدفاع بقوة خفيفة بينما تنتظر غالبية قوة الدفاع في الخطوط الخلفية لكسي تسمحق الهجسوم عندما يبدأ الاختراق، أو لتشنّ الهجوم المضاد حين يتصدع الهجوم.

تسبين لجنسرالات الحسرب العالمسية الأولى أن اتساع الجبهة وتفرق أعشاش الرشاشات وحسن توزيعها وتمويهها يقتضي كثافة نيران أكثر مما تصور أي جنرال، ولمدى وهسنا حساءت صعوبة نقل الذخائر اللازمة لمثل هذا المستوى من النيران، ولمدى طسويل، ولهسذا كان من الصعب المحافظة على مستوى كثافة النيران بعد الدفعات الأولى من الإطلاق. ثم تبين أيضاً:

- 1. إن تركيز النيران ومدتما الطويلة أفقد المهاجمين ميزة عنصر المفاجأة وأعطى العدو فرصة حشد احتياطه لشن هجوم مضاد بعد سكوت المدفعية وشن هجوم الاحتراق.
- مهما كان القصف شديداً لا بد من أن تفلت بضعة رشاشات لتكلف الهجوم الجماعي للمشاة غالياً، إن لم تحبطه تماماً.

ثانياً: حاول الجنرالات استخدام القنابل الدخانية، ولكن هذه لم تؤدِّ إلى تغيير يعدل ميزان تخلف الهجوم، بالتكتيك التقليدي المتبع.

ثالثاً: كان الحلل التكتيكي الحقيقي لهذه المعضلة يكمن في استخدام الدبابات:

1. إنما مصفحة محمية من نيران الرشاشات ومن الشظايا.

2. أتاحـت سلاسـل الدبابات (جنازيرها) إمكانية تجاوز الأسلاك الشائكة والمتاريس والخنادق فضلاً عن الحفر والدمار بسبب القصف المدفعي.

رابعاً: إن تركيز الدبابات باستطاعته أن يقوم بعملية الاختراق كما باستطاعته التحرك بسرعة وفي العمق.

هــذا يعــني أن سلاح الدبابات كان يمكن أن يحلّ مشكلة اختراق تحصينات الــدفاع ويعيد للهجوم قوته، كما كان من الممكن لسلاح الدبابات أن يعيد الحياة للحرب المتحركة ولعمليات الالتفاف على الأجنحة. لأن نجاح الهجوم يشترط أن تكــون حــركة الالــتفاف أو الاختراق والتغلغل أسرع من الانسحاب أو جلب الاحتياط. وكان هذا ما يمكن للدبابات أن تؤمنه. وكان هذا هو السبب، في تحول الحرب العالمية الأولى إلى حرب قوة نيران وليس حركة. وذلك حين لم يستفد من الدبابات كما يجب.

عسندما ظهسرت السدبابات، لأول مسرة، في معركة السوم SOMME في تموز/يوليو 1916 أجهضت تجربتها للأسباب التالية:

- لم تُركز، ولم يكتشف بعد التكتيك المناسب لها.
- لم يُحــسن تنظــيم التــزويد والــتموين والصيانة لتلبية حاجات حركة الدبابات.

ولكن تكتيك استخدام الدبابات كسب أهمية خاصة، لأول مرة، في معركة كامبري CAMBRAI، تـشرين الثاني/نوفمبر 1917، وإن كانت معركة أراس كامبري ARRAS - نيسسان/أبريل 1917، قد مهدت له إذ بدل القصف الشديد الطويل قسبل الهجوم، لم يعد للمدفعية أن تبدأ قبل ساعة الصفر، وقد استخدمت الدبابة كدرع مصفحة، مسلحة بمدفع رشاش، تتقدم المشاة مما سمح للهجوم بأن يكون ناجحاً. ولكن هذا التكتيك جعل الدبابة بطيئة مرتبطة بسرعة أقدام المشاة، و لم يكشف عن كل الإمكانات الكامنة في هذا السلاح الجديد.

وانتهت الحرب العالمة الأولى، وبقي الدفاع في أوجه، وإن كان مقامه قد تدنى نوعاً ما عن بداية الحرب 1914. أما الهجوم فكان مصيره الفشل إلاّ بعد أن يكون في الـــدفاع، ويـــتحول إلى هجـــوم مضادّ بعد تصدع هجوم العدو. لقد جاءت

هجمات ربسيع 1918 الألمانية نتيجة لفشل هجمات الحلفاء 1917، ولكن فشل هجمات الحلفاء 1917، ولكن فشل هجموم الربيع أمام الدفاع مهد الأرض لهجوم الحلفاء المضاد في أوائل خريف 1918، والسذي انتهى باستسلام ألمانيا. وبالمناسبة جاء هجوم الحلفاء 1915، 1916 نتيجة لفشل هجمات ألمانيا 1914 أيضاً. ولكنه عاد وتجمد أمام الدفاع الألماني.

إن عدم مقدرة حنرالات الحرب العالمية الأولى على التأقلم مع الأسلحة الجديدة - المدفع الرشاش والمدفعية الثقيلة والدبابات - جعلهم يعجزون عن استنباط تكتيك جديد يستطيع التصدي لخنادق الدفاع وأسلاكه الشائكة ورشاشاته، وكان الثمن دفع الملايين من الجنود في تكتيك غبي ليذبحوا بالجملة. بيل إنهم فشلوا في أكثر الأحيان في إدراك مغزى تكتيك نابليون في استخدام المدفعية.

لم يدركوا أن نابليون قد جمع جمعاً صحيحاً بين نيران المدفعية وبين الحسركة، ولم يكن الجانسب الستدميري للمدفعية غير مرحلة من مراحل الحركة التكتيكية، وكان نابليون يقول "لا تستطيع الأرتال خرق الخطوط من دون دعم نيران مدفعية متفوقة تمهد لشن الهجوم" أما الجنرال بيتان PETAIN فقد اعتبر المدفعية هي التي تقوم بمهمة سحق العدو، وما على المشاة إلا دخول أرض محروثة لاحستلالها، والقيام ببعض التنظيفات. ثم لم يدركوا أن تكتيك نابليون ذاك لم يكن يراجه مدافع رشاشة وبنادق سريعة لا تتوقف نيراها، فيما رماها غير منظورين خلف الخنادق والمتاريس والأسلاك الشائكة.

لنتذكر، مرة أخرى، أن أساس التكتيك:

أ. الأسلحة والطريقة المناسبة لاستخدامها وأشكال تعاونها.

ب. تسبني تسشكيلات تتناسب مع التطور التقني للسلاح وكثافة النيران والمساحة.

ج. الإفادة من الأرض.

د. النيران والحركة.

إن التكتيك الحديث في عصر الآلية والتقنية المتطورة لا بدّ من أن يقوم أساساً على التأقلم الصحيح بين النيران والحركة والتشكيلات والأرض والمساحة. ولكن

القادة الأغبياء ينسون كل هذه العناصر فيعقدون كل آمالهم على القوة التدميرية للسلاح الحديث فقط. وهذا ما فعله قادة الحرب العالمية الأولى وكانت النتيجة، ما إن تستقر الجبهة على حرب خنادق حتى يتغيب تكتيك الحركة والمناورة من ساحة المعركة وذلك بالرغم من أن كل مقومات الحرب المتحركة كانت متوفرة (غطاء نيران كشيف، نقل آلي سريع، تطور المصفحات والدبابات وبدء استخدام الطائرات) – ولكن لم يفد من ذلك.

إن الخطا يكمن في عدم إدراك أهمية تأقلم التكتيك مع كل سلاح جديد وحالة جديدة... وإذا حددنا أكثر نقول إن الخطأ يكمن في النظرة أحادية الجانب. وذلك في تفسير التكتيك بأحد عناصره فقط أي التفوق في السلاح والتقنية والقوة التدميرية. إن تحقيق النصر بقوة السلاح وحده غير وارد، في الحرب الحديثة، حتى عندما يكون التفوق كبيراً، أو على الأدق، لم يحدث هذا إلاّ على ندور.

بــل إن باليت يقول: "إن إنــزال التدمير عن طريق التفوق في السلاح ليس تكتــيكاً إنــه حلّ آلي في غياب التكتيك. لأن قوة السلاح حين تجمع مع الحركة تحقــق الــزحم الضروري للتنفيذ التكتيكي"، ويضرب مثلاً على الحلّ الآلي حين يقتــصر على كثافة قصف المدفعية لتدمير المدافعين - بقوة القذيفة - وكذلك هو الحــال بالنــسبة إلى هجمــات المشاة الجماعية من دون غطاء النيران لأن جوهر التكتيك هو الجمع بين النيران والحركة.

وكذلك بالنسبة إلى الدفاع حين يتمسك بموقع ثابت معتمداً على قوة النيران لتحطيم المهاجمين. لأن هذا حل آلي أيضاً وليس تكتيكاً، إذ من دون خطة حركة على شكل مناورة للتركيز في اللحظة والمكان المناسبين، أو على شكل شنّ هجوم مصضاد بالجمع بين قوة النيران والحركة، لن يكون تكتيكاً بالمعنى العميق للكلمة، ولن يؤدي إلى تحقيق نصر حاسم.

ولهـــذا لا يمكن الحديث عن فنّ علم الحرب من دون إدراك هذه الحقيقة الأساســـية ألا وهي الجمع الصحيح بين قوة السلاح والحركة في الدفاع أو في الهجوم.

وقبل الانتهاء من دروس التكتيك في الحرب العالمية الأولى يحسن أن نراجع بعض الملحوظات التي طرحها ليدل هارت في بحلّده الضخم حول الحرب العالمية الأولى. يتساءل ليدل هارت "لو أن ألمانيا بدلاً من إلقاء كل إمكاناتها العسكرية في سلسلة هجمات ضخمة في عام 1918، وقفت في الدفاع في الغرب بينما راحت تعزز مكاسبها في الشرق، هل كان بإمكانها أن تتجنب الهزيمة؟"، ولنأخذ تجربة 1915 عندما كان الحلفاء يمتلكون 145 فرقة في الغرب في مقابل مائة فرقة ألمانية، وكانت شبكة خنادق الألمان ضعيفة، وسطحية بالمقارنة مع شبكة خنادقهم وتحصيناتهم عام 1918، ومن هنا يصعب رؤية الحلفاء يخترقونها حتى لو انتظروا تدفق القسوة البشرية الأميركية، ليعودوا إلى تفوقهم العددي الذي تمتعوا به عام 1915. ويقول إنه كان يمقدور الألمان، في أسوأ الحالات، الدخول بصلح أفضل كثيراً من نتائج صلح فرساي.

حقاً إن هذه الملحوظة صحيحة من الناحية العسكرية الصرف، ولكن الأخطاء الاستراتيجية لم تكن فقط بسبب أخطاء عسكرية صرف لأنحا كانت محكومة أيضاً بتدهور الوضع الداخلي في ألمانيا - شبه مجاعة، وتفجر ثورة داخلية - ولكن الذي يهمنا هنا هو الجانب التكتيكي الذي أدى إلى عدم إدراك القوانين السي كانست تحكمه في الحرب العالمية الأولى إلى أخطاء استراتيجية بسبب عدم الستقويم الصحيح لإمكانات الدفاع والهجوم، والأهنم عدم إيجاد الحلول التكتيكية المناسبة التي يجب أن يتبناها الهجوم للخروج من مأزقه.

المــشكلة هــنا في سمة الجمود في العقل عند موضوعات كانت صحيحة، ثم تأخره عن التقاط المعادلة الجديدة.

وأخرراً يجب ألا ننسى ونحن ندرس الجوانب التكتيكية في الحرب العالمية الأولى، سائر العوامل الأخرى التي أفرزت نتيجة الحرب، وإن كانت النقاط التي تناول ناها من الناحية التكتيكية قد لعبت دوراً رئيساً من الناحية العسكرية السحرف. ولكنها لوحدها ليست السبب الوحيد. لألها مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالمسائل الأخرى الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والحالة المدنية والتحالفات.

# دروس التكتيك في الحرب العالمية الأولى

كانت تجربة الحرب العالمية الأولى ملأى بالدروس الاستراتيجية والتكتيكية، وحبلى بولادة تكتيك جديد. ولكنها كأية تجربة أخرى لا تعني دراستها، بالضرورة، أن يخرج كل من يدرسها بالدروس الصحيحة، فهنالك من سيتلقى دروسها، بعمق، ليخرج بالاستنتاجات المناسبة، أو قل، بموضوعات مناسبة للعمل مستقبلاً.

نظرة متسرعة إلى تلك التجربة، ستقود إلى القول إن الدفاع متفوق جداً على الهجوم، وإن أفضل استراتيجية وتكتيك هو خط الدفاع المتراص المدعوم بالخنادق والأسلك الشائكة والمدافع والرشاشات. ومن الغريب أن الذين أصدروا الأوامر لهجمات المسشاة الجماعية الكارثية في الحرب العالمية الأولى، كانوا أصحاب "النظرية" الجديدة.

في الواقع، لم تسسطع قسيادات الجيوش الأوروبية أن تستخلص الدروس الجديدة، وبقيت تعيش ضمن المعطيات التي عاشتها في الحرب العالمية الأولى، وكأن الحرب ستكرر نفسها مرة أخرى. ولكن التفكير المبدع في استخلاص دروس تلك الحسرب، وفي الستأقلم مع التطورات الجديدة التي شاهدتما السنتان الأخيرتان في الحرب، أعني الدبابات والطائرات، حاء عن طريق ضباط صغار مغمورين، ويمكن ذكر اتجاهين أساسيين بهذا الخصوص:

الأول: كــتب ضــابط فرنــسي برتبة رئيس واسمه لافارغ LAFARGUE (كراسة تحدث فيها عن تجربة الهجوم في الحرب العالمية الأولى. وقد لاحظ أن "بعد توقف المدفعية عن قصف مواقع الدفاع قصفاً كثيفاً، وبدء هجوم المشاة الجماعي، كان لا بدّ من أن يفلت رشاشان أو ثلاثة، وكان هذا كافياً لضرب هجوم المشاة. وعندما تقضي الضرورة إعادة القصف المدفعي لإسكات الرشاشات المتبقية يكون الألمان قد أعادوا تعزيز مواقعهم لتعاد الكرة من جديد".

وحدد لافدارغ الحلّ عن طريق أن يحل مكان هجوم المشاة الجماعي هجوم وحدتين صغيرتين من المشاة الخفيفة تحملان رشاشات صغيرة وقنابل يدوية وتشقان طريقهما عدر الفحوات التي فتحها القصف المركز، ثم تتمركزان في قلب جبهة

الـــدفاع، وتـــشتبكان بالرشاشات والقنابل اليدوية مع جيوب المقاومة المتبقية من خلفها، وهذا يؤمن غطاء كافياً للهجوم العام لاكتساح الدفاع.

حـــصر لافـــارغ فكرته على مستوى هجوم سرية أو كتيبة، ولكن تبين أن نظريته يمكن أن تطبق على مستوى لواء وفرقة.

لم يعبأ أحد بكراسة لافارغ ولكن الألمان ترجموها واهتموا بما اهتماماً خاصاً، بل إن الجنرال إيريك لوديندورف LUDENURV كتب حولها كتاباً، ودخلت في برنامج تدريب الجيش الألماني.

الـــثاني: قامـــت بحمــوعة من الضباط وعلى رأسهم ليدل هارت، وهارت هوبارت HUBERT ومعهم الجنرال فوللر بطرح نظريات حول استخدام الدبابات بوصــفه سلاحاً تكتيكياً يستطيع أن يعمل مستقبلاً في إحداث الاختراق بدعم من الطيران. وطرح ليدل هارت نظرية الحركة الآلية الحيوية في المعركة، أو على الأصح مــسألة إمكـان إعــادة الحياة للحرب المتحركة بمحتوى جديد أساسه الدبابات والآلــيات المـصفحة والطيران وكتب شارل ديغول وآليو في فرنسا بالاتجاه نفسه أيضاً.

لم يكن مصير هذه النظريات يختلف عن مصير نظرية لافارغ: إهمالاً كاملاً من قيادتي الجيش البريطاني والجيش الفرنسي، واهتماماً بالغاً من قبل قيادة الجيش الألماني التي حاولت أن تجمع بين موضوعة لافارغ وموضوعات ليدل هارت وفوللر وهسوبارت، وأحذت تجسري التجارب على إيجاد الصيغة للتكتيك الأنسب في استخدام الآلية المتطورة بالاعتماد على تطوير الموضوعات المذكورة أعلاه.

كان الفكر العسكري السوفياتي قد راح يسير بتوازٍ مع أرقى ما توصل إليه التفكير الجديد في الغرب - على مستوى الضباط الصغار - ومع التجارب الألمانية للستأقلم مع الأسلحة الجديدة. بل كانت النظريات التكتيكية والاستراتيجية السوفياتية قد تناولت المسائل التكتيكية الدفاعية المضادة لاحتمالات التكتيك الجديد أيضاً.

ثمــة نظرية أخرى نشأت في هذه الفترة تتعلق بالطيران تبناها دوهي TRENCHARD الأميركــي وترينــشارد MITCHELL الإيطــالي وميتــشيل

السبريطاني، وقد راح هؤلاء الجنرالات يؤكدون على الأهمية الاستراتيجية لقاذفة القنابل، وطالبوا بتبني استراتيجية جوية مستقلة. ولقد نبعت هذه النظرية من القوة الستدميرية الهائلة لحاملة القابل مما جعل حروب المستقبل تحت رحمة الجو، أما القوات الأرضية فقوى مساعدة.

إذا أمعنا النظر في هذه النظرية فسنجدها تقف على رجل واحدة وهي الاعتماد على وق النيران فقط، في حين اهتم الاتحاد السوفياتي بكل التطورات الحديثة على حد سواء: الدبابات والطيران، وخرج بالموضوعة التي تقول بجعل قسوات الجسو والأرض فريقاً تكتيكياً متعاوناً لتحقيق هدف استراتيجي مشترك. وكان التفكير الألماني يتجه إلى الأخذ بهذا الاتجاه.

إن جوهــر النظرية المقابلة لنظرية "استراتيجية جوية مستقلة" تتلحص بالجمع بين سلاح الطيران والدبابات والمشاة المحمولة. وجاءت الممارسة لتؤكد صحة هذه النظــرية وتكــشف عــن نــواقص - وعدم كفاية - نظرية دوهيت وميتشيل وترينشارد.

هــذا وسنجد لاحقاً من كرر الخطأ نفسه في إعطاء الطيران دوراً مستقلاً في كــسب المعــركة لدى عدد من جنرالات ما بعد انتهاء الحرب الباردة. وكان من بينهم الجنرال حالوتس الذي قاد العدوان الإسرائيلي على لبنان في حرب تموز/يوليو .2006. وقــد بني خطته الفاشلة على كسب الحرب أو حسمها من خلال القصف الجوي والصاروحي.

- 4 -

# التكتيك في الحرب العالمية الثانية:

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، وأخذ الحلفاء يتهاوون أمام جيوش هتلر السيتي حققت انتصارات كاسحة في أوروبا، في عامي 1939 – 1940، وسقطت فرنسسا وعدد من بلدان أوروبا الغربية والشرقية، وحوصرت بريطانيا في جزرها، راح الصحفيون ومعهم نشرات الأحبار يرجعون السبب في انتصارات هتلر

العسكرية إلى الستفوق الكاسم بالسدبابات، وأصبحت كلمة بليتزكريغ العسكرية إلى السنم الألماني الذي أعطي لتكتيك الدبابات - تحمل معنى التفوق الكاسح بالدبابات، بينما، في الحقيقة، كان الحلفاء في فرنسا هم الذين يحستلكون الستفوق بالدبابات والمشاة في أيار/مايو 1940. فقد غزا الألمان أوروبا الغسربية بسست وثلاثين فرقة فيها 35 كتيبة دبابات (2574 دبابة) نسزلت ضد 3500 دبابسة للحلفاء، وكان للألمان تفوق على سلاح الجو الفرنسي. ولكن ليس إذا جمسع مع سلاح الجو البريطاني. ولكن النازيين هزموا الحلفاء بتكتيك متفوق في الستخدام سلاح الدبابات وليس بالعدد أو النوعية، بالرغم من كون نوعية الدبابة الألمانية أفضل نسبياً.

إن تكتيك بليتزكريغ، في حقيقته، عبارة عن اختراق جبهة العدو من نقاط قليلة محددة – نقطتان أو ثلاث نقاط، يسبقه قصف مدفعي وجوي، ثم يشق رتل الدبابات المركزة طريقه ليمضي متغلغلاً في العمق وليبدأ عمليات مناورة استراتيجية خلف خطوط الدفاع تسيطر بها على الطرقات الرئيسة ومراكز محطات القطارات، وهذا يحصر الجسم الرئيسي للدفاع بين فكي كماشة. إن هذا التكتيك هو جمع بين موضوعة لافارة وبين موضوعة ليدل هارت حول "الأهداف غير المحددة" وديناميكية الحركة. وقد أصبح تكتيك بليتزكريغ يعرف في بعض الأوساط "بالحرب الصاعقة".

تـبدأ العملية بتحميع معلومات لتحديد الفراغات، أو نقاط الضعف في جبهة العـدو سواء أكان الاختراق على مستوى فرقة أم سرية. ثم يبدأ هجوم عام وهمي لتثبيت المدافعين بينما تُركز الدبابات على الثغرات المحددة لتشق طريقها بعد تمهيد سـريع من القصف المدفعي والطيران. ومن الواضح أن نجاح الاختراق مسألة شبه حتمية ما دام موجهاً ضد نقطتين أو ثلاث وبتركيز شديد جداً.

 الثغـرات التي فتحت وحميت. وهنا يصبح بالإمكان فرض نصر في معركة حاسمة. لقـد اكتشف النازيون، في أثناء، دراستهم لهذا التكتيك من كل جوانبه أن كل ما يحـتاجون إليه هو فتح تغرتين أو ثلاث ثغرات تكون كل منها بعرض كيلومتر أو كيلومترين. ودرسوا عدد القوات المطلوبة في كل مرحلة كذلك.

تتركز نقاط الضعف في هذا التكتيك:

- 1. يكشف جناحي رتل الدبابات المتقدم، ولكن النازيين اعتمدوا، بحق، على المفاجأة والسرعة لتحطيم معنويات العدو وشله وضعضعة موقفه بشكل لا يتيح له أن يفكر بشنّ الهجوم المضادّ على تلك الأجنحة إلاّ بعد أن تكون المسئاة المحمولة قد لحقت برتل الدبابات وأصبح الجيش كله (الفرقة أو الفيلق) متواجداً.
- 2. عدم توفر نيران دعم كافية بعد الاختراق، أي في أثناء التغلغل، لأنه لم يكن بالإمكان الإفادة من المدفعية القديمة بسبب بطء حركتها بالمقارنة مع حركة الدبابات. وجاء الجواب باستخدام الطائرات للتعاون التكتيكي، خصوصاً قاذفة القنابل، أي ألها أخذت تقوم بدور المدفعية الطائرة والتي تستطيع مجاراة سرعة تقدم الدبابات وتمهد الطريق لها. في الواقع كان ليدل هارت قد تحدث عن هذه النظرية في العشرينيات من القرن العشرين.
- 3. صمعوبة احتلال الأرض المخترقة وهذه مهمة المشاة، ولهذا كان الحلّ عن طريق نقل المشاة بعربات آلية، من خلال شاحنات صغيرة مصفحة.

كانت نظرية الحلفاء تعيش في مفهوم خط الدفاع الطويل الثابت (خط ماجينو في فرنسا مثلاً) وقد وزع الجيش الفرنسي أكثر من نصف دباباته على وحدات صغيرة موزعة على طول الجبهة، لدعم معركة المواقع الجامدة، أما النصف الآخر فقد دخل المعارك على دفعات متفرقة فيما جمع الألمان عشر فرق بانسزر PANZER ووزع هذا التركيز الهائل على ثلاث نقاط فقط هي دينانت DINANT ومونتيم MONTHEME وسيدان SEDAN.

إن نجـاح تكتيك بليتزكريغ كشف ضعف مفهوم خط الدفاع الجامد، وهو مفهـوم ركّز على قوة النيران الدفاعية لإنــزال الهزيمة بالهجوم معتمداً على الوهم بــأن هجـوم الألمان سيكون على نمط هجمات الحرب العالمية الأولى، أي هجوم بالمشاة على طول خط الدفاع، وما على المدافعين إلا الصمود أمام تكرار محاولات الهجوم حتى يتصدع ثم يبدأ الهجوم المضاد. ولكن قوات البانــزر طبقت تكتيكها المتحرك بتركيز ثلاث أو أربع فرق على جبهة كيلومترين أو ثلاثة كيلومترات. مما جعل الاختراق محتوماً. و لم يكن لدى الغرب تكتيك مضاد لهذا التكتيك.

كان خط الدفاع - ولما تحل ماجينو - عندما يخترق يصبح من المضروري سحبه كله من أجل المحافظة على تماسك الخط الدفاعي. وقد رأينا أن همذه العملية كانت ممكنة في الحرب الأهلية الأميركية، وجبهة منشوريا والحرب العالمية الأولى، عندما كانت سرعة الهجوم متوقفة على سرعة اقدام المشاة. ومن ثم كان الانسحاب، أو جلب الاحتياط يمتلك فرصة كافية، وبالسرعة نفسها. أما في حركة بليتزكريغ السريعة فلم يكن من السهل الانسحاب لإعادة لحم خط الدفاع...

ولكن لو فرضنا أن هذا التراجع لم تدبّ فيه الفوضى وكان باستطاعته إعادة لحـــم خطّ الدفاع الثاني إلاّ أنه لا يستطيع أن يتكرر إلى ما لا نحاية، ولا بدّ له من لحظة الالتقاء مع العدو في عملية هجوم مضادّ.

بداية يجب الإيضاح أن الجواب السوفياتي عن كيفية مواجهة تكتيك بليتزكريغ لم يكن حاهزاً ومعداً له منذ البدء ولكن كان ضمن إطار تصور عام ثم تسبلور تدريجاً بعد الاحتراق الألماني وسلسلة من القصور والنواقص التي أشير إليها بعد تقرير نيكيتا حروتشوف (توفي 1971) الشهير في المؤتمر العشرين للحزب السشيوعي السوفياتي (1957) حيث انتقد ستالين بعدم الاستعداد الكافي للحرب. وهو ما كلف الكثير من الخسائر والتضحيات. ولكن المهم كيف صاغ السوفيات الجواب؟

لم يكن تكتيك بليتزكريغ مفاجأة كاملة للسوفيات، فقد كان الجنرالات السوفيات يدركون أن اختراق خطوط الدفاع الأمامية من نقطتين أو ثلاث نقاط

مسسألة شبه حتمية مع التركيز الشديد للدبابات والتمهيد بالقصف المدفعي والطيران. للذلك فإن الحل لن يكون على طريقة خط ماجينو، وإنما على شكل شبكة واسعة وعميقة من النقاط الدفاعية المركزة في العمق.

اختسرقت فيالق البانر التابعة للجنرالات غوردريان GURDERIAN وهوث HOTH وريسنهارت REINHARDT الجسبهة السوفياتية وراحت تتغلغل بمناورات اسستراتيجية ماهرة في الأرض السوفياتية، وأخذت رؤوس السهام المدرعة الألمانية تلتف وتحاصر الجيوش السوفياتية لتضعها في مصائد أو جيوب سماها الألمان KESSELS. ولكسن القوات السوفياتية لم تتراجع و لم تستسلم واستخدمت مواقعها المحاصرة لتصبح حصوناً دفاعية، واستمرت في المقاومة حتى حين كانت معزولة تماماً.

وهنا أسقط بيد الجنرالات الألمان. ولم يفهموا كيف يمكن لجيش بين فكي كماشة ومعزول أن يستمر بالمقاومة ولا يستسلم. فقد كان هذا غير ما تعلموه في الأكاديميات العسكرية وغير ما عهدوه في الجبهة الغربية. وراحوا يستفسرون من برلين لإيجاد الحلّ لهذا النوع من المقاومة، والأكثر لهذا النوع من شبكة الدفاع العميق المركز.

ولكن السسوفيات لم يستهدفوا فقط إقامة نقاط دفاعية مركزة في العمق، وتحسويل الجسيوش المحاصرة إلى قوة مقاومة لا تستلم، أي لم يستهدفوا الدفاع والتركيز على قوة النيران فقط، وإنما أرادوا استخدام كل ذلك لممارسة الحركة والمناورة الاستراتيجية والتكتيكية من هذه النقاط أي الدفاع الإيجابي.

فمــثلاً إن النقاط الدفاعية، أو الجيوش التي أصبحت في طوق الأسهم المدرعة تعمد إلى استمرار المقاومة الدفاعية العنيدة جنباً إلى جنب مع شنّ الهجمات المضادة لحيس بقصد إعاقة حركة عدد كبير من الدبابات المهاجمة فحسب، وإنما أيضاً لمنع بحسيء المشاة المحمولة والمدفعية لتعزيز اختراق الدبابات، ومن ثم منعها من اللحاق برأس السهم المدرع الرئيس. وعندها يفصل حسم الهجوم عن رأسه الحديدي – الدبابات – وبعد ذلك يخضع القسمان المنفصلان إلى سلسلة من الهجمات المضادة المناسقة بين مختلف نقاط المقاومة وكذلك قوات "الأنصار" (الغوار أو العصابات) والمقاومة الشعبية الشاملة.

هــذه هــي، نظرية الدفاع الحيوي النشط (الديناميكي) الذي أساسه المناورة والحــركة ولــيس قــوة النيران فقط كما كان حال نظرية الخط الدفاعي الثابت والحـركة ولــيس عادوا واستفادوا من LINEAR DOCTRINE. ويقول باليت إن الحلفاء الغربيين عادوا واستفادوا من التكتــيك الــسوفياتي في معارك شمالي إفريقيا وغربي أوروبا في ما بعد. كما طبقه الألمان عندما فتحت الجبهة الغربية ضدهم.

يناقش ليدل هارت في كراسته "الثورة في الحرب" شيوع الفكرة الخاطئة التي تقول إن اتساع الأرض السوفياتية وصلاحيتها للدفاع هو السبب في فشل الهجوم الألماني، ويوكد أن هذه النظرية خاطئة تماماً لأن اتساع الأرض السوفياتية أتاح للهجوم الألماني مجالات اختراق أوسع. ليس هذا فحسب، وإنما أيضاً، أتاح له قوة مناورة هجومية بالرغم من عدم تفوقه في الدبابات والطائرات. إن اتساع المساحة والمهارة التكتيكية فسحا مجالاً واسعاً للمناورات الألمانية في داخل الأرض السوفياتية. ويقول إن من الأمور التي ساعدت الهجوم الألماني تلك الهجمات المضادة الأولى التي شتها الجيش الأحمر قبل الأوان. وكانت النتيجة سقوط خيرة تشكيلات الجيش الأحمر في أولى هجماته.

ولكن السذي أنقذ الموقف هو نظام الدفاع العميق السوفياتي عندما اصطدم الألمنان في نقاط دفاعية مركزة حاسمة مثل سفاسبتول وستالينغراد ولينينغراد وموسكو وروستوف. وجاء الشتاء لينتقل الجيش الأحمر إلى الهجوم من جديد فاصطدم بالنقاط الدفاعية الألمانية خاصة في المدن المركزية على خطوط القطارات وطرق المواصلات حيث ركز الألمان دفاعهم. فرُدّ الهجوم على خاركوف، وعاد الألمان النازيون إلى الهجوم في صيف 1942. ولكن المناورة الهجومية فقدت مزاياها عندما كانت المسألة هي تركيز الهجوم على احتلال هدف محدد – ستالينغراد، وهنا تفوق الدفاع من جديد و لم يدحر الهجوم فحسب، وإنما أيضاً حمل معه الهزيمة حتى نهاية الحرب.

تعلــم الــسوفيات، بــصورة أفضل متى يجب شنّ الهجوم المضادّ بعد فشل هجــومهم على خاركوف في شتاء 1942، ولهذا انتظروا في صيف 1943 هجوم الألمــان الذي شنّ في تموز/يوليو على كورسك KURSK وبعد أسبوع من القتال

المريسر كسرت شوكة الهجوم وعاد الجيش الأحمر إلى الهجوم المضادّ بادئاً بضرب الأحسنحة المكسشوفة، واستهلك احتياط الدفاع الألماني، وتحول الهجوم المضادّ إلى هجوم شامل نهائي يتميز بالزخم. فظهرت سلبية توزع القوات الألمانية على المناطق الشاسعة التي احتلت في أوائل الحرب.

# من دروس الحرب العالمية الثانية

إن دروس الحرب العالمية الثانية من ناحية التكتيك لم تسقط منزلة الدفاع، وإنما أسقطت منزلة دفاع الخطّ الجامد، بل عززت قوة النقاط الدفاعية الحاسمة مسئل لينينغراد وموسكو ستالينغراد، كما عززت نظرية الدفاع العميق الديناميكي الذي يصدع الهجوم ثم ينتقل إلى الهجوم المضادّ في الوقت المناسب والمدروس حيداً. ولقد تأكدت هذه النظرية في الجبهة السوفياتية وفي جبهة شمالي إفريقيا وفي جبهة أوروبا الغربية.

لقد تعزز الدفاع تكتيكياً مع تطور الأسلحة المضادة للدبابات، خصوصاً، المدفع ذاتي الحركة على المصفحة، كما تبين أن الدبابة تصلح للدفاع حين يحفر لها ولا يظهر منها غير مدفعها، أي تستطيع أن تلعب دوراً دفاعياً، ثم الخروج من الحفرة لشنّ الهجوم المضادّ السريع.

وإذا أضفنا إلى أن الحرب الآلية أصبحت أكثر اعتماداً على الاتصال المستمر بالمؤخسرة من أجل التزوّد والصيانة واللوجستيقا بعامة...، فإن من الخطأ اتخاذ موقف تحسريدي في مصلحة الهجوم، أو في مصلحة الدفاع، وإن جاءت أكثر الستجارب السابقة الناجحة في مصلحة دفاع – هجوم، أو هجوم – دفاع – هجوم.

في الواقع، إن تكتيك بليتزكريغ ليس هجومياً صرفاً، وهذه مسألة لا يلحظها الكثيرون، إذ كان النازيون يبدأون بالهجوم ثم يتمركزون للدفاع ليصدعوا الهجوم المسخاد ثم ينتقلون إلى الهجوم من جديد، وقد طبق هذا بصورة واضحة في عملية احتلال بولندا، كما طبق في الجبهة السوفياتية.

بقيت مجموعة صغيرة من الملحوظات حول الحرب العالمية الثانية:

أولاً: سادت نظرية بريطانية رسمية في أوائل الحرب تقول بنظرية الدبابة مقابل الدبابـة مع تشكيلات من المصفحات الخفيفة، بمعنى أن الحرب الآلية تتطلب تأمين تفـوق آلي بالـدبابات، لتحويل المعركة إلى معركة "أساطيل" من الدبابات ضد "أساطيل" من الدبابات. ويقول باليت إن النتيجة كانت كارثة الصحراء الغربية في هجوم الدبابات.

أما النظرية الألمانية فكانت عكس النظرية البريطانية تماماً، إذ تقول باستخدام الدبابة ضد القوات غير المصفحة لتحقيق اختراق سريع. أما سلاح العدو المدرع فسيحب مواجهته بمضاد الدبابات، والقصف الجوي، وليس بالدبابات الألمانية.

و لم تستخلص بسريطانيا من خطئها الذي دام حتى 1942 إلاَّ على يد الجنرال أوشسينليك AUCHINLECK السذي أنقذ الجيش الثامن في شمال إفريقيا بعد أن كانست الهزيمة محققة، وأنهى أسطورة دور الدبابات المستقل وأسطورة دبابة مقابل دبابسة، وحسول تكتيك الدبابات إلى تعاون بين مختلف الأسلحة في أرض المعركة الرئيسية.

ثانسياً: سادت نظرية بريطانية رسمية أخرى حول الطيران اعتبرت أن دوره السرئيس هو ضرب المنشآت الاقتصادية ومصادر القوة لدى العدو، أي ضرب النقاط الداخلية (القصف الاستراتيجي)، أو ما سمي "بخطة الأستاذ" MASTER PALAN. وقسد ألقي في سنة 1940 خمسة آلاف طن من القنابل على ألمانيا ثم ألقي ثلاثة وعشرين ألف طن عام 1942، أما عام 1943 فقد ألقت بريطانيا وحدها مائة وخمسة وثلاثين ألف طن بالإضافة إلى عمل الطيران الأميركي الذي رفع الرقم إلى 180 ألف طن.

أما في أوائل سنة 1944 فقد أصبح المعدل العام للقصف خمسة ألف طن يومياً. وبالمناسبة يجب أن يلاحظ هنا أن هذه النظرية البريطانية – الأميركية في القصصف لا تحسب حساب الضحايا المدنيين، بل تستهدفهم، عملياً، بقدر ما تستهدف البني التحتية ومراكز الانتاج. أما قصف مدينة درسرن التي أبيدت عن بكرة أبيها مع نهاية الحرب فقد شكل قمة في معاقبة شعب واخضاعه.

أما من جهة أخرى — عسكرية صرف فلم يُثبت هذا القصف أن باستطاعته تحقيق نصر حاسم، وإن كانت له مزاياه الهامة في المدى البعيد، أي أنه يدخل ضمن حرب الاستنزاف والاعتماد على قوة النيران. كما أثبتت التجربة أنه إذا واجه خصماً ثابت المعنويات، وماهراً في الدفاع، فسوف يتحول إلى قوة تدميرية فقط. فيإذا أخذت معركة كان Caan مثلاً فسنجد أنه ألقي على التحصينات الألمانية خسسة آلف طن من القنابل في مدى أربعين دقيقة، وعلى منطقة أقل من أربعة كيلومترات. وكل ما استطاع أن يفعله هو منع الحامية من تعزيز دفاعها، ولكن لم يجعل من المكن اختراقها.

كانت النظرية الألمانية عكس النظرية الغربية حول استخدام الطائرات أيضاً، إذ جعلت مهمة سلاح الطيران جزءاً من عمليات الجيش وليس باعتباره قوة مستقلة ضد النقاط الصناعية والداخلية (البنية التحتية). أي تبنت نظرية القصف التكتيكيي أي جعله في خدمة الحركة التكتيكية. وكما أشير سابقاً كانت النظرية السوفياتية قريبة من النظرية الألمانية في هذا الجال، بل إن غالبية النقاد العسكريين الغسربيين يسشهدون أن الاتحاد السوفياتي كان أمهر من جمع بين تكتيك الطائرات وتكتيك القوات الأرضية، في الحرب العالمية الثانية.

أما الأميركيون فقد جعلوا مهمة الطيران القصف الاستراتيجي أولاً، ثم التعاون التكتيكي ثانياً. ثم أخذ الفكر العسكري الغربي يميل مع تقدم عام 1944 إلى التركيز على نظرية القصف التكتيكي لا الاستراتيجي وتحويل الأخير إلى المنزلة الثانية.

في الواقع لقد ظهرت أهمية الطيران حاسمة في معارك الأساطيل في حزيران/يونيو 1942، في حملات المحيط الهادي، حيث كانت المعارك الجوية هي حزيران/يونيو تقرر المعركة البحرية، إلى حدّ إلهائها قبل أن يشتبك الأسطولان أحياناً.

ثالباً: من المفيد هنا استرجاع بعض الدروس التي استخلصها السوفيات من تجربتهم في الحرب العالمية الثانية سواء من ناحية فن العمليات أو من ناحية الدروس التكتيكية.

#### هذا ويذكر من دروس الحرب العالمية الثانية:

#### أ - العمليات الهجومية:

- عمليات الاختراق: لقد علمت تجربة الحرب أن حلّ المسألة المعقدة في الفنّ الحسربي بـشكل ناجح وهي مسألة خرق دفاع العدو المستعد، تقتضي تنسيق القـوى والوسائط في العمق على مستوى الجيوش والجبهات، وقد شكلت أنـساق ثانـية في الجيوش وأحياناً في الجبهات. واستخدمت الفيالق والجيوش المدرعـة والآلـية باعتـبارها مجموعات متحركة للجيوش والجبهات خلف الخطوط.
- عملية التطويق: تقوم القوات العاملة على الجبهة الخارجية بصدّ محاولات العدو الرامية إلى فك التطويق عن القوات المحاصرة، كما كانت القوات العاملة على الجبهة الداخلية تقوم بمهمة تدمير التجمعات المطوَّقة.
- وأكدت تجربة الحرب أن عمليات تطويق العدو يجب أن تستهدف توحيد حدادثتي الستطويق والتدمير في حادثة واحدة. وظهرت كذلك ضرورة عزل العدو المطوّق من الجو أيضاً.
- عمليات العمق: استخدمت خلال الحرب، وعلى نطاق واسع العمليات الهجومية مع توجيه ضربات جبهية عميقة (عملية فيسلا أودر)، وهذه العمليات ما تزال تحوز على أهمية عملية حتى في الظرف الحاضر.
- لقد لعبت الجيوش المدرعة دوراً كبيراً في إيجاد الإيقاعات العالية للهجوم. وقد استخدمت لتوحسيه ضربات عميقة لتجزئة التجمعات المعادية. وكذلك ضربات متلاحقة لتطويق التجمعات المعادية. كما استخدمت في النسق الأول للترتيب العملياني للجبهة عند اختراق الدفاع، كما استخدمت لتنفيذ المناورة الواسعة على جوانب ومؤخرة قوات العدو، فضلاً عن استخدامها في عمليات الملاحقة والمطاردة.
- عمليات الطيران: استخدم الطيران في المجال التكتيكي في أثناء اختراق المنطقة التكتيكية للدفاع، ثم طور فأصبح يشمل المجال العملياني أيضاً أي أصبح الهجوم الجسوي مستمراً حتى كامل عمق العملية الهجومية للجيش أو الجبهة. ومن هنا

فقـــد تألــف هذا الهجوم من فترتين: التمهيد الجوي المباشر، والدعم الجوي للهجوم.

إن أهـــم الدروس التي ما زالت تحتفظ بقيمتها حتى في الظروف الراهنة: تنظيم الـــتعاون بـــين الطيران (والقصف الصاروخي لاحقاً) والقوات البرية، حشد القوى الجوية على اتجاهات الضربة الرئيسية، تحقيق المفاجأة في الضربة والمحافظة علـــى الـــتأثير المستمر على العدو، المركزية في القيادة مع الاستخدام الواسع للوسائط الرادارية والحركة البرية.

لقد استخدم هذا التكتيك من قبل قوات الحلفاء ضد العراق في حرب الخليج الثانية، كما استخدمه الأميركيون والبريطانيون في حرب 2003 التي استهدفت احتلال العراق.

# ب - العمليات الدفاعية: دلت تحربة الحرب على:

- 1. ضرورة التحضير الهندسي للدفاع. مثلاً الأفخاخ الملغمة في كل نقطة ينسحب منها الدفاع أو يمكن أن يدخلها أو يمر بها الهجوم.
- 2. زيادة عمق الدفاع وصلابته، وبناء خطوط وسيطة ومائلة بالإضافة إلى النطاقات الدفاعية الأساسية.
- 3. لم تكــتف القــوات الــسوفياتية، بعد التجربة المريرة، باحتلال المنطقة التكتيكــية للدفاع والخطّ الدفاعي العملياني العائد للجيش فحسب، وإنما أيضاً، احتلت الخطّ الدفاعي الأول العائد للجبهة.
- 4. تطوير الدفاع المضادّ للدبابات، وقد دلت التجربة على أن الاعتماد على الأساليب السلبية في الالتجاء ضمن المناطق التي لا تسمح بمرور الدبابات كما حدث في الأشهر الأولى من الحرب، هو أسلوب خاطئ، فقد اعتمد في ما بعد على إقامة نقاط ومناطق قوية مضادة للدبابات على الاتجاهات الصالحة لم ور الدبابات.

لم تفقد خبرة تنظيم الدفاع العملياني التي تجمعت في الحرب الماضية أهميتها حستى في السوقت الحاضر، خصوصاً، فيما يخص تنظيم الدفاع على عمق كبير وكذلك تنفيذ الضربات المعاكسة القوية والمناورات. إلى جانب خطط مصائد

الـــدبابات تـــبعاً لـــنمط المضادات ابتداء من الألغام الأرضية والجانبية مروراً بالمضادات الفردية المحمولة، وانتهاء بالمضادات من بعد.

## ج - من الدروس التكتيكية:

- 1. التكتيك الهجومي: كان حرق الدفاع الأمامي من أعقد أنواع الهجوم في فترة الاجتياح الألماني للاتحاد السوفياتي، وكان الخرق من نقاط التماس المباشر مع العدو هو النوع الأساسى للخرق.
- الترتيب القتالي: عندما كان الدفاع، بعد العملية الهجومية، يتصف بالطابع البؤري كان اختراق الدفاع لا يتطلب قوى كبيرة، ولكن عندما أصبح دفاعاً عميقاً ومتصلاً اضطرت القوات السوفياتية المهاجمة إلى اتخاذ تسرتيبها القتالي على نسقين وذلك بالنسبة إلى فرق وأفواج المشاة. أما الكتائب فقد تراوح ترتيبها بين النسق الواحد والنسقين حسب الظروف، في حين بقيت سرايا وفصائل المشاة تعتمد على الترتيب القتالي ذي النسق الواحد.

لقسد استخدمت الأنساق الثانية للأفواج من أجل إكمال خرق الموضوع السثاني، واستخدمت الأنساق الثانية للفرق من أجل إكمال خرق النطاق الرئيس للدفاع، وتدمير الاحتياطات الفرقية المعادية واستخدمت الأنساق الثانية للفيالق من أجل خرق النطاق الثاني للدفاع.

لقد دلت التجربة أيضاً على عدم صحة تقسيم الترتيب القتالي إلى مجموعة ضاربة، ومجموعة مشاغلة بسبب عدم قيام هذه الأخيرة بأية أعمال إيجابية مما سمح للعدو بسحب قواته من أمام مجموعة المشاغلة ومن ثم تعزيز الاتجاه المتعرض للضربة الرئيسية، ولهذا السبب كلفت مجموعات المشاغلة بالقيام بأعمال نسطة وباختراق الدفاع المعادي إلى عمق أقل نسبياً من العمق الذي خصص للمجموعات الضاربة.

- التنسيق بين القوات: دلت التجربة على ضرورة التخلي عن تنظيم التعاون على ما خسريطة، وليس على الأرض. ولهذا تقرر أن لا يتخذ قائد الفرقة قراره للمعركة إلاّ بعد القيام بالاستطلاع الشخصي، وأن يتمّ التعاون على

- الأرض، وأن يستم تعسين اتجاهات الهجوم على الأرض أيضاً مع إعطاء الوقت الكافي للكتائب والأفواج لتنظيم المعركة.
- المطاردة: تسرتب القوات على نسقين بهدف تطوير قوة الضربة في حالة ازدياد مقاومة العدو المنسحب. أما إذا كان انسحاب العدو فوضوياً وبلا مقاومة تذكر، فيتبع ترتيب النسق الواحد لأن السرعة في هذه الحالة تلعب الدور الحاسم الأول.

لقد أكدت حبرة الحرب أن الحصول على إيقاعات عالية خلال المطاردة يتعلق إلى حسد بعيد بقدرة القوات على الفتح السريع من ترتيب الرتل إلى الترتيب القتالي، وعلى سرعة العودة من الترتيب القتالي إلى ترتيب الرتل.

- الاستطلاع: لقد دلت تجربة الحرب على الأهمية الحاسمة للاستطلاع في حالات الهجوم كما في حالات الدفاع.
- الأعمال الليلية: اعتبرت الأعمال الليلية بوصفها أعمالاً خاصة، ولكن بينت تجاربها والإفادة منها بأنها حاسمة لأنها ستكون أعمالاً ضرورية في أية حرب مقبلة.

## 2. التكتيك الدفاعى: دلت بحربة الحرب على:

- أهمية الدفاع التكتيكي العميق.
- إن الأسلوب الخندقي هو الأساس في التحضير الهندسي للمنطقة التكتيكية للدفاع (1).
- تطوير الدفاع المضاد للدبابات باتجاه زيادة كثافة وعمق الوسائط المضادة للدبابات وكذلك بالامتناع عن مركزه الوسائط المضادة بشكل خطي، وبحشدها على الاتجاهات الصالحة لمرور الدبابات<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> دلَـت تجـارب الحرب في فياتنام ولبنان (2006) وقطاع غزة (2007 - 2008) على أن الإنفاق عموماً (والخنادق الفردية البراميل في التجربة الفياتنامية)، أصبحت هي الأساس في التحضير الهندسي للمنطقة التكتيكية للدفاع. وإن لم تزل تماماً ضرورة الخنادق (تجربة قلعة الشقيف في حرب عام 1982 في جنوب لبنان).

<sup>(2)</sup> قدمت التجربة المصرية في حرب تشرين 1973 إمكان شطب كتيبة دبابات أو لواء من قبل كمائن لأفراد بأسلحة صاروخية محمولة.

دلت خلاصة تجربة الدفاع المضادّ للدبابات على أن يتألف من: النقاط القوية المتحركة المضادة للدبابات، المناطق المضادة للدبابات، الحواجز المصادة للدبابات، مفارز السدود المتحركة (والألغام، والكمائن)(1).

- ضرورة التنظيم الصحيح لجهاز النار باعتباره شرطاً أساسياً من أجل تأمين صلابة الدفاع ومناعته، بحيث لا ينحصر تنظيمه أمام الحدّ الأمامي للدفاع وضــمن الموضع الأول، وإنما على كامل العمق التكتيكي للدفاع، وليس فقط على عمق الموضع الأول.
- ودلت التجربة على أنه من الخطأ وضع كتائب المدفعية خلف حاجز أو عائق طبيعي بعيداً عن الاتجاهات الصالحة لمرور الدبابات.
- ثمية أهمية كبرى للدفاع الدائري وتنظيم تعاون القُطيعات الدفاعية للكتائب، فضلاً عن بروز الأهمية الخاصة لنيران القناصة.
- ضرورة تنظيم جهز الدفاع المضادّ للطائرات تنظيماً دقيقاً، بحيث يتضمن: المراقبة الجوية، الإنذار عن الخطر الجوي، جهاز النار للأسلحة المضادّة للطائرات، نيران أسلحة المشاة، الوقاية الجيدة، التمويه الجيد للتراتيب القتالية للقوات<sup>(2)</sup>.

# خلاصة عامة حول التكتيك

يجــب إدراك البعد الثالث للحركة الذي ولده تطور الطيران مما جعل السرعة تــزيد عــشرة أضعاف أو أكثر على أية سرعة آلية على الأرض وهذا يعني إعطاء الهجوم مزايا كبيرة على الدفاع كما زاد من أهمية الطيران:

<sup>(1)</sup> تأكدت هذه التجربة في حرب تموز /يوليو 2006 في مواجهة زحف الدبابات وتدميرها من قـبل قوات المقاومة الدفاعية ولكن في مستوى صاروخي أرقى بسبب تطور دبابة الميركافا ومناعتها ضد الصاروخ المحمول أر. بي. جي.

<sup>(2)</sup> كــل ما يتعلق بدروس التجربة السوفياتية حول دروس العمليات والتكتيك "البند 3"، أخذ من كتاب "تاريخ فن الحرب" - الجزء الثاني - الجنرال ستروكوف - باللغة العربية.

- أ. تحول الجيوش إلى جيوش آلية محمولة، وهنا يلعب الطيران دوراً حاسماً في تقييد حركتها، أو حماية حركتها، ولهذا فإن تأثيره في حركة الآليات أكثر بكثير من تاثيره في القصف الاستراتيجي، والقصف التكتيكي على مواقع الدفاع. وقد أصبحت هذه إحدى علامات التكتيك في ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى اليوم (1).
- ب. تطور نقل القوات الأرضية بآلياتها بوساطة الطيران جعل القوة الاختراقية كبيرة حداً، تتبيح وضع القوات الأرضية في أية نقطة داخل جبهة العدو لتقوم بمناوراتها وعملياتها التكتيكية. ولكن بالرغم من ذلك لم يثبت في الواقع أن السدفاع ضعيف كما يبدو نظرياً. وقد قللت عوامل ثلاثة من سلبيات الدفاع إزاء هذا التفوق الهجومي:
- استخدام الهجوم المضادّ من قبل احتياط دفاعي متحرك أو قوات دفاعية قريبة من موقع الإنزال لضرب الآليات التي أنزلتها الطائرات، مع ميزة عدم مواجهة مشكلة الوقود ونقل القذائف واللوجستيقا من قواعد بعيدة.
- ضــرورة تركيــز المهاجم لقواته مسألة حتمية لكي يستطيع التقدم إلى هدفه الأمر الذي يعيق إمكاناته على المناورة في اللحظة الحاسمة. ولا سيما إذا واجه قوات دفاعية تعرف الأرض وقادرة على النمويه والانتشار ومفاجأة الآليات.
- تركيـــز مواقع الرصد والإرسال يعطي معلومات عن اتجاه طريق المهاجم، وبهذا تقلل من قيمة المساحة التي يجب أن يغطيها الدفاع.

أما في المقابل، فإن التوزيع الحصيف والسري والمموه للقوات الأرضية ونقاط السدفاع والمنشآت الصناعية والمطارات يقلل من فعالية قصف الطائرات. أما العلو السذي على الطائرات أن تضرب منه إذا كان شاهقاً جداً فتقل فعاليته في مواجهة أهداف متحركة ولا سيما فردية وإن كانت إصابة هدف ثابت محدد الإحداثيات شبه أكيدة (في حدود عشرة أمتار).

<sup>(1)</sup> في حرب العدوان على العراق 2003 تم تدمير رتل من الدبابات العراقية من الجو في أثناء حركته بعد أن خرج من مواقعه المموهة، كما دمرت الدبابات العراقية من الجو في صحراء الكويت 1991.

أما القصف من علو منخفض فيزيد من الخطر على المهاجم. هذا فضلاً عن سابية وجود المهاجم وطائراته على أرض غريبة مما يسهل تضليله إلى إضاعة قنابله على أهداف موهومة أو أهداف مدنية ترتد عليه سلباً كما حدث في ملجأ العامرية في بغداد في حرب الخليج الثانية (1) أو في قرية قانا اللبنانية في حربي 1996 و2006، وفي مخيم جنين 2002 وفي قطاع غزة 2008.

إن المــشكلة الأساسية التي يواجهها التكتيك الآن، عدا الحرب النووية، هي مسألة معالجة:

- الاختراق الهجومي عن طريق نقل القوات الأرضية بالطائرات لتبدأ مناوراتها خلف خطوط الدفاع.
- الهيلوكبتر المصفحة التي تحقق الهبوط العمودي وتنقل المشاة إلى أية نقطة،
   وكذلك الهيلوكبتر ناقلة القوات الآلية الثقيلة.
- مــسألة الــسيطرة على الجو في حالة تحريك القوات الآلية المحمولة على الأرض.
- 4. ازدياد ضخامة الأساطيل الجوية بشكل يتيح لها التركيز على القصف الاستراتيجي دون التضحية بالتعاون مع القوات الأرضية في القصف التكتيكي.

إن هذه المشاكل التكتيكية، في الواقع، تواجه الشعوب المتخلفة، أساساً، لأن هذه القضايا أصبحت ثانوية بالنسبة إلى الدول الكبرى، روسيا والولايات المتحدة مسئلاً، بالمقارنة بمسائل الحرب النووية - ولأنها تعالج من قبل هذه الدول بمستوى التكتيك والتقنيية إياه - وقد رأينا، في أثناء دراسة الاستراتيجية النووية، أن استراتيجية السردع النووي، أو قل استراتيجية التوازن النووي، تستهدف حصر الحرب بالحروب المحدودة، أي عدم اشتباك الدول الكبرى ببعضها البعض. وهذا

<sup>(1)</sup> تجربة القصف الجوي في حرب الخليج الثانية 1991 وحرب الأطلسي ضد صربيا 1998 وحرب 2003 في العراق أثبتت أن خسائر الجيوش نتراوح بين 5% إلى 15% في المئة على أعلى تقدير، إذا كانت مموهة جداً، وأقل من ذلك بكثير بالنسبة إلى قوات المقاومة في حرب تموز/بوليو 2006 في لبنان (القصف الجوي والصاروخي أثخن في المدنية وفي الجسور).

يعني أن مسائل التكتيك الحديث - النقاط الأربع أعلاه - ستطبق، عملياً، في تلك الحروب المحدودة أي من جانب الإمبريالية العالمية والكيان الصهيوني، أساساً، ضد السشعوب والسدول المتحررة في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، وبالتالي لا بدّ من إيجاد التكتسيك المضاد لها. ولكن من الواضح أن معالجة هذه المسائل التكتيكية يستوقف على وضع كل بلد يواجهها ومستوى تطوره سياسياً وتكنيكياً وتنظيمياً واقتصادياً وعسكرياً إلح...، وإن كانت ثمة خطوط عريضة لا بدّ من توفرها تتركز في:

- أ. الاحتــياطات الدفاعــية المضادة سلبياً مثل التوزيع الحصيف لنقاط الدفاع والمنشآت والمطارات والملاجئ والخنادق والتمويه والأنفاق.
- ب. تسبى استراتيجية وتكتيك الدفاع العميق المتحرك، شبكة النقاط القوية المنتسشرة في العمسق والستي تتميز بالدفاع الحيوي النشط (الديناميكي) الإيجابي، والمقاومة الشعبية الشاملة بكل أشكالها. وقد أثبتت تجربة حرب تحسوز/يوليو 2006 في لبنان أهمية قوات الدفاع الذاتي المحلية في القرى والسبلدات على مواجهة الإنزال وراء الخطوط، أو تحرك آليات العدو المموهة "الملبننة" في الطرق الداخلية. وثمة تجارب، ولو محدودة، في الضفة الغربية وقطاع غزة في مواجهة تسلل قوات العدو المموهة ("المستعربين")، الأمر الذي يوجب تطوير هذه التجارب لتصبح أشد فعالية.
- ج. التركيز على العناصر الإنسانية مثل المعنويات والصمود والتنظيم الشعبي السيقظ والمنتسشر، وتفجير عبقرية الكوادر والمقاتلين والنخب العلمية والجماهير لاكتشاف وسائل دفاعية هجومية وأشكال تكتيكية. وهنا لا بيد من التشديد على العامل الذاتي، لا سيما، نوعية القيادة وصحة خطها السياسي والفكري وصوابية الاستراتيجية والتكتيكية.
- د. أما بالنسبة للتكتيك الإيجابي في مواجهتها فهذا يتوقف على نوع الأسلحة المتوفرة، وعلى وضع القوات المسلحة. ولكن، دائماً، هنالك طريق فعال في الجمع بين الأسلحة المتوفرة والحركة حتى ولو كانت في مواجهة أسلحة متفوقة.

إن أهم التطورات في العلم العسكري، بعد الحرب العالمية الثانية، إلى جانب الحسمالات استخدام الأسلحة الصاروخية النووية، هي التطورات المتعلقة بحرب السمعب المستويات السمعب الشورية والمقاومات الشعبية التي استطاعت تحقيق انتصارات باهرة على المستويات الاستراتيجية والعمليانية والتكتيكية ضد التفوق المادي والتقني للجيوش الإمبريالية. فلدينا تجارب حرب الشعب الثورية في فياتنام ولاوس وكمبوديا وقبلها المصينية وهي تتحاوز التقنية العسكرية الأميركية وكل التطورات التي حدثت في ارتفاع مستوى الحركية الجوية، وزيادة الكثافة النارية الجوية، وسرعة الآلية البرية اليس اعتماداً على تفوق مقابل في هذه المجالات وإنما ارتكازاً على الجوانب السياسية والمعنوية والتنظيمية وإطلاق مبادرات الجماهير الثورية واكتساب الخبرات المستراتيجية والعمليانية والتكتيكية العسكرية، في أثناء الصراع المسلح ضد أعلى مستويات العسكرية الإمبريالية.

وكذلك تجارب المقاومات الشعبية في بورسعيد والجزائر وفلسطين ولبنان والعسراق والصومال وأفغانستان (عشرات تجارب المقاومات). لقد اعتمدت هذه الستجارب على عدالة القضية وعلى الإنسان، وعلى الدعم الشعبي والرأي العام العالمي والتنظيم المناسب، وتعبئة الجماهير وتنظيمها وتوحيدها وتسليحها وإطلاق مسبادراتها وتجريئها على الدفاع عن نفسها ووطنها ضد العدوان والاحتلال، واستطاعت أن تجد الأجوبة المناسبة في مواجهة التقنية المتفوقة لأكثر الجيوش العصرية قوة وتطوراً، ليس هذا فحسب وإنما أيضاً على امتلاك فن القتال المناسب، استراتيجياً وعملانياً وتكتيكياً، أي تطوير العلم العسكري نفسه، وفي كل المحالات.

# الفصل الرابع

- القسم الأول مرحلة الحرب الباردة 1950 - 1991

- القسم الثاني مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة 1991 - 2008

# القسم الأول مرحلة الحرب الباردة 1950 - 1991

- 1 -

# الأبعاد السياسية

أولاً: لم يسسبق أن كان هنالك نظام دولي تحكمت فيه دولتان عظميان. وقد احتكرتا القدرة النووية وميزان الرعب النووي. و لم يسبق بالرغم، مما بينها من تسناقض إيديولوجي وصراع على النفوذ العالمي، وحتى وجودي كنظام، ألا يصل الأمر بهما إلى حد الحرب. وذلك على عكس ما حدث مع الدول الكبرى السابقة في الحربين العالميتين. طبعاً الفضل هنا يعود إلى القنبلة النووية ووسائط نقلها.

هذا ولم يسبق للوضع الدولي أن عمد رأساه النوويان للتوافق على تنظيم لعبته بالرغم من كثرة اللاعبين، أو الساعين إلى الخروج عليه مثل الصين وفياتنام وكوريا الشمالية وإيران الإسلامية، وعدد من دول حركة عدم الانحياز. وقد تمكّنا إلى حد بعيد من ضبط الوضع في أوروبا، وإلى حد نسبي، بقدر، في الشرق الوسط.

ثانياً: لقد اتسم الوضع الدولي بالانقسام إلى معسكرين متعاديين ومتوافقين، أميا السسمة الثانية فكانت الدول الفالتة من هيمنتهما، إلى جانب حجم ما من الفوضي العالمية نتيجة السمتين المذكورتين. ومن هنا قسمت الصين العالم بعد صراعها مع الاتحاد السوفياتي إلى عالم أول (أميركا والسوفيات) وعالم ثان أوروبا واليابان وعالم ثالث بقية دول العالم.

هذا ما أثر في حروب مرحلة الحرب الباردة، أو النظام الدولي آنف الذكر. فكان لا بد من أن تبقى عموماً تحت سقف معادلة توازن الردع النووي. ومن ثم ألا تجر السوفيات والأميركان إلى الصدام، بسبب أية قضية تخص دولة أخرى. وهنا يمكن استثناء أوروبا التي كانت جزءاً من المعادلة الأساسية. لهذا كادت أزمة برلين 1951 أن توصل للصدام بينهما. وكذلك أزمة الصواريخ الكوبية بسبب زرع صواريخ سوفياتية في فناء الأمن القومي الأميركي. أما قصف هانوي عاصمة فياتنام الشمالية وحرب حزيران/يونيو 1967، أو احتلال أفغانستان، فما كان ليدفع أي منهما إلى المواجهة المباشرة التي يُنفض فيها الغبار عن السلاح النووي.

كل الحروب التي مرَّ ذكرها، أو التي لم تذكر، اتسمت بكوها حروباً محدودة، طويلة الأمد أو قصيرته. فلم تسمح الدولتان ما أمكنهما بأن تذهب الحرب إلى حد الحسم، عدا حرب فياتنام التي فرض هوتشي منّه حسمها ضد الأميركان، وباستقلال عن القرار السوفيات، وهو ما تكرّر في الحسم ضد السوفيات في أفغانستان. أما حرب الفوكلاند فقد حسمت لأن السوفيات لم يكن لهم أي دور فيها. مما سمح بأن تستفرد بريطانيا وأميركا بحسمها ضد نظام يعتبر من جبهتهما في السوماع الدولي. فضلاً عن أن منطقة الحسم "جزر الفوكلاند" معزولة وبعيدة عن الصراع بين الدول.

ولكن بالرغم من محدودية تلك الحروب قياساً بحروب القرن التاسع عشر، أو حروب المنتصف الأول من القرن العشرين إلا ألها كانت في أغلبها مسرحاً استخدمت فسيه آخر تطورات التكنولوجيا في الطائرات والمدافع والصواريخ والسبوارج ووسائط النقل واللوجستيقا وحتى حروب الدبابات هذا و لم تكن تكتيكات الحرب العالمية في الهجوم والدفاع بعيدة منها.

ثالثاً: ما من مُنظِّر فكّر في التحلي عن أسس علم الحرب أو عن استراتيجيات الحسرب المعسروفة، أو تكتيك المعارك، مع كل ما حدث من تطورات تقنية على الأسسلحة أو تكتيكات الهجوم والدفاع، بل حتى جيوش الدول الكبرى بقيت محافظة على التشكيلات للفرق والألوية والكتائب والسرايا، والتدريبات التقليدية المعززة بتجربة الحرب العالمية الثانية. وذلك بالرغم من التغيير النوعي الذي أحدثه السلاح النووي على احتمالية الحرب في ما بين مالكيه.

وكان السبب الرئيس في ذلك هو عدم الاستبعاد الكلي لاندلاع الحرب بين الاتحاد السوفياتي وأميركا، أو بين معسكريهما بالتأكيد.

حدث هدذا بالرغم من التطورات التي تحققت ما بين 1950 - 1991 على الطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ والأقمار الصناعية والاتصالات وعلى دقة الإصابة وتعظيم القوة التدميرية للقنبلة والصاروخ.

أثبتت كل الستطورات التي حدثت بالنسبة إلى الحركة والنيران من حيث السرعة والكثافة أو من حيث الدقة والاتساع أن بالإمكان للدفاع أن يتلافي الكثير مسن أضرارها وفعاليتها. وذلك من خلال تصميم دفاع مفكراً به جيداً. بل وأن يمارس الهجوم حتى في ظروف سيطرة كاملة للعدو على الجو. فالمثل الفياتنامي في حرب تحرير جنوبي فياتنام أثبت ذلك في التطبيق العملي على مستوى المدن والقرى كما على مستوى مركة سرايا وكتائب وحتى ألوية. وكان ذلك من خلال الأنفاق والملاجئ الفردية، مثلاً البراميل المزروعة تحت سطح الأرض والمنتشرة في السنوارع وحول البيوت. فكان يُلجأ إليها فوراً في أثناء القصف، إلى جانب الاحتماء بأشكال التمويه المختلفة والاعتماد على الجهد الإنساني حتى البدائي في المحداد الجبهة بالدعم والسلاح. والمدهش كانت الدراجة العادية (البسكليت) إذ لعسبت دوراً استثنائياً في نظام اللوجستيقا حتى في الجبال الوعرة في فياتنام. حقاً لا يصدق كم كان يحمّل عليها.

لقد أثبتت تجارب أغلب الحروب أن القصف الجوي (وبطائرات الوزن الثقيل B52 على شمالي فياتنام) لا يُكسب حرباً، ولا يفل إرادة مصممة، ولا يحول دون الحركة، ولا يمنع المناورة التكتيكية إذا أتقنت الانتشار والتركيز في الوقت المناسب. وقد ينطبق هذا حتى على القنبلة النووية المحدودة (غير الشاملة) إذا استخدمت.

أثبتت حربا المقاومة الشعبية في كل من فياتنام الجنوبية ضد أميركا، ومن أفغانستان ضد السوفيات. إن بالإمكان أن تواجه قوى أكبر دولتين بكل ما تملكان من إمكانسات وتسلح وتقنية عالية، من قبل قوات صغيرة مقاتلة مدعومة من السنعب. وتملك إمكان كسب الرأي العام الداخلي والإقليمي والعالمي. ومن ثم تستطيع أن تحرز السرأي العام داخل الدولة المعتدية (لا سيما عندما يفشل الحل

العسسكري). وقد خرجت الدولتان في كل من حربي فياتنام وأفغانستان مهزومتين ومستنزفتين مادياً ومعنوياً فضلاً عن تداعيات أخرى أحدثت خللاً في ميزان القرى بينهما نتيجة كل حرب. فأميركا انتكست لعشر سنوات، في الأقل بعد هزيمتها في فياتنام. أما السوفيات فقد تفاقمت أزمتهم الداخلية وأدّت، مع أسباب أخرى، إلى الهيار الاتحاد السوفياتي نفسه.

وابعاً: في الحروب المحدودة، وضمن ظروف دولية مساعدة، ثمة عاملان هامان يؤسران في مجرى الحرب ومصيرها. فإذا كانت الحروب في الماضي تتقرّر بصورة أساسية من خلال المعركة والعمليات والحسم في الميدان ليأتي دور السياسة لتترجم ذلك إلى مكاسب سياسية، فإن مصير الحرب أصبح يتقرّر جزئياً على أرض المعسركة، أو في مسرح الحرب، وجزئياً من خلال تدخل المعادلة الإقليمية الدولية. وأخسيراً وليس آخراً من خلال الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي. وهنا لعبت، دائماً، مسألة عدالة الحرب دوراً هاماً.

خامساً: أثبتت التجارب أن ثمة دوراً حاسماً يلعبه الخط السياسي والفكري السذي يدير السياسة والعلاقات بين مختلف الأطراف. فماوتسي تونغ كان يقول حين كينا نحساراً"، وكينا معارب وخطنا السياسي والفكري خاطئ، كأن نتطرف "يميناً" أو "يساراً"، وكنا معات الألوف من المقاتلين ولدينا مناطق شاسعة، نأخذ بالتراجع. ووصلنا أحياناً بسبب الخطأ في الخط السياسي والفكري إلى آلاف أو معات. ولما كنا نصحت الوضع ونتبتى خطاً سياسياً وفكرياً صحيحاً كنا نتحول من آلاف إلى معات الألوف وصولاً إلى كسب الحرب.

كـــل تجـــارب الحروب في مرحلة الحرب الباردة وقبلها وبعدها لعبت فيها المعادلة الدولية والرأي العام الداخلي والإقليمي والعالمي أدواراً هامة، مع التفاوت، سلباً أو إيجاباً في كل منها وفقاً لكل حرب. كما لعب الخط السياسي والعسكري والفكري الصحيح من جانب القوة الأضعف دوراً حاسماً كذلك.

سادساً: نــشطت في العــشرين سنة الأولى من مرحلة الحرب الباردة الدراسات التي ترشد جيوش الدول الكبرى إلى كيفية مواجهة المقاومة وحروب الشعب. وكان هذا نتيجة لاندلاع حركات الكفاح المسلح في أغلب البلاد التي

كانت تسرزح تحست الاستعمار أو تتعرّض للاحتلال. وقد حملت عنوان (COUNTER INSURGENCY WARFARE) "الحسرب المضادة للتمرد". ومما اقتسرحته تسشكيل فرق في الجيوش النظامية تعد لمواجهة مثل هذه المهمات. وقد طرحت سياسيات تستهدف عزل المقاومة أو الثورة عن الشعب ليسهل ضربها، ويستحقق فسشلها. ومن هنا تنبع أهمية الخط السياسي الصحيح في الشعار والفكر والممارسة لاحباط تلك السياسات. ومن هنا يجب أن يلحظ أن السياسة والرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي يلعبان أدواراً حاسمة لا تقل اهمية عن الاستراتيجية والتكتيك العسكريين المتبعين. وبهذا أصبح مسرح الحرب لا يقتصر على الميدان العسكري وإنما أصبح مركباً من عسكري وسياسي واحتماعي وإعلامي ومحلي وإقليمي وعالمي.

فالحرب المحدودة حرب سياسية ذات بعد شعبي وإقليمي وعالمي وليست حرباً عسكرية عسكرية فقط. وحروب المقاومة الشعبية حروب سياسية وليست حروباً عسكرية فقط. ولهذا يجب أن تكسب بالسياسة كما يجب أن تكسب بالحرب، كما ينبغي لها أن تكسب في ميدان الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي وفي حبهة الخصم.

من هنا تنبع أهمية ملاحقة الدراسات التي سيجريها منظرو مكافحة الثورات والمقاومة كمنا أهمية الدراسات المقابلة في التعلم من تجارب المقاومات الفاشلة والناجحة.

على أن كل هذه الدراسات بالرغم من أهميتها التفصيلية ستدور ضمن بعدين رئيمسين: الأول، التكتيك العسكري على ضوء تطور الأسلحة وأنظمة التحسس والمراقبة والتعقب من جهة القوى العسكرية المنتسبة إلى الدول الكبرى أو الصناعية المتطورة، وفي المقابل ما تطوره المقاومة الشعبية من تكتيك عسكري وأمني لمواجهة تلك التطورات والأنظمة. أما البعد الثاني، وهو الأهم من الأول فيتعلق بمن يكسب الشعب المعنى ومن ثم الرأي العام اقليمياً وعالمياً.

فكل صراع دار بين محتلين ومقاومين، دار على كسب الرأي العام محلياً أولاً، ثم إقليمـــياً وعالمياً ثانياً. هذا الجانب يظل في مصلحة المقاومة بسبب عدالة القضية ولكــون القضية قضية الشعب. وقد زادت تطورات الإعلام المرئى والإنترنت من إضعاف قوى الاحتلال وتقوية الطرف الشعبي والرأي العام المقابل لأنه لم يعد من الممكن أن تخساض حرب بتعتيم إعلامي كامل أو ترتكب جرائم ضد المدنيين أو تحدث نكسات ولا تعمم على نطاق واسع. ولكن مع ذلك إذا ارتكبت أخطاء من جانب المقاومة فسيصار إلى استغلالها لعزلها عن مصادر قوتها: الشعب والرأي العام من حولها وفي العالم.

الحالة الفلسطينية وحدها اقتصر الصراع فيها على كسب الرأي العالم العالمي فقط. لأن المشروع الصهيوني استهدف تمجير كل الشعب الفلسطيني والتنكر لحق العرب والمسلمين في فلسطين. ولهذا كان من العبث أن يخوض صراعاً لكسب الشعب الفلسطيني أو الرأي العام العربي والاسلامي (الاقليمي).

وهنا لا بد من التأكيد مرة أخرى على خصوصية كل حرب بما في ذلك كل احتلال وكل مقاومة. وهي خصوصية تأتي من خصوصية المكان والزمان والأرض والمسناخ والسشعب والقضية، كما الظروف وموازين القوى السائدة محلياً وإقليمياً وعالمياً.

إن كـــل ما يمكن تعلّمه من التجارب المحتلفة، وما يمكن أن يخرج من قوانين وعبر ذات طابع عام يظل مهماً من جهة، ولكنه من جهة أخرى يخضع للخصوصية آنفة الذكر.

وهذا نعود هنا أيضاً إلى مجموعة العوامل التي لخصت عوامل النصر والهزيمة في الحرب لنجدها ممتدة أيضاً إلى حالات الحرب المتعلقة بالمقاومة كما بالقوات المحتلة. فالعوامل تتبادل الموقع الرئيس والمواقع الثانوية من حالة إلى أخرى، وستظل كذلك دائمساً. فما لعب دوراً حاسماً في الحرب ضد مقاومة ما لا يلعب الدور نفسه ضد مقاومـة أخرى، وكذلك فإن دور العامل الحاسم والعوامل الثانوية ليس نفسه في لعب دور في مصلحة هذه المقاومة أو تلك.

فكـــل حرب عملية معقدة مركبة وذات فرادة استثنائية ومع ذلك لا مفر من دراسة التجارب والخروج بقوانين عامة، لكن مع التطبيق المبدع الخلاق دائماً. هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فإن مراجعة تجارب الحروب والمقاومات في مرحلة الحـــرب الباردة تؤكد ثقل المعادلة السياسية المحلية والاقليمية والعالمية التي واجهتها

كل حرب من تلك الحروب وهو ما يجب أن يراعى إلى جانب قضايا الاستراتيجية والتكتيك في علم الحرب. وبهذا تتكامل الصورة، فلا يقتصر بناء الاستراتيجية للحرب بين المدول المصناعية أو المتكافئة. ومن ثم التدقيق في الحالة المدنية والاقتصادية والاجتماعية لكل من المتحاربين (فون كلاوزيفتهن) فحسب، وإنما أيضاً تأثيرات المعادلات السياسية اقليمياً وعالمياً ورأياً عاماً في استراتيجية الحرب غير المتكافئة.

- 2 -

# حروب مرحلة الحرب الباردة

الحرب الكورية: 1950 - 1953

قــسمت كوريا عملياً إلى شمال وجنوب نتيجة التدخل السوفياتي والأميركي فــيها قــبل انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعيدها. فقد اتفق الأميركيون والسوفيات علــي أن يــتوقف الزحف السوفياتي عند خط عرض 38 في هجومه على الجيش الياباني فيما تدخل أميركا لاحقاً إلى جنوبي خط 38.

الكوريون بإجماع رفضوا تقسيم كوريا بعد أن قام نظام ديمقراطي (شيوعي) في السشمال بقيادة كيم إيل سونغ (1912 - 1994) ونظام موال لأميركا في الجنوب بقسيادة سيغمان ري (1875 - 1965). وكلا الزعيمان أصر على توحيد كوريا. من هسنا بسدأت الحرب عملياً حين ترجم كيم إيل سونغ هذه الرغبة في الزحف نحو الجنوب في 25 كانون الثاني/يناير 1950. وكان ذلك بداية ما عُرف باسم الحرب الكورية.

استخدم كيم إيل سونغ قواته المنظمة باعتبارها جيشاً يمتلك الدبابات والطائرات والآليات، وإن كانت متواضعة، في هجومه على قوات حكومة سيغمان ري الستي تسساقطت أمامه كأوراق الخريف. وقد دخل سيول العاصمة في 28 حزيران/يونيو 1950 و لم يتبق إلا جزء صغير من الجنوب حول مدينة بوزان حيث لجأت فلول القوات الكورية الجنوبية مع قوة أميركية لم تُثبّت مواقعها بعد. على أن

الضغط السوفياتي وابتعاد قوات كيم إيل سونغ عن مصادر اللوجستيقا المختلفة قد فرضا عليه التوقف عن إكمال الزحف وحسم الحرب.

بدأ الأميركيون بالإعداد لدخول الحرب وقد أصدروا قراراً من مجلس الأمن بالستدخل. وقد سمحت لهم بذلك مقاطعة المندوب الروسي للاجتماعات بسبب الاحتجاج على وجود مندوب شان كاي شيك فيما أصبح مقعد الصين، واقعياً، من حصة حكومة الصين الشعبية. فالتدخل الأميركي العسكري تم تحت رايات الأمسم المستحدة، ومعه تحالف عريض من دول غربية وآسيوية (تركيا لعبت دوراً نشطاً في هذه الحرب).

ما إن تمّت الاستعدادات حتى انطلقت القوات الأميركية والكورية الجنوبية والحلفاء ("قوات هيئة الأمم") في هجوم استخدمت فيه الطائرات والدبابات مطلقة كـــثافة نـــيران هائلة، أسفر عن دحر قوات الشمال ودخول عاصمتها بيونغ يانغ وليس الاستيلاء على العاصمة سيول والجنوب تحت خط 38 فقط. وبهذا أصبحت القوات الأميركية على حدود الصين تقريباً.

هــنا اتخذت الصين قراراً بالتدخل المباشر لأن وصول الأميركيين إلى نهر يالو يعني مواصلة الهجوم إلى داخل الصين نفسها.

قــرار التدخل الصيني لم يَجُر معه قراراً سوفياتياً عدا التدخل بالطيران ضمن حــدود الــصين عــند لهــر يالو. (البعض يعتبر أن الحرب الكورية زرعت بذور الانشقاق الصيني – السوفياتي وكانت سبباً رئيساً فيه).

راح الهجوم الصيني، منذ الأول من تشرين الثاني/نوفمبر 1950، يدحر القوات الأميركية وقوات الحلفاء الآخرين حتى دخل بيونغ يانغ، ثم تجاوز خط عرض 38، وصولاً إلى احتلال سيول في 1951/1/4 مكملاً جنوباً. ولولا ابتعاد الجيش الصيني عن مصادر اللوجستيقا والضغط السوفياتي لما أبقى من الجنوب للأميركيين شيئاً. ثم تبين أن هنالك تمديداً أميركياً، أيضاً، باستخدام القنبلة النووية.

ولكن الأهنم ما دار من المعارك الضارية التي راحت تتبادل مواقع التقدم والتسراجع بين الطرفين. وقد استُخدم الطيران الأميركي، كما استُخدمت الدبابات والهجمنات الكاسحة من قبل الصينيين. وتجنباً لنيران الطيران اعتمد الصينيون على

الموجات البشرية في هجمات ليلية بسبب السيطرة الجوية الأميركية وكثافة النيران. مما أوصل الأمور خلال العام 1950 وشطر من 1951 إلى حد التهديد، فعلاً، باستخدام القنبلة النووية. وهنالك من يؤكد أن الرئيس الأميركي هاري ترومان كان جاداً في استخدامها، ولا سيما في العام 1951. فقد عزل الجنرال الأميركي الشهير دوغلاس ماك آرثر لتبقى يده طليقة باستخدامها إن اقتضت الضرورة.

حدث نوع من الجمود على الجبهة حول خط العرض 38 بعد أن أعاد الأميركيون الهجوم واستعادوا سيول، وتغلغلوا مرة أخرى في الشمال وإن لم يصلوا إلى احتلال بيونغ يانغ. ثم تواصل الهجوم الصيني ليعيدهم إلى ما وراء خط العرض 38. فما بين تموز/يوليو 1951 – وتموز/يوليو 1953 أصبحت الحرب سجالاً حول ذلك الخيط من دون أن يتكرر ما حدث بين كانون الثاني/يناير 1950 إلى تموز/يوليو 1951 من تقدم وارتداد على الجبهتين في العمق حتى حدود الحسم.

يمكن اعتبار حرب كوريا حرباً نموذجية من الناحية العسكرية من نمط الحربين العالميتين الأولى والثانية. فكانت مذبحة عظيمة من جهة ما حصدته من أرواح من الطرفين وكذلك ما وقع من جرحى وأسرى (الأرقام التي أعلنها الطرفان طعن فيها، ولكنها دائماً كانت بمئات الألوف ويزيد، فهي أكبر حرب بعد الحرب العالمية الثانية، وإن لم تكن أطولها، ين المعسكرين وقد حرص الاتحاد السوفياتي أن يسشارك فيها، بصورة غير مباشرة. وهي الحرب التي وضع فيها استخدام القنبلة السنووية الأميركية على الطاولة. ومع ذلك ما إن انتهت حتى أدخلت عالم النسيان فأسماها بعسض مؤرخيها "الحرب المنسية" قياساً بما قبلها، وبما بعدها من حيث الشهرة و ديمومة الاستشهاد بها.

أما على المستوى التكتيكي فإن معارك الاشتباك بين الدبابات كانت قليلة، فيما لعب الطيران الأميركي دوراً بارزاً. ولكن الأهم والجديد كان تكتيك الهجوم بالموجات الكثيفة الليلية من جانب الصينيين.

توقع بعض المنظّرين أن تكون الحرب الكورية هي حرب التحربة (بروفة) للحرب القادمة بين المعسكرين. ولكنها في الواقع كانت آخر مواجهة تقليدية بينهما، وإن لم يكن الاتحاد السوفياتي قد شارك مباشرة فيها. وقد يكون الفضل في

ذلك للاتحاد السوفياتي أكثر منه لأميركا. وهو ما أكدته الحرب الفياتنامية حين قرّرت الولايات المتحدة الأميركية قصف جمهورية فياتنام الشمالية، إلى حد أحداث تدمير واسع وبطائرات B52 في العاصمة هانوي فيما أحجم الاتحاد السوفياتي عن السرد، علماً أن جمهورية فياتنام الشمالية جزء من المعسكر الاشتراكي. وكان من المفترض بأن يشملها الوفاق الدولي كما الاتفاق غير المكتوب على عدم اعتداء أي من الدولتين الكبريين على أراضى المعسكر الآخر ودوله.

صحيح أن الاتحاد السوفياتي قدّم المساعدات لجمهورية فياتنام الشمالية ولكن كان ذلك ضمن السماح بضربها. ولشدّ ما أبدى الزعيم الفياتنامي الشمالي هوتميني مسته مرارته من هذا الوضع، ولكنه عضّ على الجرح قابلاً بما يصل من مساعدات ودعم.

### حروب 1956، 1967، 1977

اعتُــبرت حرب العدوان الثلاثي 1956 وحرب 1967 وحرب 1973، ومن الحــروب الــــي اتسمت بحروب دون سقف الدولتين الكبيرتين وإن كان الطرف الإســـرائيلي الصهيوني جزءاً من معادلة الدول الكبرى، ولا ينتسب إلى دول العالم الثالث. ولهذا فهي حروب ذات طرف يدخل ضمن إطار حروب أو جيوش الدول الكبرى، وعلى التحديد، الغربية منها، ولا سيما حرب العدوان الثلاثي 1956.

# حرب 1956: "حرب السويس"، "حرب العدوان الثلاثي"

ففي حرب العدوان الثلاثي واجهت مصر ثلاثة جيوش: البريطاني والفرنسي والإسرائيلي في آن واحد. وكان الهدف السياسي إسقاط حكومة جمال عبد الناصر. ولهذا احتل الجيش الإسرائيلي قطاع غزة وسيناء ووقف على حدود قناة السويس، وبدأ الإنرال البريطاني - الفرنسي على الأرض المصرية. وكانت استراتيجية الحرب من النمط التقليدي في استخدام النيران والحركة. وذلك بالاعتماد على تفوق كاسح بالطيران والدبابات.

هـــذا لم يتــرك فرصة للحيش المصري للصمود على حبهة القطاع - سيناء. ولكن تحول إلى مقاومة شعب وحيش في بورسعيد والإسماعيلية. الأمر الذي أوقف الــزحف الذي نــزل من الجو، كما منع الجيش الصهيوني من المخاطرة بعبور قناة

الــسويس. وبهذا توقف الزحف العسكري الذي استهدف إجبار عبد الناصر على الاستقالة.

ولكسن الحرب توقفت عند هذا الحد بسبب معادلة دولية، أيضاً، ضغط فيها الاتحساد السوفياتي بشكل حاسم لوقفها مهدداً حتى بضرب عواصم دول العدوان. كمسا ضخطت فيها أميركا لوقفها حيث كانت تتربّص بالحلول مكان بريطانيا وفرنسسا في المسنطقة. ولم تكسن قسد ردّت بعسد على تفجير السوفيات للقنبلة الهيدروجينسية والستي أحدث تفجيرها خللاً في ميزان القوة النووية بين السوفيات وأميركا والغرب عموماً. وهذا ما سمح بابتلاع التهديد السوفياتي والرضوخ له.

ومن هنا كانت حرباً محدودة، بلا حسم عسكري. وجاء النصر نتاجاً لصمود السشعب والقسيادة أولاً، وللإنسذار السوفياتي ثانياً، وقرار الصمود والمقاومة في بورسعيد والإسماعيلية ثالثا، إلى جانب الهبة الجماهيرية المصرية والعربية والإسلامية والعالمثالثية (الهند ويوغسلافيا خصوصاً)، كما المعادلة الدولية آنفة الذكر رابعاً.

القانون هنا هو ارتباط الحرب المحدودة بالمعادلة السياسية المحلية والإقليمية - الدولية. وذلك من جهة المدى الذي يمكن أن تصل إليه والنتائج التي يمكن أن تحققها، وكلها دون الحسم الكامل في منطقة أصبحت شديدة الحساسية بالنسبة إلى المعسكرين وحركة عدم الانحياز لاحقاً.

### حرب حزيران إيونيو 1967: "حرب العدوان الإسرائيلي 1967"

ثلاثة جيوش عربية انخرطت في آن واحد وهي المصرية والسورية والأردنية في حسرب حزيران/يونيو 1967 ضد الجيش الصهيوني. وكانت المبادأة فيها من جانب الطيران الإسرائيلي الذي انقض على مدارج الطيران العسكري المصري، والسي كانست بلا حماية وبلا مراعاة لشروط الأمن (التمويه والإخفاء وسرية المواقع والرصد الراداري). وقد اعتبر الإجهاز على الطائرات العسكرية المصرية حسماً للمعركة البرية، كما حصل فعلاً في قطاع غزة وسيناء مرة أخرى حيث توقسف زحسف الدبابات الإسرائيلية عند قناة السويس، فأغلقتها أمام الملاحة المدنية.

ومـــا إن انتهـــى الهجوم على الجبهة المصرية حتى انتقل إلى الجبهتين السورية والأردنية حيث سقط الجولان وسقطت الضفة الغربية حتى نهر الأردن.

ومرة أحرى توقفت الحرب بعد خمسة أيام بقرار دولي وبوفاق أميركي - سوفياتي. ولكن مع ذلك لم يستطع الجيش الإسرائيلي، والمغطى مباشرة هذه المرة من قبل أميركا، أن يفرض نهاية سياسية للحرب على طريقة الحسم النهائي بفرض شروط الاستسلام. الأمر الذي جعلها حرباً محدودة بالرغم من احتلال مناطق واسعة من الأرض، ومن دون التقليل من خطورة ما احتل من أرض. ولكن المقصود من الناحية العسكرية. والدليل سرعة انتقال مصر إلى حرب الاستنزاف على قناة السويس وسرعة اندلاع المقاومة الفلسطينية لتفتح جبهتي الأردن ولبنان، وبدعم مصري - سوري - أردين - لبناني - عربي عام.

لقد أثبتت الجيوش، مرة أخرى، ألها لا تستطيع أن تقاتل إذا فقدت غطاءها الجسوي وتمتّع عدوها بتفوق في الدبابات والنيران وحتى بالعديد في المعركة المحدّدة. لألها تكون عملياً قد خسرت الحرب أو المعركة قبل أن تدخلهما. بل إن ما يُدرّس في الأكاديميات العسكرية الرسمية في العالم عموماً هو ألاّ يقاتل الجيش إذا حوصر أو إذا فقد الغطاء الجوي ووقع بين فكي كماشة أو تفوق عليه خصمه في الآن نفسه في مناورة الدبابات. طبعاً هذا القانون المسلم به عالمياً كسرته الجيوش السوفياتية في مناورة الدبابات. عما كسرته قوات المقاومة الشعبية.

هذه الإشكالية هي التي واجهت الجيوش الأوروبية بما فيها الفرنسية في الحرب العالمية الثانية وقد استسلمت جميعاً وهي التي واجهت الجيوش السوفياتية إلى أن جماء القرار بمنع الاستسلام تحت كل الظروف. ومن ثم اللجوء إلى الدفاع العميق والحندقة والمقاومة وحتى الانتقال وسط الحصار إلى الهجوم لفتح ثغرات في الحصار. ومع ذلك استمرّت الأكاديميات العسكرية الغربية والعربية تقول بالاستسلام أو عدم القتال في هذه الحالة.

إن قوانين الحرب بين جيشين غير متكافئين تفرض على الجيش الأضعف الذي يفتقسر إلى الغطاء الجوي والتفوق في النيران والآليات أن يعمد إلى قوانين حرب السنعب التي اعتمدت من قبل الجيش السوفياتي في الحرب العالمية الثانية، أو قوانين الحسرب السي طبقها الفياتناميون في حرب تحرير جنوبي فياتنام. إنه قانون تحويل الجسيش إلى تكتيك واستراتيجية حرب جيش وشعب ضد الجيش المتفوق، وهو ما طبق في نموذج بورسعيد والإسماعيلية في حرب السويس 1956 أو نموذج سفاستبول وستالينغراد وغيرهما من المدن والبلدات والمواقع في الحرب العالمية الثانية، كما طبقه الكورويون والصينيون في الحرب الكورية.

في حرب الاستنزاف 1969 عمل الجيش المصري تحت مظلة دفاع جوي معقولة نسسياً ساعد فيها السوفيات وضمن دعم شعبي في الجانب الآخر من قناة السويس. هذا ويمكن القول إن المعادلة الدولية، في حينه، سمحت بأن تحصر الحرب بالاستنزاف المتبادل. وهذا ما حدث على الجبهة السورية 1974/1973 كذلك.

هنا أيضاً ارتبطت الحرب المحدودة كما حربا الاستنزاف على الجبهتين المصرية والمسورية كما فتح جبهة الأردن 1970/1968 أمام المقاومة بالمعادلة السياسية المحلية والإقليمية - الدولية، وذلك من جهة مداها ونتائجها. وهذا بالطبع غير ما يحدث في الحروب التقليدية حيث كانت الاستراتيجية تتجه إلى حسم الحرب في الميدان والوصول إلى استسلام العدو. وبالمناسبة أخطأ، عن قصد أو بلا قصد، من اعتبروها هزيمة تستدعي التسليم. فلم يلحظوا أن الهزيمة بالمعنى العسكري الذي حدّده فون كلاوزيفت لا ينطبق على الحالة (عدوان 1967) بدليل استمرار الصمود والانتقال إلى حرب الاستنزاف واندلاع المقاومة الفلسطينية وتبنيها والإعداد للحرب من جديد.

#### حرب تشرين 1973

منذ انتهاء حرب الاستنزاف 1970/1969 اتجهت القيادة العسكرية للجيش المصري في عهد جمال عبد الناصر ثم في عهد أنور السادات إلى إعداد خطة حرب يقفز فيها الجيش إلى الجانب الآخر من قناة السويس، وعلى التحديد تحطيم خط بارليف الدفاعي الذي أقامه الجيش الإسرائيلي وهو معزز بالطيران وبحاجز مائي لا يسهل اجتيازه.

أثبت تجربة حرب تشرين 1973 على الجبهة المصرية أهمية مبدأ المفاحأة وإمكان أن يُحطم خط دفاعي شديد التحصين والمزايا مع توفر مضادات أرضية تحدد من تدخل الطيران، أو تقلل من تأثيره، إلى جانب سرعة الوصول إلى التحصينات بوسائل شبه بدائية (المراكب السريعة والجسور العائمة وخراطيم المياه لإزالة الحواجز الترابية)، والاشتباك داخلها حتى بالسلاح الأبيض. وذلك من خلال قدوات اختراق محدودة العدد تعتمد الاشتباك القريب المباشر وعلى مستوى خط بارليف كله. وقد أنجز ذلك ضمن معنويات إيمانية عالية ودوافع وطنية وقومية منذ متأججة، لدى المقاتل المصري الذي صمّم على استعادة كرامته العسكرية منذ حزيران 1967.

ويجب أن يذكر؛ بأن حرب تشرين 1973 كانت الابنة الشرعية للهيئة المليونية المصرية والعربية في التاسع من حزيران/يونيو 1967، التي رفضت استقالة عبد الناصر وطالبته بالصمود وبالعودة إلى الحرب من جديد. فكان الرد على النكسة العسكرية (ومن شاء الهزيمة العسكرية) بالسياسة والإرادة الشعبية.

أما عسمكرياً فقد أثبتت حرب تشرين، أيضاً، إمكان تحطيم لواء دبابات وأكثر من خلال الصواريخ الفردية المحمولة من مجموعات من المشاة، وقد صُدَّ تقدم السدبابات. وهو ما تكرّر في تجربة حرب تموز/يوليو 2006، أي حرب دبابة مقابل مقاتل يحمل صاروخاً مضاداً وليس دبابة مقابل دبابة.

لقد كانت الاندفاعة الأولى التي قام بها الجيش المصري وزعزعتها لجيش العدو كفيلة بفرض تراجع سياسي على الحكومة الإسرائيلية، أو اللجوء إلى التهديد بالقنبلة السنووية، ولكن التدخل الأميركي المباشر سياسياً وعسكرياً حال دون

الخيارين. فقام بمد جسر جوي لدعم الموقف العسكري والمعنوي، وقد معلومات مسن خسلال الأقمسار السصناعية سمحت لأرييل شارون بدباباته بأن يفتح ثغرة الدفرسوار، وقد رفض السادات التعامل معها، بالرغم من إمكان ذلك، تحت حجة "أنسه لا يريد أن يحارب أميركا". فإذا كانت قيادة السادات للحرب قد تكشفت عن حرأة من حيث الإقدام عليها. ولكنها كانت في الآن نفسه مترددة بل متهالكة على وقف إطلاق النار بأسرع ما يمكن بعد الإنجاز الأول.

الأمر السذي سمر للجيش الإسرائيلي بأن يحتفظ بالديفرسوار وبأن يعود ليرضرب الخرق الذي أحدثه الجيش السوري في الجولان بموازاة الاختراق المصري حيث كانت حرب تشرين حرباً مصرية - سورية مشتركة، وبخطة واحدة وتوقيت واحد.

## حروب الهند الصينية

# أو لاً: فياتنام

شهدت فياتنام حربين في مرحلة الحرب الباردة: الأولى، كانت مع الفرنسيين وانستهت بانتصار فياتنام في معركة ديان بيان فو 1954 والتي قادها الجنرال نغوين حسياب. واتخذت شكل حرب نظامية تقليدية بين جيشين بعد أن تطورت المقاومة الفياتنامية إلى مستوى تأسيس جيش شعبي والانتقال إلى الهجوم العام.

ولكـن المعادلة الدولية السوفياتية – الأميركية فرضت على أن يكون سقف تلـك الحرب تحرير فياتنام الشمالية وتقسيم فياتنام إلى شمال ("شيوعي") وجنوب ضمن المعسكر الغربي متحولاً من النفوذ الفرنسي إلى النفوذ الأميركي.

بيد أن قيادة هوتشي منّه رفضت الاعتراف بشرعية تقسيم الأمة الفياتنامية واستمرت بالتحريض على ضرورة استعادة وحدتما مهما كلّف الثمن. وظل الأمر كيذلك إلى أن نضجت ظروف إطلاق المقاومة من جديد وبقرار فياتنامي مستقل عن الاتحاد السوفياتي والصين، وإن كانت الصين قد شجّعت على اتخاذ هذا القرار،

كما كانت منذ 1961 قد دخلت في مفاصلة كاملة مع الاتحاد السوفياتي مقرونة بحرب إيديولوجية وسياسية عملى مستوى المعسكر الاشتراكي كما على المستوى العالمي.

دامـــت الحرب الفياتنامية في الجنوب أساساً والشمال داعماً وتحت القصف الأميركي حوالى 12 سنة انتهت بانتصار فياتنامي حاسم في ميدان المعركة 1976. وقد ولّى الجيش الأميركي الإدبار، كما لم يحدث له يوماً من قبل.

استخدم الأميركسيون في هده الحرب أقصى ما توصل إليه تقدم الطيران والقنابل والسلاح التقليدي من تطور تقني، فكانت حرباً اجتمعت فيها تكتيكات مكافحة العصابات في الغابات والمدن والقرى إلى مواجهة حملات على مستوى تقابل جيوش في المعركة، فكانت معركة محدودة طويلة الأمد. والأهم طُبِّقت عليها مسن جانب الطرفين استراتيجية الحسم العسكري وتحقيق النصر النهائي، وقد جاء ذلك على عكس توقعات المنظرين العسكريين الذين راحوا يؤكدون أن استراتيجية الحسم العسكري والوفاق الدولي – الحرب الحسم العسكري لم تعد ممكنة في عصر الردع النووي والوفاق الدولي – الحرب الباردة.

ولكن لأن فياتنام قرّرت ألاّ تكرر تجربة 1954 في التعامل مع المعادلة الدولية، واستبقت قرارها المستقل بيدها بعيداً من تأثير الاتحاد السوفياتي وكانت الصين تشجعها على ذلك. وقد اعتبرت القرار الفياتنامي المستقل في مصلحتها - وهذا ما سمح لها بالحسم خارج المعادلات الدولية في حينه -. وبالمناسبة بعد التحرير في 1976 وبعد وفاة هوتشي منّه، تعزّزت العلاقات الفياتنامية - السوفياتية أكثر من العلاقات الفياتنامية - الصينية التي دخلت حالة برود إن لم يكن أكثر من ذلك كما تبيّن عندما غزت فياتنام كمبوديا وقضت على الخمير الحمر حلفاء الصين. فموضوع كمبوديا ولاوس وزعامة فياتنام للهند الصينية (فياتنام لاوس كمبوديا) كان السبب الرئيس وراء الحلاف الصيني - الفياتنامي فيما أيّد السوفيات غزو فياتنام لكمبوديا واستلحاق لاوس.

كان الطيران وكثافة النيران كما الدبابات والآليات والمدافع والصواريخ وسائط الاتصال والتقانة قد تطور بيد الأميركيين إلى مستويات عالية لا تقارن بما

الأسلحة التقليدية في الحرب العالمية الثانية أو الحرب الكورية أو حتى في عقدي الخمسينيات والستينيات، ومع ذلك استطاعت الحركة التكتيكية الأرضية الفياتنامية ومسع حسن التناغم بين النيران وتلك الحركة إلى عدم السماح بأن يحسم الطيران والتقنية والسدبابات المتطورة وكثافة النيران الحرب بالرغم مما تتمتّع به من تفوق هائل.

الأمر الذي أعاد الاعتبار مرة أخرى، كما دائماً، إلى دور الإنسان، والإبداع الإنساني في حل إشكالات مواجهة ذلك التفوق، وأحياناً من خلال أكثر الأساليب بدائية ولكن مع كسب الشعب والاعتماد على عدالة القضية وروح الاحتمال والصبر والتضحية والعمل الدؤوب.

الحسرب الفياتنامية لم تسمح بأن يقال إن السيطرة الجوية أو كثافة النيران أو الحركة الآلية والتقنية أصبحت العامل الحاسم في الحرب أو في المعركة.

والحــرب الفياتنامــية نقضت نظرية الحرب المحدودة في عصر الردع النووي وأكدت إمكان حسم المعركة والحرب بما يشبه الحسم النابليوني أو ما قال به فون كلاوزيفتز، وذلك بالرغم من رغبة السوفيات والأميركان والغرب عموماً.

والحرب الفياتنامية أكدت أن الذي يكسب الشعب يكسب الحرب والذي يحمل القضية العادلة والخط السياسي والفكري الصحيح في إدارة الحرب وفي التعامل مع تناقضات الداخل هو الذي يكسب الشعب ويوحد أوسع جبهة.

والحرب الفياتنامية أكدت على أهمية استقلال القرار بالرغم من سطوة النظرية السي كانست تقول لا مهرب من الرضوخ للمعادلة الدولية أو للوفاق الدولي في مسرحلة الحسرب الباردة أو الانقياد وراء قيادة أحدهما. بل أثبتت أيضاً أن خوض حسرب تفرضها أميركا على شعب صغير لا يعتبر جنوناً، وإنما ينطلق من عقلانية تؤدّي إلى إنسزال الهزيمة بأميركا.

طبعاً إن ذلك كله لا يعني أن من الممكن تطبيقه في كل مكان وزمان وبغض النظر عن خصوصية كل حرب وكل وضع وكل حالة إقليمية ودولية. فالمطلوب هنا ليس الانتقال إلى طرح موضوعات مقابلة لتلك الموضوعات التي زعزعتها تجربة فياتنام لتتعامل مع الحرب بالمنهجية نفسها.

# ثاتياً: حرب لاوس وكمبوديا

خاض الشعبان اللاوسي والكمبودي حربيّ تحرير ضد القوات الأميركية في أثـناء الحرب الفياتنامية الجنوبية. فقد أصبحت جبهة "الهند الصينية"، مرة أخرى، جبهة عريضة واسعة للحرب.

وعلى الرغم من خصوصية كل من فياتنام ولاوس وكمبوديا دولاً وشعوباً وأحسزاباً وقيادات إلا أن الحرب التحريرية ضد الأميركيين جمعت بينها، ومن دون أن يكون لها قيادة واحدة، أو التحول إلى جبهة متحدة. فكل مقاومة خاضت حربها بمعزل عن الأخرى، وضمن ظروفها الخاصة، بل قد تبيّن بعد الانتصار في كل من فياتنام ولاوس وكمبوديا أن ثمة تناقضات في ما بينها، ربما من نمط التناقض بين "الأخ الكبير"، و"الأخ الصغير". وهو ما دفع فياتنام بعد التحرير والوحدة أن تغزو كمبوديا وتحسم الأمر مع "الخمير الحمر". وهو ما جعلها تلجأ إلى التحالف مع الاتحاد السوفياتي بعد وفاة هوتشي منّه وغزو كمبوديا. ومن ثم الابتعاد عن الصين وربما إلى حدد التوتر بين "الحليفين" في الحرب الفياتنامية الجنوبية ضد الأميركيين. فقطار المساعدات من بكين إلى فياتنام الشمالية كان متصلاً على مدى 14 ساعة طوال الحرب.

المهم أن اعتماد كل من لاوس وكمبوديا لمبادئ حرب الغوار والتطور إلى مستوى حرب مناورات بالسرايا أو الكتائب كان السمة الغالبة عسكرياً لنمط الحربين المذكورتين. وقد تكلّلا بالنجاح نفسه الذي تكلّل فيه انتصار فياتنام الجنوبية. وبحذا شهد عام 1976 انتصار الأشقاء الثلاثة.

فالتحسربة العسكرية في هذه البلدان الثلاثة هي تجربة فريدة من حيث المرحلة الأعلى السيّ تطورت إليها حرب الغوار، وهو ما لم يحدث في عدد من حروب الغوار في تجارب أخرى استطاعت أن تنتصر. ففي التحربة الجزائرية بقي الاشتباك

على مستوى غواري. أما التشكل في جيش فقد كان خارج الحدود أو داخلها حسزئياً ولكن من دون الانتقال إلى مستوى الاشتباك الميداني المباشر مع الجيش الفرنسي، الأمر الذي أكد، للمرة الألف، أن لكل حرب خصوصيتها وفرادتها.

#### حرب الفوكلاند 1982

اندلعت حرب الفوكلاند بسبب احتلال الجزر المشكلة منها لا سيما جزيرة جورجيا وجزر ساندويتش من قبل الجيش الأرجنتيني والتي يعتبرها جزءاً من أراضيه فيما تعتبرها بريطانيا جزءاً من أملاكها وراء المحيطات. علماً أنها بالفعل تبعد آلاف الأميال عن الجزر البريطانية ومئات الأميال عن الأراضي الأرجنتينية.

وجاء الرد البريطاني سريعاً بشن الحرب، بداية، من خلال الأسطولين الجوي والبحري ثم النزول على الأرض لإعادة احتلال الجزر. ودامت الحرب، وبشكل ضروس وطاحن في البر والجو والبحر 74 يوماً، أسفرت عن قتل 255 جندياً بريطانياً، و649 أرجنتينياً.

والغريب أن الحرب اندلعت من دون إعلان من جانب الطرفين. وانتهت باستسلام الأرجنيين وانسسحابها منها. ولكن بعد عشرين عاماً أعلن الرئيس الأرجنتيني نستور كوشنير في 2003 أن بريطانيا "حققت نصراً استعمارياً"، وأقسم أن تعرد الجرز يروماً ما إلى الأرجنتين، ومن دون أن يتكرر استخدام القوة العسكرية.

الانتصار البريطاني عاد على بريطانيا بعدة فوائد منها محوه لآثار فشل العدوان الثلاثي المسمّى "حرب السويس" 1956. وقد عزز شعبية رئيسة الوزراء مرغريت تاتـــشر ومنحها فرصة النجاح الانتخابات 1983، وكانت الاستطلاعات قبل ذلك تشير إلى تدهور شعبيتها.

أمــا على مستوى الأرجنتين فقد أطاحت بالحكم العسكري الذي أراد أن يحقّق انتــصاراً باستعادة الجزر ليخرج من أزمة داخلية كانت تعصف به، وهو بالفعل حسّن من شعبيته عندما حقّق الجيش بعض الإنجازات العسكرية في أثناء الحرب.

اعتـــبرت حرب الفوكلاند من الناحية العسكرية بأنها أكبر اشتباك عسكري حـــوي - بحـــري بـــين دولتين "عصريتين" منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد

استخلص المؤرخ العسكري السير جون كيغان عدة دروس من بينها أنها أظهرت هسشاشة السفن الحربية السطحية وتفوق الغواصات والصواريخ المضادة التي تطلق من الغواصات أو الطائرات، واعتبر الغواصة أهم من الطائرة في حرب البحار وإن لم يتأكد هذا الرأي من خلال حرب بجرية أخرى ثانية.

هــــذا واستنتج كيغان أيضاً أن فاعلية الطيران كانت محدودة في أرض صخرية وعرة ساعدت على اختباء القوات.

حرب الفوكلاند، بسبب بعد مسرح العمليات عن أراضي الدولتين المتحاربتين، أظهرت أهمية اللوجستيقا على مستوى النقل البحري والجوي. هذا وأظهرت حرب الفوكلاند استخدام اللباس المصنع من النايلون بالنسبة إلى الجنود لخطورته في حالة الحريق والحرارة مع النصح باللباس القطني. وكشفت عن وجود نقص شديد في الإسعاف الميداني للجرحى في الجانبين، وبظروف مناخية شديدة القسوة.

إلى هـنا لا تكون حرب الفوكلاند قد جاءت بجديد فعلاً من حيث التكتيك العسكري أو مسرح العمليات، ولكنها كانت اختباراً للأسلحة الجديدة ولا سيما الصواريخ والطوافات (الهيلوكبتر) في اللوجستيقا وفي المعركة.

لقد برز في هذه الحرب أن للإعلام دوراً خطيراً، وذلك حين سُرِّبت إلى إذاعة BBC أخسبار فسشل الهجوم على "غوزغرين" وقد هدّد الكولونيل ه... جونز عقاضاة كسبار موظفي الإذاعة أمام المحاكم بتهمة الخيانة، ولكنه لم ينفّذ تحديده حيث قُتل في معركة غوزغرين الثانية.

وبالمناسبة تسريب الخبر جاء من قوى نافذة أرادت إضعاف رئيسة الوزراء مرغسريت تاتسشر. ولكنها الحقيقة. ولكان الإعلام قد أبرزها لو كان متواجداً في الميدان كما يحدث الآن.

هـــذا وحملت حرب الفوكلاند بعداً شديد الأهمية، عرف مؤخراً وإن أنكرته الحكومة البريطانية رسمياً. وهو إرسال غواصة تحمل قنابل نووية تكتيكية إلى مسرح العمليات لاستخدامها إذا اقتضت الضرورة، وهي قنابل بحجم 10 كيلو طن نووي إلى نــصف كــيلو طن، وهذه وتلك يمكنها ضرب أهداف تكتيكية مثلاً ضرب

مواقع، أو اختراق في العمق. وهنا أيضاً تحرك الرئيس الأرجنتيني نستور كوشنير في 2003 عسندما تسسرب الخبر بعد عشرين عاماً طالباً اعتذاراً بريطانياً: "لهذا العمل المؤسف والوحشى".

#### حرب غزو لبنان 1982

مـــثلت حـــرب غـــزو لبنان من قبل الجيش الإسرائيلي في 6 حزيران 1982 كـــسابقتها "حـــرب الليطاني" 1978 نموذجاً للحرب السريعة غير المتكافئة بصورة صارخة. والدليل السرعة (سرعة الدبابة) التي وصلت فيها الأولى إلى نمر الليطاني، والثانية إلى مشارف بيروت.

وحسدت حرب 1982 دور المعادلة الدولية في حروب مرحلة الحرب الباردة. ولكن حجم الدور ونسبته يجب أن يؤخذا بتفاوت من حالة لأخرى، وعلى تحديد طبيعة الطرف الأضعف وكيفية إدارته للصراع. وهذا التفاوت يمتد من موقف استقلالي يفرض نفسه على المعادلة الدولية (المثل الفياتنامي) وموقف متردد من نحوذج السادات إلى موقف وجد نفسه معزولاً سياسياً فذهب إلى المساومة قابلاً الخروج من بيروت شريطة اصطحاب أسلحته الخفيفة (مفاوضات ياسر عرفات مع المفاوض الأميركي فيليب حبيب 12 آب/أغسطس 1982).

أما من الناحية العسكرية فإن المواجهة التكتيكية الوحيدة ذات المغزى، وباعتراف العدو الصهيوني، فقد وقعت في قلعة الشقيف. ولكن إلى جانب ضرورة منا حصل من دفاع عن بيروت واستعصاء احتلالها بالرغم من قصف مكثف دام 57 يوماً.

تفاصيل معركة قلعة الشقيف التي كانت تحت قيادة كتيبة الجرمق (السرية الطلابية سابقاً) من حركة فتح، وردت في فصل من كتاب الهجوم المفاجئ: السخربات المصاعقة لنخبة القوات العالمية كتبه المؤرخ العسكري البريطاني بيتر دارمن. وقد هدف إلى إبراز "لواء جولاني" في الجيش الإسرائيلي ليدرجه بسبب تغلبه على المقاومة في معركة قلعة الشقيف، من بين نخبة قوات الصاعقة العالمية. وذلك بعد أن أغمض عينيه عن كونه يتحدث عن معركة غير متكافئة، بصورة صارخة من الناحية العسكرية.

يــروى كيف بدأت المعركة بقصف جوي كثيف مركز للطيران الإسرائيلي علـــى بقعة لا تتعدّى ملعب كرة قدم. ومع ذلك فشل بإزاحة المقاتلين من القلعة. ويرجع ذلك إلى الناحية المعنوية أولاً وإلى حسن الخندقة والتحصين وحفر الأنفاق والتمويه ثانياً. وهو جهد بشري بدائى دام شهوراً أو سنوات.

بدأ الهجوم الأول في حسبانه أن القصف ألهك الدفاع وهيأه للسقوط أمام زحمف كتيمبة بوكين هارشونيم المدرعة المؤللة من لواء جولاني. ولكن المفاجأة كانمت بوابل الرصاص الذي أربك سائقي الآليات وأوقع عدة إصابات عندئذ بدأ التراجع وخرج قائد الحملة من الميدان بسبب رضوض أصيب بها.

أعيد تنظيم المهاجمين، ومدوا بقوات جديدة، وعُيِّن الميجور جيورا هيرنك المشهور بـ "كومني" لتولي القيادة. وقد اختير بسبب سمعته وثقة القوات بقيادته. في شنّ الهجوم الثاني بعد تجدد قصف الطيران على القلعة. وكاد "كومني" أن يموت بعد أن فقد سائق ملالته السيطرة عليها. فأصيب من كانوا فيها بجراح طفيفة، وعان "كومني" من ألم شديد بسبب الصدمة في الظهر. ولكنه ركض 700 متر ليلحق بالعناصر المتقدمة. فأعاد تنظيم رجاله وقرّر مهاجمة القلعة بالأقدام تاركاً لدبابة تغطيته.

وفي داخــل القلعــة دار قتال شرس دام ربما من الحادية عشرة ليلاً إلى طلوع الفجــر. ونقــل عــن أحد الضباط الذين شاركوا قوله: "رحنا نمطرهم بالقذائف المــصاروخية المــضادة للــدبابات والمتفجرات والقنابل اليدوية. ولكنهم استمروا فهاجمناهم مرة ثانية بقوتنا المتوفرة وبوابل جديد من الصواريخ والمتفجرات والقنابل المـيدوية "حتى أمكن إسكات نيران العدو". وفي إحدى الجولات أصيب "كومني" ومــات علــى الفــور. فكانت خسارة كبيرة ولكن عدنا إلى تنظيم أنفسنا لجولة أخرى.

هذه التحربة المحدودة، وربما الفريدة في تلك الحرب تؤكد كم يستطيع موقع تم تحصينه حميداً ولو بإمكانات بدائية أن يصمد تحت القصف، وهو معزول عن الإمداد، وأن يكلف العدو من الخسائر ما لا يطيق لو أصبح هذا الجزء معمماً وفي كل المواقع.

#### الحرب العراقية - الإيرانية

هـــذه الحرب تختلف عن الحروب الأخرى التي عرفتها مرحلة الحرب الباردة من خلال طرفيها اللذين ينتميان إلى دول العالم الثالث فضلاً عن كونهما إسلاميين وجـــارين وبين مكوناتهما الداخلية عرى وثقى مذهبية وقومية وتاريخية. وكان من الواضـــح منذ اليوم الأول أن الحسم غير ممكن في هذه الحرب، وبأنها ستكون حرباً عــدودة، وطويلة الأمد، واستنــزافية، بصورة راعبة، للبشر والأموال والمعدات، فضلاً عما ستورثه من أحقاد وعداوات.

يقسد ر أن عدد القتلى من الطرفين في هذه الحرب يدور حول مليون ونصف المليون والجرحى أكثر من ذلك، فضلاً عن 80 ألف أسير. أما الخسائر المادية والمالية فيصعب تحديدها (الأرقام المعلنة غير دقيقة عموماً).

دامت الحرب ثماني سنوات. وقد ابتدأت عام 1980 بشن هجوم عراقي واسع احـــتل في نماية عام 1980 ميناء خورمشهر، ثم أعقبته هجمات وارتدادات متبادلة وصـــلت أيضاً إلى قصف كل منهما لعاصمة بلد الآخر عام 1985. وكان العراق أوائـــل 1982 قد انسحب من معظم الأراضي التي تمكّن من احتلالها مع اندفاعته الأولى، وقـــد احتل الإيرانيون في شباط/فبراير 1984 منطقة آبار مجنون وفي 1986 منطقة الفاو.

لقد استخدمت في هذه الحرب التكتيكات العسكرية التقليدية وفي مقدمتها التناغم بسين النيران والحركة إلى جانب الجمع بين تكتيكات شبيهة بتكتيكات الحسربين العالميتين الثانية والأولى كما حرب الشعب من الجانب الإيراني الذي جمع بسين قسوات الجيش النظامي الموروث من عهد الشاه وقوات الحرس الثوري ذات الطابع الشعبي، يما في ذلك استخدام أسلوب الهجوم بالموجات البشرية.

جاء أغلب التسلح الإيراني في أثناء الحرب من الصين وكوريا الشمالية كما من سوق السلاح الدولي من خلال طرف ثالث (بعلم الدول الكبرى المعنية). أما العراق فتسليحه من حيث الأساس كان من خلال الاتحاد السوفياتي، كما من خلال سوق صفقات السلاح الدولي وعبر طرف ثالث دائماً. ويذكر أن الموقف العربي انقسم إزاء هذه الحرب، فسورية وليبيا دعمتا إيران فيما بقية الدول العربية عموماً دعمت العراق.

كان الموقف الدولي، كما عبّر عن نفسه من خلال تمرير السلاح للطرفين قد تبنّى سياسة تسشبه شعار "فخار يكسر بعضه" بحيث يبقى التوازن في الميدان العسسكري في حدود بعيدة من نتيجة تصل إلى حد انتصار أحدهما وهزيمة الآخر. وبرز هذا الموقف أكثر بعد أن أخذت إيران تتهيأ لحسم الحرب. ففي 1987، وبعد الإعسلان بأن القسوات الإيرانية أخذت تتعرّض لناقلات النفط الكويتية في مياه الخليج، أخذ كل من أميركا والاتحاد السوفياتي بالتدخل العلني في الحرب ضد إيران مسن خلال الإعلان عن حماية الناقلات النفطية الكويتية في الحليج ومحاصرة سوق التسلح الإيراني.

وكان أخطر حدث في هذه المرحلة إسقاط البحرية الأميركية في الخليج لطائرة ركاب إيرانية في 3 تموز/يوليو 1988 وعلى متنها 290 راكباً مدنياً، وكان في ذلك إنذار لإيران بالتدخل العسكري المباشر إن لم توافق على وقف الحرب.

وهكسذا في تموز/يوليو 1988 فُرض على إيران، وبضغوط لم يكشف عنها، بقبول وقف إطلاق النار استجابة لقرار صادر عن مجلس الأمن. وكان مجلس الأمن في 1987 قد اصدر قراراً مماثلاً ورفض.

وبالفعل تم التقيد هذه المرة بوقف إطلاق النار من الجانبين وأعلن أن العراق خسرج من الحرب ولديه مليون جندي تحت السلاح وخمسمائة طائرة حربية و 5.500 دبابة.

وراح العسراق يتعرّض من قبل أميركا، بعد سنة من وقف إطلاق النار لضغط اقتصادي وسياسي لا هوادة فيهما. وذلك للعودة بالجيش إلى ما كان عليه قبل الحسرب مسن حيث العديد والقدرات العسكرية. وكان لهذا علاقة، طبعاً، بتوازن القوى المقرر مع الجيش الصهيوني وهو ما ولّد أزمة وصلت إلى حد احتلال العراق للكويت في 1990. وما ترتّب على ذلك من شن حرب دولية عليه عرفت باسم حرب الخليج الثانية 1991.

وفي أثناء احتلال العراق للكويت وفي ظروف الاعداد الأميركي والعالمي لشن حرب عليه لسحب قوته من الكويت، عقد العراق اتفاقاً بينه وبين إيران بإعادة ما بقسي بحوزته من أراض في شط العرب تنفيذاً للاتفاقية العراقية – الإيرانية لعام 1975.

وأطلق الطرفان أعداداً من الأسرى لدى كل منهما، وأعيدت العلاقات الديبلوماسية.

خلاصة، لقد انتهت الحرب بين العراق وإيران "بلا منتصر ومهزوم". وقد لعبت الستدخلات الدولية الهائلة دوراً حاسماً في تسعيرها وفي وقفها، وذلك بعد أن استنفدت أغراضها من وجهة نظر الدول الكبرى وأصبح من الضروري وقفها، ولكن عن غير رضا كل من إيران والعراق. مما أبقى الجمر تحت الرماد. فالنظام الدولي الذي ساد في ثمانينسيات القرن العشرين لم يكن ليسمح في منطقتنا العربية الإسلامية بحسم الحرب لأسباب إسرائيلية أولاً لأن الحسم سيحدث خللاً هائلاً في ميزان القوى يؤثر في الستفوق الإسرائيلي، المتفق عليه أميركياً وسوفياتياً وأوروبياً، كما يؤثر ثانياً في المعادلة العربية الإسلامية والنفوذ الدولي ومعادلات النفط. فقد استطاعت الدولتان الكبريان وحلفاؤهما من خلال السيطرة الشديدة، وإن لم تكن الكاملة، على سوق السلاح، من أن تحافظا على ميزان القوى بحيث يمضي الطرفان باستنزاف بعضهما من دون أن يترك لأحدهما، ولا سيما لإيران، فرصة قلب ذلك التوازن.

### التطور العسكري في الحرب العراقية - الإيرانية

إذا وضعنا جانباً كل السلبيات السياسية والإنسانية والاقتصادية التي حملتها الحرب العراقية - الإيرانية، وإذا وضعنا جانباً الدور البشع الذي لعبته سياسات الحدول الكبرى بهذه الحرب والتحكم في طريقة إنحائها، فسنجد نتيجة إيجابية غير محسوبة نجمت عنها. وهي أن كلا الطرفين: العراق وإيران خرجا من الناحية العسسكرية والعلمية والتقنية والإدارية أقوى مما كانا عليه قبل الحرب. وهذا من السنن، لأن ما يتحقّق من نهوض عسكري وعلمي وتقني وإنتاجي وتعبوي في أثناء الحرب، أو الإعداد الجدي لها، يفوق ما يحدث في عهود السلم أضعافاً، وهو ما عرفته جيداً الدول الكبرى في تجاربها (حربان عالميتان وحروب محدودة متعددة) من تطوير لقدراتها العسكرية العلمية والتقنية واللوجستيقية والإدارية والتعبوية في أثناء الحرب. وهو ما لا يتحقق مثله في المراحل السلمية العادية.

فالحسروب، في الغالب، تضاعف قوى المنخرطين فيها بغض النظر عما يحدث مسن دمار وما يقدّم من تضحيات في الأرواح والأموال. فالنشاط المدني والعلمي

والتقني والتطويري في يوم واحد من أيام الحرب أو أيام الإعداد الجدي لها يضاهي أسابيع وشهوراً من النشاط في عهود السلم والاسترخاء.

هذه حقيقة، بالرغم من مقتنا وكرهنا للحرب.

وبالمناسبة إن أهم المنجزات والتطويرات التقنية التي تغنى بها العالم بعد انتهاء الحسرب السباردة، وذلك مسن الكمبيوتر والبرامج والإنترنت وأجهزة الاتصال والسشرائح الدقيقة وأمثالها كلها تطوّرت في حضن المؤسسة العسكرية، وبإشراف مباشسر من قبل هيئات الأركان. أما ما يفرج عنه للاستعمال المدني فيكون متخلفاً عشر سنوات في الأقل عن الجيل الجديد الذي وضع في خدمة الجيش.

وهذا هو تاريخ كل تطور علمي وتقني وصناعي وإنتاجي عرفته أو ولدته الحداثة الغربية. فالغرب بقي في حالة حرب أو في حرب منذ القرن السادس عشر حتى اليوم. فمن يقرأ تاريخ ما شهده العالم من تطورات علمية وتقنية خلال القرون الخمسة الماضية ولا يربطها بدور المؤسسة العسكرية فيها (الحروب) يكون قد أسقط عاملاً أساسياً لا يمكن نكرانه. وهذا العامل سار جنباً إلى جنب مع عامل الاستعمار والسنهب العالمي للثروات لآسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية في تطوير حضارة الحداثة الغربية. وهذا العامل الأخير (الاستعمار والنهب العالمي) كان يوفر الفائض المطلوب لإحداث كل تلك التطورات.

# القسم الثاني مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة 1991 - 2008

- 1 -

# نظرية "الثورة في الشؤون العسكرية M.R.A

مع كل تطور تقني (تكنولوجي) في تطوير السلاح أو اكتشاف سلاح جديد أو في تعظيم السرعة والنقل كانت تحدث هزة في عالم التكتيك والعمليات. وفي كلم مسرة كانت تخرج نظريات تتحدّث عن تفوق الهجوم على الدفاع أو تفوق الدفاع على المجوم، أو عن إبطال سلاح معين أو تكتيك معين كانت تحدث هزة عالم التكتيك والعمليات.

ولكن لم يحدث قط ما حدث في السبع عشرة سنة الماضية من بروز نظريات تنسسف أسس علم الحرب، وتتخطّى كل قواعده، لحساب التقنية والتطورات في عسالم الحاسوب (الكمبيوتر) و"الرقميات"، والشاشة البلازمية، وعالم الاتصالات، والشرائح، وما سُمِّي بالأسلحة الذكية أو القنابل الذكية، والطائرة الشبح، والطائرة بسلا طيار، والصاروخ الذي لا يخطئ هدفه بما في ذلك الدخول من النافذة وتحديد مسدى الانفجار. وبهذا غاب الإنسان ودوره على الجبهتين، وأهمل فون كلاوزيفتز ولسيدل هسارت وماوتسسي تونغ ودروس السوفيات في الحرب العالمية الثانية، أو دروس حروب التحرير الشعبية.

فقد أصبح السلاح الحابيث (الطائرة والصاروخ) والشاشات وكثافة السنيران، عسوامل الحسم في الحرب والمعركة. ولهذا يمكن تسمية أصحاب هذا الاتجاه بـ "عَبَدة التكنولوجيا".

وسنزى بعد قليل، وعبر التجربة، كيف أدّى ذلك بهم إلى هزائم وإخفاقات وربما كوارث.

وبالمناسبة حدث مثل هذا في عالم الاقتصاد خلال الفترة نفسها حيث جاءت مسرحلة العسولمة التي صاحبت هجمة تكنولوجيا التلفزيون والإنترنت والحاسوب والسبرابحيات لتغسيب الأسس التي قام عليها الاقتصاد الحديث، ودعك من القديم. وليغسيب، من ثم، آدم سميث، وجون ستيوارت مل، وريكاردو، وكارل ماركس، وليسنين، وكينزي. وبدأت تسود نظريات اقتصاد الإنترنت و"اقتصاد المعرفة"، و"اقتصاد المضاربات بالبورصة والعملة"، فأصبح الاقتصاد المالي - الورقي الذي لا غطاء له في الاقتصاد الواقعي هو هدف الاقتصاد. وأصبح من السخافة الحديث عن الإنتاج الزراعي والصناعي، والتطوير المهني، والاقتصاد المستقل أو اقتصاد الاكتفاء السنداتي. فأصبح المضارب بالبورصة أفضل من رجل الصناعة أو المزارع، وهذا ما حسل شركة أندرسون للتدقيق الحسابي تتحوّل إلى خبير في تزوير الموازنات من أحسل التلاعب بأسعار الأسهم في البورصة ولعبة المضاربات وذلك بدلاً من تدقيق الحوازنات.

ولكن من يتابع ما حدث في الهيار النمور الآسيوية ثم في الهيار البورصة في أميركا في مطلع القرن الحادي والعشرين، ثم ما يحدث الآن (2008) من أزمة عالمية بسبب الهنيار الرهونات العقارية وقد راحت تتضخّم مثل كرة الثلج، والأهم ما يحدث الآن للاقتصاد الأميركي وللدولار ولأسعار النفط والمواد الغذائية يتحقّق بأن نظريات "عَبَدة التكنولوجيا" في الاقتصاد لن تصمد أمام اختبار الحياة القاسي.

على أن اختبار الحياة أشد قسوة عندما نأتي إلى الحرب، لأن خسارة الحرب ليست مثل خسارة في البورصة أو حدوث ركود في الاقتصاد.

إن كـــلاً من التقنية وتطور السلاح والنيران والسرعة والدقة والاتصالات عنصر مــن عناصــر ســنن الحرب أو أسس الحرب، ولا يمكن له أن يحل محل كل العناصر الأخرى، ومن يعاملها باعتبارها فوق العناصر الأخرى فعقابُه في الميدان شديد.

ولعـــل أول من دفع ثمن هذا الطيش بالتخلي عن القواعد الأساسية في وضع الاستراتيجية كان المحافظون الجدد، وذلك بتلاعبهم بأوليات الاستراتيجية الأميركية

وتحويل الحرب إلى جبهات ثانوية، وفقدان التركيز على احتواء الدول الكبرى أو السدول المنافسة والمتحولة إلى كبرى عسكرياً واقتصادياً وتقنياً. فما معنى اعتبار "الإرهاب" أخطر على أميركا من الدول التي تمتلك القدرات النووية والصاروخية أو تلك الستي راحت تسيطر على الأسواق العالمية ببضائعها (وليس بمضاربات البورصة). أين يصرف هذا في علم الحرب؛ أو في تحديد أولويات الاستراتيجية.

والمثال الآخر على العقاب الذي ينزل بمن يتجاهل أسس علم الحرب أو قواعدها أو القاعدة الذهبية في التكتيك (التناغم بين النيران والحركة) نجده لدى الجنرالات الإسرائيليين وفي مقدمتهم الجنرال حالوتس قائد الجيش في حرب تموز/يوليو 2006 في لبنان. وقد شكّلوا خلال الخمسة عشر عاماً الماضية نموذجاً لعَبَدة التكنولوجيا العسكرية حيث راحوا يركّزون على الطيران والقذائف الذكية وقوة السنيران على حساب القوات البرية والدبابات وبناء الضابط والجسندي مثلاً. وقد أدّى هذا النهج إلى سلسلة من الأخطاء العسكرية البدهية في الاسستراتيجية والعمليات والتكتيك، وحتى في حق تقاليد الجيش الإسرائيلي نفسه.

يمكن للمرء أن يستأكد من كل ما تقدم عند قراءة المؤرخين العسكريين الإسسرائيليين الذين قوموا حرب تموز/يوليو 2006 على لبنان. ناهيك عما تضمّنه تقرير فينوغراد، وكان الثمن استقالة مجموعة من الجنرالات وزعزعة ثقة المجتمع الصهيوني بجيشه الذي يشكّل العمود الفقري للمجتمع والدولة وأساس بنيانهما.

إن الوقــوع بأسر ما سمِّي بمقولات "الثورة في الشؤون العسكرية" (R.M.A) كــان واحــداً من الأسباب الرئيسة لفشل خطة الحرب الإسرائيلية على لبنان في تموز/يوليو 2006 كما كان واحداً من أسباب فشل الاحتلال الأميركي كما خطط له المحافظون الجدد في العراق.

الإشكال السذي أخسذت تثيره التطورات التقنية على السلاح والوسائط والسرعة والاتصالات واللوجستيقا هو كيف تتواءم هذه التطورات مع أسس علم الحرب وليس كيف تنفصل بذاتها وتصبح العامل الوحيد أو الأهم من بين العوامل الأحرى التي تقرّر مصير الحروب.

وهـــذا ما يجب أن ينطبق أيضاً، على الميادين الأخرى مثل السياسة والإعلام والتعلـــيم والاقتصاد أي كيف تبنى التطورات الجديدة على الأسس، وليس كيف تلغـــى تلـــك الأســس فــتحل المتغيرات الجديدة مكافا، وبالدرجة الأولى مكان الإنسان.

### الحرب وسط الشعب

أما الإشكال المعاصر الثاني الذي أخذ يبرز في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب السباردة، وعلى ضوء إلحاح تجارب السبع عشرة سنة الماضية فيتعلق، بالنسبة إلى أميركا وحلف السناتو بالدرجة الأولى، في كيفية إقامة التوازن بين بناء الجيش (نظريته، استراتيجيته، تشكيلاته، تدريباته، أسلحته) وما يواجهه من تحديات من حروب المقاومة الشعبية. وهو ما أسماه روبرت سميث "الحرب وسط الشعب" في كتابه "THE UTILITY OF FORCE" "جدوى استخدام القوة".

تعالىت أصوات كثيرة من داخل الجيش الأميركي نفسه، كما من بين ضباط حيوش السناتو تدعو إلى المواءمة بين "بناء الجيش"، وما يقوم به من مهمات من أمثلتها: في أفغانستان، والعراق، ولبنان، وفلسطين. وذلك لأن جيوش "الدول السصناعية" (وفقاً لمصطلح حديث)، بنيت على أساس مواجهة "جيوش دول صناعية" أو حرب بين جيوش ودول متكافئة (تقريباً دائماً). أما النموذج فالحربان العالميتان الأولى والثانية، وعلى الخصوص الثانية. وكانت الجيوش المقصودة في مرحلة الحرب الباردة هي الجيش السوفياتي وجيوش حلف وارسو في مقابل جيوش حلف الناتو.

ولكن المشكل كما يثير كثيرون اليوم أن الحرب لم تقع وفقاً لهذا النموذج ولا يقدر لها أن تقع في المستقبل مع قوانين استمرارية الردع النووي. فالحروب الجديدة هي حرب هي حروب بلا ميدان عسكري، ولا معركة من النمط المذكور وإنما هي حرب ضد قوى صغيرة، وأفراد يخرجون من وسط الناس. ولا يمكن أن تميزهم عن بقية السناس إلا عسندما تراهم يطلقون النار، أو ترى آثارهم لغماً ينفحر من تحتك أو حسماً عادياً يتفجر من جانبك.

هــذه الإشكالية التي تذهب إلى التفريق بين النموذجين للحرب كانت قائمة دائماً منذ الغزو الاستعماري، بل راجهها نابليون في إسبانيا. وقد كتبت حولها في الخمــسين سنة الماضية عشرات الدراسات وأكثر تحت عنوان "حرب مكافحة التمــرد" أو "الحــرب المضادة للتمرد". ولهذا، فإن جيشاً كجيش بريطانيا، على الخــصوص، وبسبب كثرة مستعمراتها ومحدودية سكانها وحجمها وما واجهته من ثورات وحروب غوار عالج الإشكال المذكور، في السابق، بالمرونة الفائقة في التغيير وفقاً لنموذج الحرب الذي يُواجهه. أما، عموماً، فكانت الجيوش الاستعمارية أو الغازيــة تقــوم بفـرز فرق من داخلها لمواجهة هذه الحالات فيصار إلى تسليحها وتشكيلها وتدريبها بما يتناسب وهذه المهمات.

أمسا روبرت سميث وغيره، ممن لم يصلوا إلى مستواه من حيث شمولية التنظير، فيذهبون إلى إعادة النظر بكامل بنية الجيش واستراتيجية تسليحه وتشكيله وليس محرد فرز فرقة أو أكثر للقيام هذه المهمة. والحجة الأساسية هنا هي إسقاط احتمالية الحرب في ما بين "الدول الصناعية". ومن ثم تحول مهمات الجيش لمواجهة تحديات يعددها روبرت سميث ب: الإرهاب، انتشار السلاح النووي، حماية البيئة، وحماية توفير بعض المصادر مثل الطاقة والماء، أو قوات حفظ السلام، وقوات فض نصراعات، وضبط الحركة الشعبية في منطقة ما. طبعاً يقصد بالدرجة الأولى المقاومة من النمط الأفغاني والعراقي واللبناني والفلسطيني.

وبالمناسبة روبرت سميث حنرال بريطاني تقاعد عام 2005. وشارك مباشرة في مسواجهات عسكرية، أو حروب، مسارحها كانت في إيرلندا والبوسنة والهرسك وكوسسوفو، والحرب ضد صربيا 1999، وحرب الخليج الثانية ضد العراق 1991، وفي حرب أفغانستان 2001، وحرب العراق 2003.

نمسط "الحسرب وسسط الشعب" كما يقدمه الجنرال سميث يختلف عن نمط الحسروب التقلسيدية بسين الجسيوش الصناعية، حيث تنفرد هيئة الأركان بتنفيذ الاسستراتيجية العسكرية بمجرد اتخاذ قرار الحرب من القيادة السياسية، فتكون لها الاستقلالية الكاملة في مسرح الحرب بهدف تحقيق النصر الحاسم، ثم تسلمه للقيادة السياسية لاستثماره وتحويله إلى مكاسب سياسية.

أما "الحرب وسط الشعب" فمسرحها المدن والقرى حيث يختلط العدو داخل صفوف السعب، مما يقضي الفرز المستمر بين السكان والعدو للقضاء عليه. فالسكان ليسوا هم العدو<sup>(1)</sup>.

هذه المعادلية (الحرب وسط الشعب) تدمج السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والتقني بكل لحظة، ويوم، ومعركة وعلى طول مسرح الحرب وعرضه ومن البداية حتى النهاية. فالقيادة العسكرية لا تستطيع التصرف باستقلالية إلا في الحدود التي يكتشف فيها العدو ويصار إلى مهاجمته. ولكن عملية عزل العدو عن الشعب، بل كسب الشعب، أو تحييده، تدخل فيها كل جوانب المواجهة الستي تشمل ميادين السياسة والإعلام والاقتصاد والثقافة والتقاليد.

ومن هنا يرى أن نمط الحرب التقليدية بين دولتين وجيشين لم يعد هو النمط السسائد أو الأساسي للحرب في القرن الواحد والعشرين، أو في الأدق منذ انتهاء الحرب الباردة. مما يتطلب أن يعاد النظر في تنظيم الجيش وعمله القيادي وتدريب ضباطه وجنوده ليتأقلموا مع نموذج "الحرب وسط الشعب".

ويلحظ الكتّاب إيفان توماس وجون باري وباباك دينغابيشه ولاري كابلو في مقال مسترك في "نيوزويك" الأميركية (2004/4/1) بأن ثمة انقساماً بين جالين من السضباط الأميركسيين حول طبيعة الحرب التي يتوجب الإعداد والتخطيط لها: الجيل الأكبر سناً يقف مع نمط الحرب التقليدية. أما الجيل الثاني الأصغر وهؤلاء ممن قاتلوا في أفغانستان والعراق فيركزون على حرب بهدف كسب العقول والقلوب (رأى سميث عملياً). والفرق بين وجهتي النظر ليس بسيطاً كما قد يتراءى في الوهلة الأولى، لأن كلاً منهما لها طريق في تجهيز القوات وتسليحها وتشكيلها وإعدادها وعديدها.

<sup>(1)</sup> هذا القانون تخالفه النظرية الإسرائيلية في "الحرب العملانية" Operational Warfare. إذ كما يوضحها الجنسرال أفيف كوخافي إذ لا يفرق بين العدو والمدنيين فالشعب الفلسطيني كله العدو. "العسكرية الإسرائيلية تستخدم ما بعد البنيوية كنظرية عمليانية" بقلم إيال وايزمن، وهو ما يسمى "الهندسة المعكوسة" - المرور من خلال اختراق جدران البيوت، وليس عبر الشوارع والأزقة.

وكان دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي، في حربي أفغانستان والعراق 2001، 2003 على التتالي، اعتمد على رأي من قالوا بحلول التقانة - التكنولوجيا: الأقمار الصناعية والكومبيوترات وأجهزة الرصد الرقمية محل الجيوش الكبيرة. ولكن ما إن وضعت الحرب أوزارها حتى تبيّن أن الحرب لم تكسب مع الاحتلال، وإذا بالمقاومة تندلع والقتال يُستأنف. ثم سرعان ما تبيّن للأميركيين استحالة كسب الحرب بالرغم من تفوق التقنية العسكرية وتطورها. وهنا بدأ البحث عن الخبرات والسدروس المستفادة من حروب "مكافحة التمرد". ونقل عن العقيد بول بينغلينغ مقالة عنوانه "إخفاق قيادة الجنرالات" معتبراً أن الجنرالات يطبقون تقاليد بالية في مركز الحسرب. ولهذا أقام الجيش الأميركي 12 بحسداً لقرى وأحياء عراقية في مركز تسدريب في فورث أروين من أحل تدريب حيل من الجنود والضباط لمواجهة هذا السنمط من الحسرب السذي عرفته التحربة الأميركية في أفغانستان والعراق بعد احتلالهما.

ركّز العقيد بول بينغلينغ في مقالته لمحلة "أرمد فورستر جورنال" (محلة القوات المسلحة) الأميركية، في عدد شهر أيار/مايو 2007، على نقد الجنرالات الأميركيين في إخفاقهم للإعداد للحروب المقبلة، وفي تدريب جنودهم لمواجهة التحديات التي تفرضها الحرب الجديدة. فقد اقتصرت استراتيجية الجيش على استعمال أسلحة الستقانة العالية المتطورة من النوع الثقيل، والمهيأة للحروب التقليدية وبقيت مناهج الجيش كما كانت في الحرب الباردة.

وبعيداً من جملة من الأخطاء السياسية التي ارتكبت في العراق إلا أن جوهر النقد من الناحية العسكرية يلتقي مع رأي روبرت سميث من دون أن يكون قد قرأه وذلك في إعادة بناء الجيش ليتناسب مع حروب من نمط مواجهة المقاومة في العراق وأفغانستان.

هـــذا يعـــني أن الـــتفكير الاستراتيجي الجديد سيواجه إشكالية بناء الجيش (نظــريته، اســـتراتيجيته، تشكيلاته، تدريباته، أسلحته) لمواجهة حروب المقاومة الشعبية، أو ما أسماه سميث "الحرب وسط الشعب".

# "النظرية العملانية": "الهندسة المعكوسة"

أوضح الكاتب الإسرائيلي إيال وايزمن EYAL WEIZMAN في مقالة تحت عسنوان "العسسكرية الإسسرائيلية" تستخدم "ما فوق البنيوية" باعتبارها "نظرية عمليانية". ما هو المقصود "بالهندسة المعكوسة" التي يتحدث عنها الجنرال عفيف كوخافي (42 سنة) الذي قاد عملية اقتحام نابلس في نيسان/أبريل 2002.

إذا كانت الهندسة صممت لبناء البيوت والعمارات، وإذا كانت هندسة المدن تعين هندسة الطرق والأزقة فإن "الهندسة المعكوسة" تدرس كيف تهدم الجدران وتخترقها، وكيف يستبدل استخدام الطرق والأزقة والدخول والخروج من الأبواب بفيتح طرق بديلة عبر اختراق الجدران الداخلية للبيوت والأبنية، أي "أنفاق" لكن مسن داخل البنايات. فتلميذ كلية الهندسة المعمارية يدرس كم يحتاج من الاسمنت والحديد وبأية سماكة يبني جدران الغرف، أما تلميذ الهندسة المعكوسة فيدرس كم يحتاج من المتفحرات ليفتح ثغرة في الجدار. وهكذا...

هــذا بالطبع يتطلب تغيير النظر إلى المدن وسكانها بحيث تُرى مشكلة مكانية أو ســاحة حــرب على القائد العسكري أن يعالجها وليست مشكلة عمرانية أو انسانية أو سكنية. ويضرب الجنرال كوخافي مثلاً على المقصود فيقول: "مثلاً هذا المكان الذي تنظر إليه وهذه الغرفة ليسا إلاّ تصوراتك. فالمشكل كيف تفسر الممر أو الــزقاق مــثلاً. فــنحن نفسره باعتباره مكاناً يُمنع المرور منه، والنافذة ممنوع الإطلال منها والباب يحظر الخروج منه ولهذا نفتح ما يعترضنا من حدران خارجية وداخلية". وهذه هي "النظرية العملانية" في المدن.

وقد فتح الجنرال المتقاعد شيمون نافي SHIMON NAVEH "مركز الدراسات النظرية العملانية". وتعتمد هذه المدرسة على كتابات فيليكس غوتاري FÉLIX النظرية العملانية". وتعتمد هذه المدرسة على كتابات فيليكس غوتاري GUATTARI وغي ديبورد GUATTARI وغي ديبورد المندسية. وهـؤلاء يبحـثون بمندسة المدن بصورة معاكسة لما تفعله الأكاديميات الهندسية. فالعسكريون الإسرائيليون يعتبرون حرب المدن هي "لهاية الاشتباك ما بعد حداثي". هنا يصبح المدنيون مقاتلين والمقاتلون مدنيين فالكل في المعركة سواء لأن كل شيء يمكن أن يكون هو وضده في آن، أو ينقلب في لحظة إلى ضده.

وهـــذا بالطبع كما يقول إيال وايزمن غير صحيح وإنما هو تسويغ لعدم فرز المقاتلين عن المدنيين.

وهــذا بالطبع مناقض لكل نظرية روبرت سميث أو كل نظريات "حروب مكافحة التمرد" الاستعمارية، لأنها تستهدف فرز المقاتلين عن المدنيين وكسب الأخيرين أو تحييدهم. ولهــذا لا يمكن لعقل أن ينتج نظرية من النمط الذي يتبــنّاه عفسيف كــوخافي وشيمون نافي "عسكريو ما بعد الحداثة" غير العقل الصهيوني الذي يعتبر كل المدنيين الفلسطينيين أعداءه حتى الذين يتعاملون معه أو يتــنازلون لــه عن كثير من حقوقهم ما داموا باقين على أرض فلسطين و لم يرحلوا.

"النظرية العملانية" تفتح طريقها من بين جدران الأبنية ومن ثم تقتحم على سكان المدينة بيوهم، فيفاجأون بالجيش يهدم الحائط أو يفتح ثغرة كبيرة فيه في الغرفة السي يجلسون فيها، ثم يصار إلى تجميعهم في غرفة تغلق عليهم بلا ماء ولا أكل ولا إمكان لقضاء الحاجة. وذلك لبضعة أيام إلى أن تنتهي العملية فيفتح لهم في أثناء الانسحاب.

ومن هنا تقوم النظرية في أساسها ضد السكان وليس ضد الهدف المحدّد الذي يأتي دوره في نهاية المطاف.

هـــذه النظرية من بنات أفكار هندسية، وعسكرية، وفلسفية، ما بعد حداثية، تجــد سندها في نظرية "الثورة في الشؤون العسكرية" أي النظريات التي ولدت ما بعد انتهاء الحرب الباردة ولا سيما مع مجيء المحافظين الجدد (الصهاينة حتى العظم) إلى قيادة الإدارة الأميركية في عهدي جورج دبليو بوش.

على أن "النظرية العملانية" (الهندسة المعكوسة) لا تستحق أن تدخل في العلم العسكري فهي غير قابلة للتعميم وغير قادرة على مواجهة امتحان حروب المقاومية المدعومة من الشعب فهي تسهم في استعداء الناس والتفافهم حول المقاومية، وبحسذا ترتد على نفسها بالهزيمة العسكرية وليس بالهزيمة الأخلاقية والإنسانية فقط.

# الرد على نظرية "الحرب وسط الشعب"

المشكلة في كل هذه التنظيرات النابعة من تجربة الحروب في مواجهة المقاومة، بغض النظر عن إصرارها على تسميتها بالإرهاب أو بالتمرد، كولها لم تلحظ أن الحسيش مسر قسبل ذلك بمرحلة الهجوم على دولة وجيشها لاحتلالها وجاء ذلك منسجماً مع استراتيجيات بناء الجيوش لمواجهة "الحروب الصناعية" أو التقليدية أو من نمط الحربين العالميتين الأولى والثانية، أو ما كان معداً له من مواجهة بين حلفي الناتو ووارسو في مرحلة الحرب الباردة.

والأنكى أن هؤلاء ذهبوا بكل يقين مريح على أن المرحلة المعاصرة تخطّت الحروب بين الدول فيما هم يعدون على قدم وساق لحرب مع إيران وإعادة الحرب ضد حرزب الله أو ضد سورية، كما إعادة احتلال قطاع غزة، أي الحرب في المرحلة السابقة للحرب "وسط الشعب"، وهي ذات طابع نظامي تقليدي في وجهه السرئيس. فقاندون اقتحام عسكري لمنطقة غير قانون حالة احتلال تواجه مقاومة داخلية.

والمسألة المنسية الأخرى تتمثل في أن أصحاب الحديث عن انتهاء الحروب بين السدول الصناعية وعدم الحاجة إلى المحافظة على استراتيجية بناء الجيوش كما كان الحال في الحرب الباردة لم يتوقفوا للحظة أمام التطورات الممكنة في صراع الدول الكبرى في ما بينها وعلى التحديد في مواجهة عودة روسيا خلال السبع سنوات الماضية مع بوتين، كما لو أن المارد النووي السوفياتي عاد مرة أخرى من جديد، أو في مسواحهة السصين التي أصبحت منافساً اقتصادياً كبيراً وتحوّلت إلى قوة نووية وصاروخية وعلمية كبرى. الأمر الذي يعني أن الوجه الأساسي للصراعات العالمية للسن يقتصر على الصورة للحرب التي ولدتما تجارب السبع سنوات الماضية بعد احتلال أفغانستان والعراق.

وبكلمة أخرى، هل يمكن لاستراتيجية الحرب وبناء الجيش ألا تأخذ ذلك في الاعتبار وهي تحاول حل الإشكالية آنفة الذكر: إعادة بناء الجيش ليواجه ما يسمَّى التحديات الجديدة التي عدّدها روبرت سميث، كما مرَّ سابقاً. فالإشكالية ما زالت قائمة من حيث الحاجة إلى إقامة توازن صحيح بين النموذجين للحرب.

أما الإشكالات التي طرحتها حرب تموز/يوليو 2006 فتتخطّى ما راح يفكر به روبرت سميث وتتحاوز ما اشتهر بحرب الغوار أو الحرب بين جيشين صناعيين. فهنالك إشكالات ميدانية تكتيكية، وهنالك إشكالات تقنية تكنولوجية تتعلق بحل ممشكلة (الصواريخ المضادة) للصواريخ قريبة المدى أو متوسطته، كما إشكالات المتقاط لمعان المصاروخ ومعالجته الفورية السريعة. وهذه الإشكالات طرحتها صدواريخ قطاع غزة أيضاً ولو على نطاق أضيق، ولكن ليس أقل خطورة. أما الإشكالات الميدانية التكتيكية فنلحظها بما يلى:

# "التورة في شؤون العسكرية" أمام حزب الله

التقانة العالية جعلت الإصابة من الجو ومن صواريخ أرض - أرض أو بحر - أرض، كمسا جعلست الصاروخ المضاد أدق أيضاً بالإصابة جواً وأرضاً وبحراً. إلها جزء من الثورة في الشؤون العسكرية M.R.A. فالسيطرة على الجو جعلت حركة الدبابات لدى الخصم في منتهى الصعوبة إلا ربما في ظروف جوية محدة. وقد ظنَّ جماعسة نظرية "الثورة في الشؤون العسكرية"، إن ذلك يكفي لكسب الحرب تحت ححسة "مسن يمتلك السيطرة على الجو يسيطر على الأرض وعلى المعركة إلى أن يستسلم العدو". ولكن حزب الله أعد دفاعاً جيداً وهجوماً صاروخياً. وكان معه مسضادات للدبابات وألغام فعّالة. وكان قد أخفى مواقعه على الطائرات والرصد وكان متحركاً في الانطلاق والاختباء، مما أبطل التفوق الجوي وحراك الدبابات. كان مستعداً للاشتباك القريب وهو ما راح يعظم في حسابات العدو لحجم الخسائر المحتملة في حالة التصميم على الهجوم البري. وأثبتت الصواريخ الفردية إن المخالمات عطيل حركة الطوافات كما تعطيل زحف الدبابات.

- تحسربة حرب لبنان أعطت للدفاع قيمة حتى متفوقة على الهجوم. فالذي فسشل هو الهجوم والذي انتصر في الحرب ولو في حدود دحر الهجوم هو السدفاع العميق المفكر فيه جيداً. فحزب الله في تجربة حرب تموز/يوليو 2006 أتقن حسيداً الإخفاء المحكم للقوات، ومواقع الصواريخ، ولحركة الستخدام الصواريخ غير المحمولة، والإخفاء الجيد لمراكز القيادة، والحفاظ

- على الاتسصال بين القيادة وكل مواقع الجبهة. فكان ذلك استثنائياً في ظهروف تطور العدو في امتلاك تكنولوجيا الاتصالات والتحكم فيها من المركز الأم.
- الجهد طويل الأمد (ست سنوات) في الاعداد للدفاع، وبأعلى درجات السسرية، وبدلا ثرثرة أو مباهاة، والتوزيع المفكر به جيداً، والمخفى عن معلومات العدو، أو ما يمكن أن يسمى "السيطرة على الأرض" جعل الستفوق الجوي أقل تأثيراً. فقد كان أعمى... ولم يستطع أن يكون فعالاً إلاّ في حدود التناغم مع القوات البرية. وقد أثير في تقويم الحرب ضرورة تطوير تكنولوجيا رصد لمعان إطلاق الصواريخ (واحدة من التوصيات الإسرائيلية).
- إن الـــسيطرة على الجو لم تستطع حماية مناورة الدبابات أو الإنـــزالات خلف الخطوط.
- كـــل ما تقدّم حقق سلسلة من المفاجآت، ولا يجوز أن تطغى عليه، كما فعـــل الإعـــلام، مفاجأة إصابة البارجة الإسرائيلية في عرض البحر، رغم أهميتها.
- استمر الإعلام عاملاً بلا انقطاع بالرغم من تدمير المبنى الأساسي لقناة المنار أو لإذاعة النور، فهنا كان دور البديل سري الموقع حاسماً.
- قــرار القــوات الأمامية التي كانت في القرى، وكانت ذات دور ثانوي، بعــدم الانسحاب، وفقاً لنظرية حرب العصابات حين شنَّ العدو هجومه علــيها. وقــد استمرت، ربما بمبادرة ذاتية، في مواقعها (قراها) كان قراراً صــائباً. وأثبت أن حرباً مثل حرب الجنوب يمكن أن تكون حرب دفاع عمــيق في المواقع حنباً إلى حنب مع تطبيق نظريات الغوار من قبل القوى الضاربة المتحركة.

القانون هنا يمكن أن يكون. الذي لا يستطيع أن يقاوم هو الذي يتراجع إلى المواقع الخلفية، والموقع الذي يثبت يجب أن يعزّز ويُدْعم. فالتناغم بين الدفاع السثابت العميق وقوات الغوار المتحركة يمثل نموذجاً جديداً في الحرب. وبكلمة

حــرب تمــوز/يوليو 2006 كانت حرباً أرقى من حرب الغوار ولم تكن من نمط حرب المواقع بين الجيوش. فقد جمعت النموذجين من دون أن تكون حرباً متكافئة بين دولتين صناعيتين.

- 2 -

#### حروب 1991 - 2008

إن السنموذجين السبارزين، مسع الفارق، المقاومة الفياتنامية ضد الاحتلال الأميركي والمقاومة الأفغانية ضد الاحتلال السوفياتي، يدخلان، في إطار "الحروب غير المتكافئة": غزو دولة صناعية نووية كبرى لبلد من بلدان العالم الثالث من جهة ثم يدرجان من جهة أخرى في إطار حروب المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الأجنبي. فمسن الجهستين لا جديد في القوانين العسكرية والسياسية التي حكمتهما، فالغزو والاحتلال كانا سهلان، بداية الأمر، بغض النظر عن الشكل الذي اتخذاه أو قُدما على أساسه، والمقاومة اتسمت بطول الأمد وباستنزاف القوي إلى أن يصل إلى حد عدم الاحتمال أو عدم القناعة بالقدرة على الحسم العسكري ضد المقاومة. ومسن ثم تصبح الحرب بالنسبة إليه مجرد خسائر مادية ومعنوية لا معنى لمواصلتها. وعند هذا الحد تغدو الهزيمة محققة. ولكن ستختلف مع كل حالة أشكال إخراجها.

### حرب الخليج الثانية 1991

الأمر نفسه تكرّر من جانب واحد في الحرب الدولية التي شنّت ضد العراق بعد غزوه للكويت. ففي مسرح العمليات حُسمت الحرب بلا مقاومة تذكر من قبل الجيش العراقي. وقد ضربت الدبابات العراقية. وتمّ التراجع بلا انتظام إلى داخل العسراق. ولكن الحرب لم تتابع إلى احتلال العراق في العام 1991 و استبدل مكانه الحسار طويل الأمد (دام من 1991 إلى 2003)، مع تعزيز الجيب الكردي وحظر الطيران العراقي.

ولكـن بعد انتهاء مرحلة الحرب الباردة بتفكيك حلف وارسو وانهيار الاتحاد السوفياتي، فقد اتخذت الحروب التي شنّت بعد ذلك نمط الحرب النظامية التقليدية،

وصربيا 1999، وأفغانستان 2001، والعراق 2003، ولبنان 2006، حيث استخدم القصصف التمهيدي الكثيف من الطيران والصواريخ البرية والبحرية بصورة عامة على مواقع داخلية متعددة ومختلفة. وبعد ذلك يصار إلى التركيز على نقطة الاختيراق بالدبابات. وهذا هو التكتيك الحاكم في حرب عدوانية يشنها جيش دولة صناعية ضد بلد من بلدان العالم الثالث.

#### الحرب ضد صربيا 1999

ففي حرب صربيا حسمت المعركة من دون الدخول في المرحلة الثانية أي الدخول في المرحلة الثانية أي الدخول في الدخول العاصمة لاحتلالها. وكان السبب الهيار مقاومة حكومة ميلوسوفيتش بعد أن تخلّى الحليف الروسي (بقيادة بوريس يلتسن) عنها. وقد اعتمدت عليه بالوقوف إلى جانبها حتى النهاية. فالانهيار هنا لم يحدث بسبب القصف وكثافة النيران. فالجيش بقي سليماً وقادراً على المواجهة في حالة تقدم الدبابات (التقديرات إن ما لحقه من خسائر لا يتعدّى 15%). علماً أن الأمر بزحف الدبابات تلازم في الوقت نفسه، مع الموقف الروسي الذي طالب ميلوسوفيتش بالتوقف عن المقاومة من خلال وساطة فنلندية — سورية حملت له "شروط الاستسلام".

من حيث الظاهر بدا كما لو أن القصف بالصواريخ والطيران هو الذي حسم الحرب وليس انقلاب الموقف الروسي وقرار الزحف البري الذي كان قد بدأ فعلاً. فأرقام الحسائر التي ألحقها القصف بالجيش لم تتجاوز قتل 169 وجرح 299. وقد دمسرت خمسس طائسرات في مرابضها معظمها قديم ترك عمداً وبعضها صنع من المطاط. ودمرت 13 دبابة و93 آلية معظمها كانت وهمية. الطيران كان يقصف من ارتفاع 15 ألف قدم. فهو لم يكن مؤثراً إلا في الأهداف المدنية.

#### حربا أفغانستان 2001 والعراق 2003

جرت الحربان التي شنتهما الإدارة الأميركية وبتحالف دولي، متفاوت في الحالية بني الطريقة التقليدية في قصف استراتيجي يشمل نقاط كثيرة في العمق وهدفه التأثير في معنويات القيادة والجيش والناس عموماً (كما حدث في النموذج السصربي بادئ الأمر)، ولكنه لم يأت بالنتائج التي حدثت في صربيا. فكان من الضروري الدخول بالدبابات مع استمرار القصف.

أما المقاومة من قبل القوات النظامية فكانت محدودة، والأسوأ أن دخول العاصمتين كان بلا مقاوية يندمج فيها الجيش مع الشعب وتصبح مقاومة من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت. وهذا يرجع إلى طبيعة الخطة الدفاعية المقابلة السيّ لم تعدد نفسها لهكذا مقاومة، وإنما راهنت على المقاومة لاحقاً بعد أن يتم الاحستلال. هذا إذا افترضنا بألها كانت مقتنعة بأن الحرب ستقع وسيصار إلى احتلال البلد كله.

أما الوجه الآخر لهاتين الحربين العدوانيتين اللتين احتلتا أفغانستان والعراق وتعديّتا حدود ما أعلنتاه من أهداف الحرب وأسبابها. وذلك بتحولهما إلى حرب احستلال ضد مقاومة شعبية، أو، في الأصح، حرب مقاومة شعبية ضد الاحتلال. ومن هنا سرعان ما بدأ العد العكسي في غير مصلحة قوات الاحتلال عسكرياً وسياسياً. فدخلت أميركا وحلف الناتو في أفغانستان في مأزق لا أمل في الخروج منه بسحق المقاومة والقضاء عليها، وإنما الدخول في حرب استنزاف طويلة لن تكون نهايتها بمختلفة عن النهاية في الحالات المشابحة.

وهـــذا ما انطبق أيضاً على العراق وإن اختلف الوضع في تفصيلات ما حدث في كل من البلدين من انقسام داخلي راح يعيق المقاومة من دون أن ينقذ الاحتلال من المصير الذي ينتظره.

المهم أن المقاومة الشعبية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة ومع كل ما عمرفته جميوش أميركا من تقدم في الأسلحة والتقانة العالية ومع كل ما طرأ على الوضع السدولي من من منتغيرات ما زالت المقاومة هي الأسلوب (الاستراتيجية والتكتيك) الأقدر على إنزال الهزيمة بالاحتلال. فأميركا الآن، وبأقل ما احتاجها الأمر في فياتهم من حيث السنوات، تخوض حرباً يائسة في كل من أفغانستان والعراق.

### تحرير جنوب لبنان 2000 وقطاع غزة 2005

على الضد من كل التقديرات الوهمية التي سادت بعد انتهاء الحرب الباردة وخروج الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو من الميدان تمكّنت المقاومة الإسلامية بقيادة حزب الله وبالتفاف الحكومة والجيش والشعب حولها من تحقيق انتصار مدو

في حزيــران/يونيو 2000. وذلك بفرض انسحاب الاحتلال الإسرائيلي من حنوب لبنان (مستبقياً مزارع شبعا) بلا قيد أو شرط.

وحدث مشله، مع الفارق، بعد خمس سنوات في قطاع غزة حيث فككت المستوطنات وتم انسحاب الاحتلال أيضاً بلا قيد أو شرط. وهنا تدخلت السلطات الفلسطينية في حينه، وبلا معنى، لعقد اتفاق مجاني حول المعابر ولا سيما معبر رفح، والذي كان في الأصل جزءاً من قرار "فك الارتباط". وقد راح يسهم نتيجة ذلك (اتفاق معبر رفح) في تشديد الحصار الخانق لاحقاً.

المهم أن التقديرات الوهمية التي سادت في السنوات الأولى بعد انتهاء الحرب السباردة، والقائلة إن عصر المقاومات انتهى مع انتهاء نظام المعسكرين وقيام النظام العالمي الجديد أحدي القطبية قد تبين أنما خاطئة ومضللة. فالمثال اللبناني ثم الفلسطيني أثبتنا وهمية تلك المقولات، بل أثبتا أن آفاق المقاومة والممانعة الشعبية لأي احتلال أصبحت أقوى من ذي قبل لا سيما في ظروف المعادلة الدولية الراهنة التي تتسم بالفوضى قياساً لمعادلة نظام المعسكرين.

والدليل الثاني المهم اندلاع انتفاضة الأقصى في خريف العام 2000 وقد حساءت أقوى من سابقتها 1987، وعندما شنّ شارون حربه في ربيع 2002 لاحمتلال مناطق (أ) والقضاء على الانتفاضة مبتدئاً باحتياح مخيم جنين، دارت حسرب مقاومة شعبية من بيت لبيت صمد فيها المخيم 13 يوماً بالرغم من صغره وتداعمي بيوته وقلة عديد المقاتلين فيه (لم يتجاوزوا الأربعين مقاوماً) وبأسلحة بدائمية كلاشمينكوف وأم 16 وعبوات بدائية من صنع محلي. وقد اضطرت هيئة الأركان ألى تغمير جنرالين فشلا في اقتحام المخيم ثم انتقل قائد الأركان موفاز وأرييل شارون رئيس الوزراء شخصياً لإلهاء المهمة.

الأمر الذي أثبت مرة أخرى، ولو على نطاق مصغر وضيق، أن اقتحام حيش عصري، ويمتلك أعلى درجات التكنولوجيا، لمخيم (أو قرية أو مدينة) قرّر الشعب فسيها المصمود والمقاومة القتال، سيواجه حرباً قاسية، وعزله، وسوء سمعة محلية وإقليمية وعالمية. مما يجعل الحسارة أعلى من مردود الانتصار. وإذا حدث أن سيطر من الناحية العسكرية بعد دمار وبين أشلاء الشهداء والمدنيين وفي ظل غضب الرأي

العام فسيكون في وضع المهزوم لا المنتصر. وذلك إذا ما نظر إلى قوانين الحرب التي تحكـــم العدوان العسكري ضد شعب يصمد ويقاوم ويمتلك عدالة القضية ويحظى بعطف رأي عام واسع.

ومنذ معركة مخيم جنين راحت حملة شارون في الضفة الغربية وقطاع غزة تتخبّط لتنتهي بقرار فك الارتباط (سحب الجيش وتفكيك المستوطنات) من قطاع غزة، أي لينتهى بما يشبه ما انتهى إليه الاحتلال الاسرائيلي في جنوبي لبنان.

#### حرب تموز/يوليو 2006 - لبنان

لم تخستلف حسرب تموز/يوليو 2006 التي استهدفت تصفية المقاومة التي يقودها حزب الله في حنوبي لبنان عن الحروب العدوانية التي شنتها دولة صناعية حديثة كبرى من الناحية العسكرية لاحتلال بلد من بلدان العالم الثالث يمتلك حيشاً، أو مقاومة، متواضعين من حيث التسلح والعديد والإمكانات قياساً للدولة الغازية المعتدية. وهو ما اتسمت به حروب الهند الصينية (فياتنام، وكمبوديا، ولاوس) وحرب الجزائر، وأفغانستان (مع السوفيات) ولبنان 1978، ووعما أو مؤخراً حربا أفغانستان والعراق وإعسادة احتلال مناطق في فلسطين. وهو ما اصطلح على تسميته بـ "الحرب اللامتكافئة".

ولكـن الفـارق في هذه المرة كان فشل الهجوم الذي دام زخمه 34 يوماً من دون أن يحقـق تقـدماً، ولو شبراً واحداً على الأرض. وقد استهدف الوصول إلى الليطاني وربما أبعد من ذلك لو سارت الأمور معه كما يرام.

صحيح أن القانسون العام كان، ولم يزل، أن يتمكن حيش الدولة الكبرى (والجسيش الصهيوني من ضمنها عسكرياً) أن ينجح في الغزو، ويحتل الأرض (بما فيها المدن والقرى). وصحيح في المقابل أن هزيمته محققة في مواجهة مقاومة طويلة الأمد مسؤيدة من شعبها. وذلك بعد استنسزاف مادي ومعنوي وسياسي طويل وصسولاً إلى انسسحاب اضطراري، أو عبر اتفاق مذل، وإن حفظ له ماء الوجه (تجربة الجزائر)، ففي تجارب مثل فياتنام 1976، ولبنان 2000، وقطاع غزة 2005 كان النمط الأول من الانسحاب الاضطراري بلا قيد أو شرط.

أما الحدث الحدث الله مثلته حرب تموز/يوليو 2006 فكان أولاً، فشل الغزو أصلاً وعسدم تحقيق هدفه من دون انتظار مقاومة طويلة الأمد لانزال الهزيمة به. وكسان ثانسياً مواجهة بين مقاومة وجيش عصري يستخدم أرقى ما توصلت إليه التقنسية (التكنولوجسيا) العالية أو ما اصطلح على تسمية الــــ R.M.A "الثورة في السؤون العسكرية". وقد اعتبرت بألها "الحاسمة في إلهاء الحروب، وبسرعة خاطفة مع أية قوة عسكرية دولها مستوى في التطور". ومن هنا أحدثت حرب تموز/يوليو ثورة على "الثورة في الشؤون العسكرية"، أو على وضع التقانة (التكنولوجيا) مكان الإنسان في شؤون الحرب.

وبكلمــة لقد هوت حرب تموز بالصنم التكنولوجي، عملياً، ووضعت عَبَدته في مــأزق نظري، وإن لم يعترفوا بذلك بعد. وأعيد الاعتبار لأولوية دور الإنسان كما لعلم الحرب.

لم يصدر عن مختصين بالشؤون العسكرية في حزب الله أي تقويم تفصيلي للخطة العسكرية، وللتجربة الميدانية اللتين واجه بهما تلك الحرب. فبعد سنتين من حسرب تموز/يوليو 2006 (أي حتى كتابة هذا المقطع عام 2008) ما زال الإعداد جارياً على قدم وساق لحرب الثأر واستعادة الهيبة من جانب جيش الكيان السصهيوني. وهو ما لا يسمح بنشر ذلك التقويم، كما لا يسمح بتسريب أية معلومات عن الخطة الإسرائيلية القادمة أو خطة تلافي النواقص التي كشفتها تلك الحرب. فحرب تموز/يوليو لم تضع أوزارها بعد.

من هنا سيقتصر تقويم الحرب على العموميات من جهة الدفاع - الهجوم من جانب حزب الله، وعلى ما تسرب من تقرير فينوغراد والأهم ما كتبه عدد من كبار المؤرخين العسكريين الإسرائيليين "حول النواقص التي أدت إلى فيشل الهجوم أو إلى رداءة أداء الجيش الإسرائيلي" في الحرب على حد تعبير آفي كوبر في "جيش الدفاع الإسرائيلي في حرب لبنان الثانية: الأداء السيئ لماذا؟" (2008) إلى جانب هذا المصدر "دروس للحرب الإسرائيلية - اللبنانية" (أنطوبي هيد. كيوردزمان، 2008)، ومبارتن فيان غريفيلد "تغير وجه الحرب" (2007).

### جبهة المقاومة عسكريأ

بداية ما كان من الممكن أن تظهر كل تلك النواقص في الجيش الإسرائيلي أو أن يفيشل الهجوم لولا ما واجهه من خطة دفاع مفكراً بها حيداً من قبل حرب الله، ومن قتال تميّز بالمهارة والقدرة إلى جانب الروح الإيمانية الاستشهادية الشجاعة.

ولهـذا ونحن نتعرّض للنواقص التي أثارها المؤرخون العسكريون الإسرائيليون ومعهـم تقرير فينوغراد (لم ينشر بالكامل)، يجب أن نتذكر، مرة أخرى، ودائماً، بـأن ذلـك ما كان ليبرز، بكل هذا الوضوح، لولا المقاومة الناجحة التي صمدت وقاتلـت وهاجمت وحقّت الانتصار عليه، وكان إلى جانبها دعم غير مباشر من الجيش اللبناني، وموقف شعبى لبناني واسع ورأي عام هائل عربي وإسلامي.

أولاً: ما ظهر من خطة الدفاع – الهجوم لدى حزب الله بأن مراكزه القيادية ومواقعه العسكرية، بما في ذلك مخابئ صواريخه الهجومية، كانت آمنة إلى حد بعيد. وذلك بفضل سرية عالية وتمويه تركا الإحداثيات التي لدى طيران العدو وصواريخه فقيرة جداً. وإلاّ كان بإمكانه أن يقضى عليها جميعاً بأقل من ثلاث ساعات بل صدر تقرير عن حالوتس رئيس أركان الجيش أكد فيه أنه قضى على الصواريخ خلال الے 35 دقيقة الأولى من الهجوم، بل حتى تلفزيون المنار وإذاعة النور استمرا بالعمل بلا توقف حتى بعد أن سحق مبناهما الرئيسين. فقد تمكن حزب الله طوال الله على المسطرة الجوية الكاملة لطيران العدو أن يمطر شمال فلسطين حيث المستوطنات الإسرائيلية، بما يُقدر بأربعة آلاف صاروخ وفقاً للإحصاء الإسرائيلي.

وثانياً: ظهر أن حزب الله استطاع أن يحافظ على الاتصال بين القيادة وكل المواقع في الجبهة بلا انقطاع. هذا إلى جانب الاستماع أحياناً إلى ما يجري من اتسصالات في ما بين ضباط العدو في الجبهة. علماً أن في الحروب السابقة كانت القوى الغازية تقطع الاتصالات في الجبهة المقابلة خلال ربع الساعة الأولى. إن القدرة على حماية الاتصالات في جبهة حزب الله، وعلى مواصلة الإعلام لا تقل أهية في الحرب عن الحفاظ على أمن مواقع الصواريخ أو القوات ومراكز القيادة.

والظاهرة الرابعة كانت المهارة والشجاعة والكمائن الذكية من جانب قوات حرب الله في مواجهة تقدم الدبابات والآليات وفي مقدمها أكثر الدبابات تطوراً (الميركافا). فقد ووجهت الدبابات الإسرائيلية في حرب تموز/يوليو 2006 في وادي الحجير وغيره من الوديان بما لم تتوقعه من كمائن، صنعت ما أطلق عليه الإعلام "مقابير السدبابات". هذا إلى جانب مواجهة الدبابات بالصواريخ المحمولة الأكثر تطوراً من صاروخ "ب 7" الذي تمتنع عليه دبابة الميركافا. هنا برزت أهمية تسليح حزب الله بصواريخ خفيفة ومتوسطة روسية كانت بيعت لسورية (وفقاً للتقارير الإسرائيلية). ولكن قبل ذلك، أهمية الإنسان الذي استخدمها بذكاء ومهارة ورباطة جأش. وما بذل من جهد في التدريب والإعداد والحفر لسنوات سابقة.

طبعاً ما تقدّم لا يغطّي الصورة من جانب جبهة حزب الله من الزاوية العسكرية (موضوعنا)، وإنما يغطّي ما كشفته المعركة والمعلومات المنشورة وأمكن استنتاجه. هذا ومن دون التعرض للدور الذي لعبته المصداقية والشعبية وكسب للسرأي العام من خلال خطابات السيد حسن نصر الله أمينه العام في أثناء الحرب وهذه في الحرب تعادل فرقاً عسكرية أو تعوض عنها.

وبالمناسبة، قيل على سبيل المثال أن القيادة العسكرية الألمانية في الحرب العالمية

الثانية قوّمت مقالات ايليا اهرنبورغ في البرافدا السوفياتية اليومية بفرقة عسكرية زادتما على قواتما في أثناء غزوها للاتحاد السوفياتي.

### جبهة الجيش الإسرائيلي عسكريأ

لــو جمعــنا كــتابات ما أشير إليهم أعلاه من مؤرخين ومنظرين عسكريين إســرائيليين (آفي كوبــر، وأنطويي كوردزمان، ومارتن غريفيلد)، وما تسرّب من تقرير فينوغراد لوجدنا حالة الجيش الإسرائيلي كانت في الحضيض، عدا ما يمتلكه مــن هيــبة سابقة (الجيش الذي لا يُهزم)، ومن أسلحة وتكنولوجيا عالية وعديد قوات ودعم أميركي عسكري.

السنواقص كما يبدو كثيرة، ولا يسهل حصرها، وقد طغت في أهميتها على كل ذلك التفوق الهائل في القوة العسكرية. وبالمناسبة إن من يدقّق في هذه النواقص ويقسيس بهسا السنواقص التي عرفتها الجيوش العربية في الحروب، خصوصاً الجيش المسصري في حسرب حزيران/يونيو 1967، يجد أسباباً للتخفيف في الأحكام التي صدرت بحق تلك الجيوش. ففي الحالة العربية حدثت النواقص في ظل خلل هائل في ميزان القوى العسكرية في غير مصلحتها، فالخسارة العسكرية كانت شبه محققة حسى لو تم تلافي تلك النواقص. فمثلاً لو روعيت قواعد الأمن للطائرات المصرية التي دم مسلحتها، فالخسائر في تلك الطائرات المصرية التي ولكسن ما كان لها أن تسيطر على جو المعركة، أو حتى أن تتدخل فيها لألها كانت ستسقط في الجو. أما في الحالة الإسرائيلية فالنواقص حدثت في ظل تفوق عسكري هائل في مصلحتها. فأسهمت بصنع الهزيمة من دون التقليل من أهمية دور حزب الله عائل في صنع تلك الهزيمة التي مُني بها الجيش الإسرائيلي في حرب تموز/يوليو 2006.

مسن جملة ما يذكره آفي كوبر يركّز على "أداء الجيش غير المرضي وقد حمل نظريات عسكرية مائعة إلى جانب مهنية وقيادة فقيرتين". فقيادة هذا الجيش تبنّت نظريات وهمية (ما بعد الحداثة) كما تضمّنتها مقولة R.M.A: "الثورة في الشؤون العسكرية"، ويشاركه مارتن غريفيلد وأنطوني كوردزمان في هذا.

ويسشترك ثلاثتهم مع الرأي القائل: "اهتراء المستوى القتالي بسبب المهمات البوليسسية التي غرق فيها الجيش، كل الجيش، في مطاردة الانتفاضتين الفلسطينيتين

1987 و2000. وهكذا مضت عشرون سنة والجيش يطارد الأفراد، فاتقن "استخدام الكلاب البوليسية" والاختباء وراء دروع بشرية مثلاً "بنت في الحادية عشرة من عمرها".

لقد ترتب على النقيصة الأولى المبالغة بقدرة الطيران على كسب الحرب أو في الإخضاع والتدجين بالنسبة إلى الحكومات. ولهذا هبط عدد الدبابات وارتفع عدد الكومبيوترات. واشتريت الطائرات الأكثر تعقيداً وكلفة. ورُكّز على الصواريخ الدقييقة والمرودة بيد GPS لتصبح أكثر دقة (تدخل من النافذة وتحدِّد الحجم المطلوب استخدامه من المتفجرات). أما القادة الذين كانوا على رأس جنودهم ينادون "الحقوني" أصبحوا وراء الشاشات البلازمية. وعليه قس.

والنقيصة الثانسية (مطاردة الانتفاضتين)، وقد نجم عنها ضعف التدريب والاستعداد. فلم يدرب الاحتياط حيداً، وأصبحت اللوجستيقا ممركزة وضعيفة حداً. والدبابات لم تكن مستعدة لمواجهة أسلحة حزب الله المضادة. وباختصار لم يُعدد الجيش لحرب حقيقية وإنما لحرب الناس العزل ومطاردة المطلوبين. فالسضابط ينال الترقية على قتله لفلسطيني وليس على تدريباته في المناورة، أو على ما يملكه من معرفة تكتيكية في القتال. وبهذا لم يبق في الجيش إلا قلة ممن يعسرفون قسيادة كتيبة. فالجيش بحاجة إلى كتائب بالمعنى العسكري التقليدي للكلمة.

ويصفيف ثلاثتهم أخطاء أو نواقص من نوع "قيادة سياسية مترددة وغير بخرية"، "سيطرة الجيش على القرار"، "الجهل حول مواقع الصواريخ، ونقص المعلومات الاستخباراتية" في منطقة "احتلت 18 سنة"، أو مثل "الخوف من الخسائر البيشرية"، أو الخيوف من الصواريخ المفترضة مما جعل الطائرات تعمل من علو "أفقيدها القدرة على تحديد عدو ماكر"، ضباط الميدان ارتبكوا وراحوا يتجادلون وحزب الله يستمع إليهم".

رداءة الأداء فرضت استقالة قائد الفرقة الأمامية، والقائد الأعلى منه، وقائد الجبهة الشمالية ورئيس الأركان، ووزير الدفاع. وقدّم عشرات استقالتهم بانتظار قسبولها. هذا إلى جانب فقدان الجيش تقاليده في وضع خطة المعركة:

"الالتفاف السريع حول العدو وتطويقه باستخدام عامل المفاجأة واحتلال الأرض" (وليس السيطرة عليها من الجو وفقاً لنظرية "الثورة في الشؤون العسكرية" R.M.A.

خلاصة: إذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن الجيش الإسرائيلي دخل مرحلة الستدهور أو السشيخوخة. فهسنالك إشكالات في العقلية وفي البنية، وفي تقاليد الشجاعة، وفي القائد والضابط والجندي، ومن ثم فالإصلاح أو التصحيح لن يكون سهلاً، أو سريعاً. لأن الجيش كله أصبح بحاجة إلى إعادة بناء.

وبالمناسبة لم يشر أحد ممن تناولوا التقويم بقصد الترشيد والتصحيح المسائل المستعلقة بأخلاق القائد والضابط فحالوتس الذي يذهب ليبيع أسهمه في البورصة قبل بدء الحرب بساعات ومثله عدد من الضباط الكبار الذين انخرطوا في "البيزنس" ليسوا موشي دايان ورابين وشارون. فالجيش أمام طبقة حديدة هي ابنة نجيبة لمرحلة العولمة وما فوق الحداثة، فهل ثمة من علاج؟

### الحرب على قطاع غزة 2008

إذا كانت الصدمة التي تلقاها الجيش الإسرائيلي بتجربته مع حزب الله قاسية جداً فها هي ذي تتكرّر في قطاع غزة، وإن بوضع مختلف؟ ولكن اشد فداحة بسبب وضع القطاع المحاصر، والمقطوع العمق الجغرافي فضلاً عن حجم اللاتكافؤ في موازين القوة العسكرية.

فالجيش الإسرائيلي منذ سنة وهو يحاصر القطاع ويتحفز لاقتحامه وقد حاول حتى الآن (حزيران/يونيو 2008) مرتين وفشل.

إن اقتحام القطاع "إذا ما توفّرت له خطة دفاعية مفكراً بها جيداً" إلى جانب السصمود السشعبي والتصميم الإيماني بروح قتالية شجاعة ولو في بضع مئات من المقساتلين سيكون ممتنعاً عن الاقتحام ليضيف إلى الجيش الإسرائيلي صدمة لا تقل عسن صدمة جنوبي لبنان. فالقانون الحاكم هنا لا يحسب عسكرياً فقط وإنما يدخل فسيه السرأي العام الفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي. فقطاع غزة إذا قاتل لا يقاتسل وحده. فكلما صبر وصابر وقاتل أكثر ازاداد انخراط العرب والمسلمين في المعركة، وهذا بدوره يوازي فرقاً عسكرية

# تذكير عام

# السباق بين الهجوم والدفاع

الصراع لن ينتهي بين الدفاع والهجوم سواء أكان في بحال السلاح والتقانة أم في بحسال تسشكيلات الهجوم والدفاع. وقد امتد هذا الآن إلى سباق بين الدرع السصاروخية (الصاروخ المضاد للصواريخ) والصاروخ متعدد الرؤوس النووية، أو إمكان إطلاق عدد من الصواريخ تفوق الصواريخ المضادة. وهو ما أخذ ينتقل من بحسربتي جنوبي لبنان وقطاع غزة في إطلاق الصواريخ في 2006 و2007 – 2008، إلى السسلاح التقليدي وذلك بإيجاد صواريخ مضادة لهذه الصواريخ وهو ما تدأب على تطويره الآن التكنولوجيا الأميركية - الإسرائيلية ليس لتعزيز قوة الدفاع فحسب وإنحا أيضاً، قوة الهجوم نتيجة ذلك وفي الآن نفسه، أي الحيلولة دون الوصول إلى المعادلة المسماة "توازن الرعب" مرة أخرى.

والصراع بين الدفاع والهجوم على ضوء تجربتي لبنان بالخصوص وقطاع غزة على مستوى أدنى حتى الآن سيتخذ شكل تطوير الأنفاق ووسائط الاتصال المضادة لتكنولوجيا الحرمان من وسائط الاتصال، وضد وسائل كشفها سواء أكان عن طريق المعلومات، أو من خلال التقانة المتطورة. وهذا التطوير يظل دفاعياً بالدرجة الأولى. ولكنه يسمح للدفاع بأن يتحول إلى الهجوم التكتيكي، كذلك (تجربة حزب الله والتجربة الفياتنامية).

وبالمناسبة محاولة تقوية الدفاع، ومن ثم الهجوم نتيجة ذلك أي من خلال الأنفاق أو التحصين العميق تحت الأرض كان من سمات مواجهة القنبلة السنووية وأسلحة الدمار التقليدية حتى على مستوى الدول الكبرى وإن لم يكشف عن مدى فعاليته بسبب عدم تجربته في الحرب. هذا ويدخل في هذا السباق:

- الصراع بين الوسائط الإعلامية في الحرب أي بين عملية الإخفاء والإفلات من الهجوم وعملية تطوير الهجوم في الكشف والإسكات.

- الصراع بين سرية المواقع ومراكز القيادة من جهة والهجوم الذي يستهدف كشفها للتمكن من ضربها من جهة أخرى.
- الــــصراع بين الذكاء الإنساني في الدفاع والتكنولوجيا المتطورة التي تحاول التغلب على الذكاء الإنساني وتعطيله.
- الصراع على كسب الشعب وإشراكه في الدفاع من جهة وتحطيم معنوياته وعزله من جهة أخرى. وهذا قد يتخذ شكل التدمير والقتل والعقاب الجماعيين من جانب الهجوم في مقابل الصمود ورفع مستوى التضحية والاحتمال من جانب الدفاع.
- المصراع علمي كمسب الرأي العام العالمي من جانب الدفاع وتحييده وتشويشه من جانب الهجوم.
- الـــصراع علـــى توسيع حبهة الحلفاء من جانب الدفاع والتقليل من أهمية الحلفاء من خلال تعظيم قوة الحسم لدى الهجوم.
- الـــصراع بـــين إطالة المعركة والحرب من جانب الدفاع ومحاولة الحسم السريع من جانب الهجوم المتفوق.

وبكلمة، كلما تقدّم الهجوم خطوة يتوجّب على الدفاع أن يجد ما يبطلها أو يخفّف من قوتمًا. وكلما تقدّم الدفاع خطوة فعل الهجوم الشيء نفسه.

ولهذا، فالحرب منذ البدء حتى اليوم، وإلى غد وبعد غد ستظل سباقاً أبدياً بين الدفاع والهجوم أو كما يرمز إليه بين الدرع والسيف، أو بين الترس والنشّاب، أو بين المدفع والمتراس أو بين الصاروخ والأنفاق.

ولكن منذ السبدء وإلى غد وبعد غد الدفاع والهجوم متلازمان لدى كل طرف. ولكن لا بند لأحدهما من أن يطغى على الآخر وفقاً لموازين القوى وتطورات الستقانة. ولكن سيبقيان في المواجهة وفي السباق وسيظل الدفاع هو الأقدوى وهو سلاح الأضعف. والهجوم سيظل صاحب الحسم وسلاح الأقوى. والاستراتيجية الفضلى هي الدفاع الذي ينتقل إلى الهجوم بعد كشف المعتدي وكسسر شوكة عدوانه أو هجومه فيكون الانتقال إلى الهجوم معززاً بالحق والعدالة والمظلومية، وهو أفضل الهجوم وأقواه.

# عوامل النصر والهزيمة في الحرب

الــذي يقــرر النصر أو الهزيمة في الحرب هو الوضع ككل بمختلف جوانبه. وعــندما يقال الوضع ككل بمختلف جوانبه فهذا يعني جبهة عريضة تمتد من أصغر قــرية ومــصنع إلى أصغر حركة تكتيكية في ساحة المعركة حيث تتداخل العوامل الاقتــصادية والــسياسية والاجتماعــية بالعوامل التنظيمية والعسكرية استراتيجياً وتكتيكياً، مروراً بعوامل المكان والزمان والعناصر الإنسانية والذاتية، والوضع المحلي والمدني لدى كل من الطرفين المتقابلين. وذلك إلى جانب الوضع الإقليمي والعالمي وما يسود من موازين قوى ومعادلات دولية.

ولكسن حين يقال الوضع ككل يجب أن يفهم أن من غير الممكن نرعه من أجسرائه وجعله مستقلاً عنها أو جعلها مستقلة عنه، لأنه مكون من كل الأجزاء، ولأن كسل جزء يؤثر في الوضع ككل ولأن كسل جزء يؤثر في الوضع ككل كما أن الوضع ككل يؤثر في كل جزء. غير إن أهمية كل جزء بالنسبة إلى الوضع ككل ليست متساوية بين مختلف الأجزاء كما أنها ليست مقداراً ثابتاً.

يمكن تقسيم عمل الوضع ككل وعملية كل جزء فيه إلى قسمين رئيسين:

- 1. العناصــر الماديــة الموضــوعية مثل الوضع البشري والاقتصادي والتقني والأسلحة والأرض وسرعة الحركة.
- 2. العناصر الذاتية مئل الدور الذاتي للقيادة والأفراد والوعي والتنظيم والإحسراءات، وأساليب معالجة العناصر المادية الموضوعية استراتيجياً وتكتيكياً في كل المجالات. كما الشجاعة والمعنويات والقتال الضاري والصمود والاستعداد للتضحية.

بكلمات أخرى، يمكن القول إن الحرب عبارة عن خصمين - جبهتين - يتسصارعان ضمن حدود العناصر المادية والذاتية المعطاة، كما ضمن الظروف ومسوازين القرى المحيطة بمما. ومن ثم فإن كلاً منهما سيحاول الإفادة حتى الحدّ الأقصى من تلك العناصر لتأمين التفوق على خصمه لإنرال الهزيمة به. ولكن لما كان كل من الخصمين سيعمد إلى العمل:

أ. ضمن جبهته.

ب. ضد جبهة الخصم.

ج. وفي إطار الوضع ككل محلياً وإقليمياً وعالمياً.

فإن هذا يعني الدخول في عملية بناء داخلي ضمن جبهتك وعملية إحباط لعملية البناء الداخلي للعدو في جبهته، وعملية صراع كلي بين الطرفين لجعل الوضع ككل بمختلف جوانبه محلياً وإقليمياً وعالمياً يتجه لتأمين التفوق لك ضد العدو. وهذا يعني اشتباكاً متعدد الأوجه على كل مستوى لإنجاح مسعاك وإحباط مسعى الآخر وإن ما يعطي هذا الاشتباك صفة العملية المتفاعلة المتبادلة كون الآخر سيحاول عمل الشيء نفسه، وهذا يجعل كل خطوة تتخذها لها مقابل لدى العدو، وهذا المقابل سيسعى لتصعيد خطوته المقابلة وإلغاء أو تنقيص خطواتك أي عملية نفسي النفي في بعض الحالات بصورة مستمرة حتى يتقرر الانتصار لأحد الطرفين والهزيمة للطرف الآخر. مثلاً تكتيك عسكري فالتكتيك المضاد ثم التكتيك المضاد مضادّ، وهكذا. ففي هذا الإطار يمكن الحديث عن ديالكتيك الحرب.

على أن الاشتباك لا يقتصر على هذا النمط من السباق والصراع، وإنما هنالك عملية قد تكون أكثر أهمية وهي المتعلقة ببناء الذات وكسب الشعب وتحشيد الحلفاء وبناء الجبهات ومعالجة التناقضات والخلافيات داخل جبهتك. وهذه بحاجة إلى منهجية مستوازنة دقيقة يحكمها خط سياسي صحيح في كل مجال وأمام كل مستكلة. فالحرب ليست مثل مصارعة ملاكمين يتبادلان اللكمات فحسب وإنما هسنالك حببهة كاملة مقابل جبهة كاملة. الأمر الذي يتطلب عملاً غير تبادل اللكمات. لأن قانون البيناء غير قانون الهدم. وهنا يُقصر المنهج الديالكتيكي الصراعي عن معالجة ما يحتاج إلى توليف وموازنة وتوفيق ليُغلّب "منهج الميزان" أو منهج إقامة التوازن الدقيق من خلال التوليف وليس عبر الصراع فقط.

ثم يجـــدر بنا الوقوف قليلاً لملاحظة أن سمة العصر الراهن جعلت هذه العملية تـــدخل في نطاق الوعي، ولم تعد تعمل عفوياً. إن كل طرف جعل يدرس وضعه ووضـــع الطــرف الآخر – العدو – كما دراسة الوضع ككل من حول الوضعين

دراسة دقيقة معمقة لاستنباط أنسب استراتيجية وتكتيك يتفقان مع الوضع ككل. وذلك لتأمين الانتصار عن طريق جعل عناصر جبهتك المادية والذاتية تعمل بأعلى تأثير ضد مقابلاتها في الجبهة الأخرى، مع حساب عمل مقابلاتها تلك، وإيجاد المضادات لها.

لننظــر الآن إلى العــوامل التي تؤثر في الحرب ومصيرها، ونذكر أهمها دون حصرها كلها:

- 1. الوضع الاقتصادي والمدني.
- العامـــل السياسي وطبيعة الحرب عدالتها أو عدم عدالتها وطبيعة القوة التي تقودها.
  - 3. المكان الذي تدور فيه الحرب طبيعة الأرض واتساعها.
- الــزمان الذي تقع فيه الحرب مستوى التطور الإنتاجي والتقني وقوانين الحرب التي تحكمه.
- 5. العامل المعنوي والسيكولوجي بالنسبة إلى القادة وبالنسبة إلى الجنود وبالنسبة إلى الجبهة الخلفية والقتال الضاري، والشجاعة والتماسك والإيمان بالقضية التي يقاتل في سبيلها.
  - العوامل التنظيمية في المجالين المدني والعسكري.
- 7. مــستوى الــتدريب ومــستوى القيادات العليا والكوادر، والصراع بين المبادرات والإجراءات ومضاداتها على كل مستوى.
  - 8. كميات السلاح وعديد القوات المسلحة، حجم القوات وكثافة النيران.
    - 9. نسبة القوات إلى المساحة، وعامل السرعة والحركة الآلية.
    - 10. الاستراتيجية والتكتيك المستخدمين من قبل كل من الطرفين.
      - 11. المقدرة التخطيطية والتنفيذية والقدرات الإدارية والتنظيمية.
        - 12. عامل الوقت والإمكانات المحتملة مستقبلا.
        - 13. الرأي العام في كل من الجهتين والرأي العام العالمي.
        - 14. نوع التحالفات السياسية ومدى اتساع جبهة كل طرف.
          - 15. مدى تماسك الوضع ككل في جبهة كل من الطرفين.

إن كل هذه العوامل في كل حرب وكل زمان ومكان. وهذا هو السبب الذي لم كل من هذه العوامل في كل حرب وكل زمان ومكان. وهذا هو السبب الذي لم يجعل معركة مثل أخرى، والأهم لم يجعل حرباً مثل أخرى. ومن ثم جعل لكل نصر في حرب ولكل هزيمة فيها أسباباً مختلفة، حتى لو تشارك وجود عامل أو أكثر على مستوى واحد في حربين. وهذا السبب هو الذي جعل الحرب شديدة التعقيد، وكثيراً ما قاد العلاقة بين كل هذه العوامل إلى نتائج متضاربة، فأحياناً نرى جيشاً أصخر حجماً وأقل نيراناً ينتصر على جيش أكبر حجماً وأكثف نيراناً. وهذا لا يعين الاستنتاج أن الأصغر حجماً والأقل نيراناً أقوى من الأكبر حجماً وأكثف نيراناً. لأننا إذا تعمقنا دراسة الأسباب لانتصار الأضعف فسنجدها في تفوقه في عرامل أخرى من المجموعة أعلاه قد تكون الاستراتيجية أو الحركة التكتيكية أو العسوامل السسياسية أو الإيمانية والمعنوية وقد تكون فساد وضعية العدو وتحبطه بالمعوقات – قد تكون إحداها أو أكثر.

وفي المقابل نجد أحسياناً، الجيش المتفوق مادياً وتقنياً ينتصر على الجيش الأضعف. وهنا أيضاً لا يجوز الخروج بالاستنتاج القائل إن المتفوق مادياً وتقنياً سينتصر حتماً على الأضعف منه. لأن النصر هنا - إذا تعمقنا في دراسة أسبابه لن يرجع إلى عامل التفوق المادي والتقني فقط إذ ستجد توفر عوامل أخرى إيجابية في جبهته أو توفر عوامل شديدة السلبية في جبهة الآخر لا تنحصر في تخلفه المادي والتقني. وإلا كيف تفسر الحالات التي تأتي النتيجة فيها عكس ذلك؟

هـنا نحن أمام خيارين إما تفسير حالة واحدة والوقوف عاجزين عن تفسير الحـالات الأخرى، حين نرجع الأسباب إلى عامل واحد أو عاملين أو ثلاثة فقط، ومن ثم لن نخرج بنظرية متماسكة في فهم قوانين الحرب، والأخطر أننا لن نستطيع معالجة أي حرب تواجهنا الأضمن المحدودية الضيقة التي حصرنا أنفسنا فيها، مثلاً إذا قلـنا إن التفوق المادي والتقني هو الحاسم فسيؤدي هذا إلى العجز في مواجهة خـصم متفوق علينا مادياً وتقنياً، ليس هذا فحسب وإنما أيضاً سنفشل أمام خصم نحسن متفوقين عليه مادياً وتقنياً إذا عرف كيف يفيد من العوامل الأخرى و يجعلها تعمل في مصلحته.

أما الخيار الثاني فهو أن ترى الحرب في إطار هذه الوحدة المتشابكة المتفاعلة مسن العوامل والتي تتفاوت مقاديرها، أو نسبة تأثير كل منها وأهميته من حرب إلى حرب، ومن زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، ومن جبهة إلى أخرى.

وإذا قبلت هذه الموضوعة فسوف يكون بالإمكان تفسير كل نصر وكل هزيمة تفسيراً علمياً دقيقاً يكون بمجموعه مفهوماً متماسكاً في مستوى النظرية العلمية، كما سيكون بالإمكان - وهذا هو الأهم - معالجة كل حرب تواجهنا معالجة علمية دقيقة تؤمن النصر، أو في الحالات التي تكون فيها كل الرياح معاكسة لنا تجنبنا هزيمة ساحقة.

والآن لندخل في تمعن أعمق في فهم قوانين النصر والهزيمة في الحرب.

طبعاً من السهل القول إن الجبهة التي تكون كل تلك العوامل في مصلحتها ستنتصر حتماً، ولكن، عملياً، لم توجد بعد تلك الجبهة التي تتوفر فيها كل تلك العوامل في مصلحتها دفعة واحدة، وعندما توجد يكون "زمان" الحروب قد ولّى. ولكن الذي هو واقع فعلاً، أن إيجابيات هذه العوامل وسلبياتها تكون موزعة بين الطرفين بنسب متفاوتة أو متقاربة حسب كل حالة.

فمــثلاً قــد تتوفر لدى أحد الطرفين بعض تلك العوامل بصورة متفوقة على نظيراتهــا لــدى الطــرف الآخر، كأن يكون متفوقاً بحجم القوات وكثافة النيران والحــركة التكتيكــية والدعم اللوجستيقي، فيما يكون خصمه متفوقاً بالجوانب الــسياسية والتنظيمــية وعدالة القضية وصحة الاستراتيجية والتكتيك المستخدمين وتأيــيد الــرأي العــام المحلي والعالمي وحسن التأقلم مع الأرض التي يقاتل عليها، وصفات الشجاعة والذكاء لدى قادته وكوادره وجنوده (أو مقاتليه).

هـنا يدخل كل طرف في صراع مع الطرف الآخر، في محاولة، لجعل حوانبه الإيجابية - نقاط ضعفه - ولتحويل الإيجابية - نقاط ضعفه الطرف الآخر لتتقرر في ذلك المجال مع محاولة إلغاء نقاط قوة الطرف المقابل، أو إنقاصها وإضعافها، وتجنب تحويل المعركة إلى تلك النقاط. وهذا ما سيفعله الطرف الآخر تماماً، أو على الأصح، الشيء نفسه، ولكن بصورة نفى لمحاولات الطرف الآخر.

يتقسرر النسصر في مصلحة الطرف الذي ينجح في تصعيد إيجابياته إلى الحدّ الأقسصى ويجعلها تعوض عن سلبياته، وتوازي، أو تتفوق على إيجابيات الخصم في المحسالات التي يستطيع أن يجاريه فيها. ولكن ثمة شرط آخر وهو أن تكون شروط وظروف فعل ذلك ممكنة. لأن المسألة ليست متوقفة على الإرادة فقط.

فعلى سبيل المثال إذا كانت الجزائر أضعف من الاستعمار الفرنسي من ناحية القوات المسلحة وكثافة النيران والتقنية فسيكون من السخف أن تحاول منازلتها في هـذه الميادين، ولهذا فقد راحت تركز على مجموعة من العوامل الأخرى - القتال الغـواري مـن الحـبل والمدينة والعمل السياسي المحلي والعالمي وفي داخل فرنسا بالذات، وتبني الاستراتيجية والتكتيك المناسبين عسكرياً. مما أدى في النهاية إلى شل إرادة الاسـتعمار الفرنسسي والهاكه. مما اضطره إلى التراجع والتسليم باستقلال الجزائه. ولكـن كان شرط الوصول إلى هذه النتيجة إلى جانب القدرة على بقاء المقاومة هو ظرف عربي وعالمي موائم وفي غير مصلحة فرنسا. والدليل أن الثورات الجزائه سي القرن التاسع عشر بعد احتلال الجزائر في 1833 لم تكن أقل قوة أو عزيمة من الثورة الجزائرية التي تكللت بالانتصار.

ثمة حروب كثيرة لعبت فيها بعض تلك العوامل دوراً حاسماً بينما ثمة حروب أخرى لعبت فيها بعض العوامل الأخرى الدور الحاسم وهكذا، وهذا ما يفسر لماذا نشأت نظريات متضاربة حول أهمية كل عامل من تلك العوامل فمثلاً نظرية أردان دوبيك ARDANT DU PICQ التي تقول إن العامل الحاسم في الحرب ليس عمل السصدام أي قوة السلاح وإنما إرادة القتال لدى المتحاربين. وهنالك نظرية يتبناها لسيدل هارت وقد نقلها عن نابليون وفوش تقول إن الهزيمة تتقرر في عقول القيادة المقابلة ومعنوياتما وليس بعدد القتلى في المعركة.

وهنالك نظرية شائعة تقول بتفوق الجانب المادي - القوات المسلحة والتقنية والعلوم وكثافة السنيران والحركة التكتيكية - وقد تبناها هتلر بقوة وكذلك الجنرالات الأميركيون. وهنالك نظرية تويني وفوللر التي تقول بأولوية العامل التكتيكي - والتقنية. وهنالك نظرية دانتون التي تعتبر أن الشجاعة هي كل شيء، وهنالك نظرية كلاوزيفتز حول أولوية الوضع الاقتصادي والمدني. وهنالك نظرية

لينين حول الانتفاضة العامة المسلحة أو تعريفه للاستراتيجية (مرّ ذكره)؛ وثمة نظرية ماوتسسي حسول تطويست المدن من الريف أو حول الحرب الشعبية طويلة الأمد. وهنالك النظرية الغوارية التي تبناها كاسترو وتشي غيفارا وهنالك كثيرون ركزوا على الإيمان والشجاعة والتضحية.

وهكذا في الواقع، ما من نظرية بين هذه النظريات لا تستطيع أن تأتي بالـشواهد العملية والتاريخية لإثبات جانب الصحة في موضوعتها. إذ إن في كل حرب لعبت مجموعة ما من تلك العوامل دوراً أكثر حسماً من بقية العوامل. ولكن من الخطأ محاولة تكرار نجاح ما في ظروف حرب مختلفة لأن النتيجة ستجيء، بل حاءت في الغالب، مغايرة. فكل حرب يجب أن تقرأ ضمن خصوصياتها وزمافها ومكافيا وماحية ثم يصار إلى تحديد ومكافيا وماحية والتكتيك المناسبين وما يجب أن يركز عليه من عوامل الانتصار أكثر من غيره.

ثمة مجموعة من السمات يجب ملاحظتها حول العلاقة بين هذه العوامل:

أولاً: كل عامل من هذه العوامل ليس مقداراً ثابتاً إذ يمكن تصعيده وتطويره أكثر فأكثر باستمرار ليلعب دوراً أكثر حسماً باستمرار.

ثانياً: إن زيادة تصعيد وتطوير أحد هذه العوامل أو مجموعة منها يمكن أن يصل إلى حدّ يعوض فيه عن النقص أو التخلف في العوامل الأخرى، أو بمعنى آخر يمكن أن يقابل تفوق العدو في مجال آخر.

- عاولـــة الـــتفوق عليه في تلك المجموعة من العوامل بالذات، أي إذا كان مـــتفوقاً تقنياً مثلاً، محاولة اللحاق به والتفوق عليه في المجال التقني ولكن هـــذه العملية تحتاج إلى توفر شروط مادية وذاتية لمثل هذا السباق. وإذا لم يكن هذا ممكناً وهذا ما يحدث في أغلب الحالات فيعمد إلى.
- محاولة التفوق عليه في مجال آخر، أو عدة مجالات، تفوقاً حاسماً يعوض النقص ويتخطى تفوقه، ولكن هذا يشترط العمل على تخفيف تأثير تفوقه

في بحاله بالذات مثلاً إذا كان متفوقاً في الطيران فيجب محاولة تخفيف تأثير هــذا الــسلاح عـن طريق التحصين الجيد، أو التمويه الجيد، والتوزيع الحــصيف للقــوات والمنــشآت، وتقوية الدفاع الأرضي المضاد، وتعزيز المعـنويات في تحمل القصف والدمار. بينما يعمد على تصعيد التفوق عليه في إحــدى مجالات التكتيك الأخرى - حسب الظروف - تفوقاً حاسماً، مثلاً سرعة الحركة، المفاجأة، التركيز، التوزيع.

رابعا: مسسألة تحديد العوامل التي يجب أن تركز عليها في جبهتك لتحقيق التفوق أو تعويض تفوق العدو، وتحديد العوامل التي يجب إلغاء تأثيرها أو تخفيفه في جبهة العدو - وهي نقاط قوته - وتحديد عوامل الضعف في جبهته التي يجب التركيز على استغلالها في مصلحتك ومحاولة منع العدو من إلغاء تأثير نقاط قوتك والتركيز على استغلال نقاط ضعفك في مصلحته. كل ذلك محكوم بالظروف المادية المعطاة في كل جبهة من جهة ومحكوم بدور العامل الذاتي، خاصة القيادة، في تحديد كل ذلك وفي قيادة العمل بنجاح تكتيكياً واستراتيجياً من جهة أخرى. كما هو محكوم بالظروف وموازين القوى والوضع الإقليمي والعالمي.

خامساً: بعد تحديد العوامل التي يجب التركيز عليها في جبهتك وكذلك تحديد المضادات ضد نقاط قوة العدو وتحديد استراتيجية وتكتيك العمل في أثناء عملية الصراع عليك أن تكتشف القوانين الخاصة للعمل في كل مجال، فمثلاً لا يكفي أن تقول يجب التركيز على عامل التنظيم، أو على العمل السياسي، إذ يجب أن تحدد استراتيجية وتكتيك العمل في ذلك المجال تحديداً صحيحاً لتأمين أقصى درجات التفوق فيه.

سادساً: إن التركيز على مجموعة العوامل التي يقدر ألها ستلعب الدور الحاسم في تحقيق الانتصار لا يعني إهمال، أو احتقار، العوامل الأخرى، بل يجب الاهتمام هما قدر المستطاع لتسهم إيجابياً، بالرغم من قدراتك أو إمكاناتك المحدودة فيها، في تعزيز مجموعة العوامل الرئيسة التي لها الأولوية.

وخلاصـــة، إن المقصود مما تقدم هو رفض التقليل من شأن أي عامل من العوامل الخمـــسة عـــشر المذكورة، كما رفض الانتهاء إلى نتيجة تقول إن هنالك عاملاً أشدّ

حــسماً في كل الحالات. لأن مجال الخيار هنا لا يأخذ شكل طرح كل هذه العوامل أمام المرء ليختار من بينها العوامل التي يجب أن تتوفر في حبهته، بصورة متفوقة.

فمــثلاً لا يــستطيع جنرالات دولة إمبريالية أن يختاروا عامل عدالة القضية لــيكون إلى جانــبهم، كما أن قادة حرب شعبية في بلد متخلف لا يستطيعون أن يختاروا عامل التفوق في النيران والتكنولوجيا على دولة إمبريالية كبرى.

إن هـذه الموضوعة تستهدف الإشارة إلى توزع هذه العوامل، إيجابياً وسلبياً، بين كـل جبهتين متحاربتين، توزعاً مختلفاً متنوعاً في كل حرب. وهنا يأتي دور العامـل الذاتي - القيادة أساساً - لجعل العوامل الإيجابية في جبهتها هي التي تلعب الحدور الحاسم في تقرير مصير الحرب المعطاة. وهذا يعني أن فهم طبيعة العلاقة بين بحمـوعة العـوامل التي تؤثر في الحرب، ومن ثم اكتشاف أصح أساليب معالجتها اسـتراتيجياً وتكتيكياً، يفتح آفاقاً واسعة للعمل الناجح ضمن كل ظروف حرب، ومهمـا يكن الوضع معقداً، أو العدو متفوقاً. وبكلمات أخرى، إن هذه الموضوعة تـؤكد - للشعوب بعامة، أن هنالك، دائماً، طريقاً أو طرقاً لتحقيق الانتصار على عدو متفوق ببعض العوامل وذلك بوساطة تطبيق:

- 1. نظرية التخفيف حتى الحدّ الأدنى من أثر نقاط تفوق العدو عن طريق إجسراءات دفاعية، ومضادات، وإيجاد التكتيك الأنسب في مواجهتها. ومراعاة مبدأ الأمن ضدها.
- 2. نظرية التعويض، أو على الأصح نظرية تصعيد تأثير العوامل الإيجابية حتى الحدد الأقصى لتقوم بالتعويض عن الجالات التي يتفوق فيها العدو وفي مقدمها الاعتماد على بناء الإنسان ودعم الشعب وتشكيل أوسع جبهة داخلية وجبهات شعبية شقيقة أو صديقة مناصرة، وكسب الرأي العام وعزل العدو سياسياً.
- نظــرية نقل المعركة، قدر الإمكان، إلى نقاط ضعف العدو وحيث نقاط قوتك ليقرر مصير الحرب في هذه الميادين.
- 4. نظرية استمرار تصعيد التعويض والمضادات، والتركيز على الدفاع في محالات وتركيز الهجوم في مجالات أحرى.

وبعد،

فيان مفتاح النجاح في معالجة قضايا الحرب هو بيد العنصر الإنساني ووعيه وفعله في ظروف محددة. وهنا يقفز إلى المقدمة التقدير الصحيح للوضع العام وللموقف ومن ثم اكتشاف الاستراتيجية الأنسب وترجمتها من خلال الحرص دائماً على أن يبقى الخط الفكري والسياسي صحيحاً.

# الفصل الخامس

بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى

# بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى (1)

- 1 -

#### مدخل

عـندما تقوم حروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى، يركز الجميع على الحماسة الدينية التي بثها الإسلام في قلوب العرب فجعلهم يعجلون لنيل الشهادة، وقـد حرصـوا على كسب الآخرة أكثر مما حرص أعداؤهم على كسب الدنيا. وبولغ في إبراز هذه الناحية إلى حدّ طغت معه على كل ما عداها.

فالسذين أرّخوا لتلك الحروب من زاوية عربية إسلامية، أرادوا، أساساً، من تسناول تلك المعارك إظهار الدور الذي لعبه الإيمان في كسب تلك الحروب. مما حوّل تلك المعارك إلى سلسلة من البطولات الفردية والجماعية، وضروب الشجاعة الخارقة، الأمر الذي جعلهم يقدمون تاريخ تلك الحروب على شكل قصص، وقصائد، وروايات. وقد أدى هذا إلى طمس جانب الفنّ العسكري في تلك الحروب، وإضاعة ما أحدثه القادة العرب المسلمون من تطوير في هذا الفنّ استراتيجياً وتكتيكياً. فلو أخذنا مثلاً كتاب "المدرسة العسكرية الإسلامية" للأستاذ عمد فرح السذي حاول أن يقدم الموضوع من خلال تحليل علمي عسكري، لوجدناه يستهلك معظم الكتاب في إبراز تلك الناحية التي أشرنا إليها. وبالرغم من أنسه حساول في بعض الأحيان تناول الفنّ العسكري الإسلامي إلا أنه حوّله إلى غسبارات تقريظ ومديح مع قليل من التحليل لدعم عباراته. بل إنه حاول في آخر

<sup>(1)</sup> نــشرت هذه الدراسة في مجلة "دراسات عربية" - العدد 6، نيسان/أبريل 1972. ونقلت هنا كما هي مع بعض التتقيح الطفيف.

فــصول مــؤلفه أن يظهر كيف طبّق المسلمون قواعد علم الحرب التي استخلصها كلاوزيفتــز وجوميني وفوللر، بعد اثني عشر قرناً. بيد أن حروب المسلمين الأوائل كان يمكن أن تكون أساساً لاشتقاق تلك القواعد التي اشتقت، من دراسة حروب نابليون.

أما الذين أرّخوا لتلك الحروب من زاوية معادية للعرب والمسلمين فقد التقوا في الجوهر مع ذلك المنطق، فقد راحوا يصورون الجيوش العربية الإسلامية أرتالاً من المتعصبين الذين امتلأوا بالحماسة لدخول الجنة فراحوا يكتسحون كل ما أمامهم بمحمات محمومة دون أن يمتلكوا ناصية علم الحرب. فلو أخذنا مثلاً كلتاب الجنرال ج. ب. غلوب "الفتوحات العربية الكبرى"، لوجدناه يؤكد المرة تلو الأخرى على تخلف العرب المسلمين من ناحية الفن العسكري. بل حتى إنه حسين كان يمر ببعض التفصيلات المدهشة في تلك المعارك كان يحاول تقديمها بسروح تنكر عليها وحود استراتيجية عملانية وتكتيك عسكري متطورين جداً.

وإذا كان المرء يجد بعض العذر لمحمد فرج حين لم يوفق، إلا بحدود، بالرغم من جهده المشكور والمقدّر، في تقويم تلك الحروب من زاوية علمية عسكرية، إلا أن المرء لا يستطيع أن يجد أي عذر للجنرال غلوب، لا سيما وأنه قدم تلك الحروب مدعومة بتفصيلات وخرائط تتناول فيها العمليات والتكتيك، ولم يبق إلا الخروج بالاستنتاجات المنطقية من تلك التفصيلات والخرائط إلا أن تعصبه الأعمى قاده إلى استنتاجات ليسست خاطئة فحسب، وإنما منافية أيضاً للروح العلمية والأمانة. علماً أنه مطلع على كلاوزيفتز.

ومن هنا، فيان النقطة الأولى التي لا بدّ من إجلائها هي أن الانتصارات العسسكرية التي تحققت في حروب الفتوحات الأولى لم تكن نتاج الحماسة الدينية فحسب، وإنما أيضاً، نتاج وجود فنّ عسكري متطور حداً ووجود قيادات استراتيجية وتكتيكية على أعلى مستوى.

إن هــذه الموضــوعة لا تستهدف الإنقاص من أهمية الجانب المعنوي لا من قــريب ولا من بعيد، ولكنها تستهدف إبراز جانب الفنّ العسكري، وإن كان من

الضروري قبل إبراز ذلك الجانب رؤية العلاقة بين احتماع القوة المعنوية التي ولدها الإسلام في العرب والفنّ العسكري.

## الجانب المعنوي والفن العسكري:

حصص كلاوزيفت جزءًا كبيراً من كتابه "حول الحرب" (ON WAR) على إبراز أهمية الجانب المعنوي في الحرب، لا سيما، الشجاعة والاستبسال في القتال. ولهذا فيان مناقشة أهمية الناحية المعنوية مسألة مفروغ منها. ولكن، لا يعني هذا أن الحروب تكسب، فقط، بتوفر التفوق المعنوي. إذ إن أهمية الفنّ العسكري – الاستراتيجية والعمليات وقيادة التكتيك في المعركة – لا تقل أهمية عن الجانب المعنوي فهما صنوان كل منهما يكمل الآخر، ولا يؤدي افتقاد أحدهما إلاّ إلى الهزيمة.

طبعاً لا نقصد القول هنا إن الحرب هي جانب معنوي وفنّ عسكري فقط... إذ هــنالك عــوامل أخرى تلعب دوراً هاماً في مصير الحرب مثل التفوق العددي والستقني والوضع المدني والاقتصادي. إن الذي يناقش الآن هو العلاقة بين الجانب المعنوي والفنّ العسكري في الفتوحات العربية الإسلامية الأولى.

ثمة جواب بسيط على أولئك الذين يفسرون الانتصارات العربية الإسلامية من زاوية واحدة فقط هي الحماسة الدينية. إذ كيف يستطيعون أن يفسروا بعض الهرزائم السيق مين بها المسلمون عندما كانوا في أوج حماستهم الدينية وشغفهم بالاستشهاد. فإذا أخذنا معركة أحد فلن نجد وهناً في إيمان المسلمين، وإنما سنجد الهريمة نتاج خطأ تكتيكي ارتكبه رماة النبل عندما تخلوا عن موقعهم الذي حدده الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وأمرهم ألا يتخلوا عنه تحت أي ظرف من الظروف. هنا نجد أن الحماسة الدينية والشغف بالاستشهاد لم يؤديا إلى نصر عندما وقصع خلل تكتيكي، وقد استغله خالد بن الوليد الذي احتفظ بقوة الاحتياط. ولم يستخدمها حيق وهو يرى قريش تنهزم وتولي الأدبار. ولكنه استخدمها عندما لاحت الفرصة المناسبة واللحظة الحاسمة.

هـــذا ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن معركة الجسر ومعركة مؤتة بالإضافة إلى عـــدة حــوادث هزم فيها المقاتلون المسلمون مثل هزيمة عقبة بن نافع وكامل

حيــشه الــذي كان معه على يد "البربر" في شمالي أفريقيا، أو الأربعة آلاف مسلم الذي شقوا طريقهم إلى باكو بعد معركة نهاوند حيث قضى عليهم الخزر ولم ينجُ منهم أحد.

إن المسلمين في هذه المعارك طلبوا الاستشهاد بقوة لا تقل عن أية معركة ظافرة أخرى إن لم تزد عليها. في الواقع لا يستطيع أحد أن يجد مطعناً من الناحية المعنوية في تلك الهزائم، بل على العكس سيجد طغيان الناحية المعنوية كان قوياً إلى حدد أهملت بسببه بعض القواعد الأساسية في الحرب.. تلك القواعد التي حرص عليها المسلمون في كل معاركهم الظافرة.

إذا أردنا أن نقوم الأهمية المعنوية التي لعبها الإسلام في حروب الفتوحات فسنجد تلك الأهمية تتجلى:

#### أولاً: من الناحية الاستراتيجية:

استطاع الإسلام أن يوحد العرب في الجزيرة العربية، ثم في سائر المناطق التي تسواحد فيها العرب خارج الجزيرة، وبث فيهم روحاً ثورية عالية لنقل الإسلام خسارج حدودهم: (حمل الرسالة). ومن ثم كوّن الجيوش الجرارة، وحقق ما نسميه السيوم بالتعبئة العامة والحرب الكلية. وهي الأساس الذي ارتكزت عليه حروب نابليون بفضل الثورة الفرنسية.

#### ثانياً: الناحية التكتيكية والعملانية:

- 1. ولدت ثورة الإسلام قوات منظمة، وأرست قواعد الانضباط الصارم، مما عوّض النقص في التدريب النظامي.
- 2. أدت الحماسة الإيمانية والشغف بالاستشهاد إلى إنجاح عمليات المناورة السي تتطلب جهوداً كبيرة على تحمل صعوبات السير مئات الأميال، وتحمل كل أنواع المشقات وشظف الحياة القتالية ولكن هذه العمليات تسدخل في إطار "التكتيك الكبير"، كما أسماه نابليون. هذا فضلاً عن السدور التكتيكي في المعركة نفسها حيث أصبحت هجمات الصدام تتميز بزخم شديد للغاية. كان يأتي بعد المناورة وتحديد اتجاه الضربة الرئيسة.

إن ما تقدم لا يغطي كل شيء ولكنه يلقي ضوءا على الأهمية الحاسمة، والأثر الكبير للدور الذي لعبته الناحية المعنوية استراتيجياً وتكتيكياً، بل يمكن القول إن الفين العبسكري العربي الإسلامي ما كان له أن يتجلى بأروع صورة لولا توفر الناحية المعنوية تلك.

ولكن، كما سبق وقدمنا القول إن الناحية المعنوية وحدها ما كانت لتستطيع أن تحقق الانتصارات لولا أن توفر إلى جانبها مجتمع معبأ تم توحيده مع فن عسكري مستطور جداً. فما هو هذا الفنّ العسكري الذي لعب دوراً حاسماً هو الآخر؟

لكي نقوم المستوى الذي كان عليه الفنّ العسكري في تلك الحروب، سنعقد مقارنة بينه وبين نظيره في حروب نابليون بونابرت. وهنا ينشأ سؤالان:

الأول: لماذا المقارنة مع حروب نابليون؟ تعتبر حروب نابليون - استراتيجية عملياته وتكتيكه - الأساس الذي قام عليه علم الحرب الحديث. إذ لا يختلف اثنان مسن مؤرخي ومنظري الحرب، في الغرب في أن نابليون يشكل نقطة الانعطاف التاريخية في فنّ الحرب، فالجميع يتفقون على أن الحروب قبل نابليون كانت عبارة عن تحرك الجيش المركز من نقطة في المكان إلى ساحة المعركة حيث يلتقي الجيشان في معركة تخلو من المناورة الاستراتيجية، وفي أحسن الحالات تتضمن بعض المناورات التكتيكية.

ولكن الحرب في عهد نابليون أصبحت حرب حركة... تتميز بمناورات استراتيجية أسماها "التكتيك الكبير" تلعب دوراً حاسماً في تقرير مصير الاشتباك قسبل حدوثه. ولهذا نظر كلاوزيفتز وجوميني لعلم الحرب المعاصر انطلاقاً من دراسة حسروب نابلسيون. وسسار على نهجها من جاء بعدهما من مؤرخين ومنظرين.

في الواقع إن كل الذين كتبوا عن تاريخ الحروب، وقوّموا حروب نابليون، تحاهل والعسروب العسربية الإسلامية، ربما بسبب الجهل، أو التجاهل، بالدرجة الأولى، لأن نظرة سريعة إلى الفنّ العسكري الذي استخدم في حروب الفتوحات تكفى للخروج بالموضوعتين التاليتين:

- أ. لا يمكن وضبع حروب الفتوحات الإسلامية من ناحية الفنّ العسكري استراتيجياً وتكتيكياً ضمن عائلة الحروب التي سبقت عهد نابليون، لأنها تمتاز عليها بكل ما امتازت به حروب نابليون. وذلك بالرغم من انتمائها زمنياً إلى عهود ما قبل مرحلة نابليون.
- ب. إن التطوير الذي أحدثه نابليون على فنّ الحرب، قد سبق واستحدث قبل ذلك بأكثر من ألف ومائة عام على يد العرب المسلمين، رغم أن التطوير الذي حاء به نابليون لم يكن استمراراً موصول النسب بالتطوير الذي أحدثه العرب. أو في الأقل لم يقم الدليل حتى الآن على أن نابليون أطلع على حروب الفتوحات. ومع ذلك من غير المستبعد أن يكون قد اطلع على حروب المشهور بشديد اهتمامه بدراسته تاريخ الحروب القديمة.

السناني: هـل من الصحيح إجراء مقارنة بين حروب نابليون وبين حروب الفتوحات؟ حقاً إن إجراء مثل هذه المقارنة يتضمن مخاطرة كبيرة لأن كلاً من تلك الحسروب قد وقع ضمن ظروف مختلفة اختلافاً جوهرياً... إنها مختلفة زماناً أي من ناحية الستطور التقني وأداة الحرب وقوى الإنتاج والعلوم، وهي مختلفة من ناحية المكان أي طبيعة الأرض والمناخ والظروف المادية والبشرية... وهي مختلفة من حيث طبيعة كل منهما. أي من ناحية الأهداف التي قامت تلك الحروب من أجل تحقيقها، كما من ناحية القوى التي قادتها. ولكن إذا أخذنا هذه الاختلافات بعين الاعتبار وأجرينا المقارنة فسنجد تلك المقارنة مسوّغة، خاصة، عندما نضع أيدينا علي أوجه الشبه بالرغم من تلك الاختلافات. ولكن يجب التذكر في أثناء المقارنة أن الجانب النابليوي كان تلك الاختلافات. ولكن يجب التذكر في أثناء المقارنة أن الجانب النابليوي كان أكثر تطوراً بسبب تطور الأسلحة ووسائط النقل والعلوم والإنتاج. ولكن في الاتجاه نفسه.

على أن الحكم الفيصل سيتقرر بعد خوضنا لهذه المخاطرة إذ سيظهر بالبرهان الملموس إن كنا على حقّ في ما ذهبنا إليه.

#### حروب نابليون وخالد بن الوليد

يقسسم الجنرال الفرنسي أندريه بوفر ANDRE BEAUFRE (1975 – 1902) في كتابه "مدخل إلى الاستراتيجية" INTRODUCTION TO STRATEGY تاريخ الحروب إلى عدة مراحل يهمنا منها الآن المرحلة الأولى والمرحلة الثانية. أما المرحلة الأولى فتمتد منذ أولى الحروب التي سجلها التاريخ حتى نهاية القرن الثامن عشر، أو علسى الستحديد، حتى نابليون وقد تميّزت هذه المرحلة الأخيرة باستقلال كل من العمليات والاشستباك، أي كانت العمليات والمعركة شيئين مختلفين مستقلين عن بعضهما البعض.

يسرجع السبب في ذلك إلى أن مستوى تطور المعدات العسكرية والسلاح لا يتيع لوحدة صغيرة معزولة أن تقاوم مدة طويلة، أي إذا كان عليك التحرك بأمن فسيجب أن يكون جيشك متراصا يسير ككتلة واحدة. ولهذا فقد كانت عملية انتقال الجيش عبارة عن انتقال من نقطة إلى نقطة أخرى لمواجهة العدو. وكان من الممكن لأحد الجيشين أو لكليهما رفض القتال عن طريق الانسحاب من نقطة الالستقاء، أو بعبارة أخرى لم تكن هنالك عمليات تطويق استراتيجي ومناورات استراتيجية تفرض على العدو معركة سواء أرضي أم أبي. لذا كان على الجنرال أن يدخل المعركة بعد أن يؤمّن تفوقاً عددياً أو وضعاً أقوى.

أما المرحلة الثانية - مرحلة حروب نابليون - فقد أصبحت العمليات والمعركة شيئين متمايزين ولكنهما مرحلتان متداخلتان. فقد تم على يد نابليون الجمع بين نظام التشكيلات المرنة للعمليات وبين التركيز المطلوب للمعركة. أما أعداؤه فظلوا يناورون مركزين. وقد أدى توزيع نابليون لقواته بعد أن قسمها إلى جيوش وحركها من نقاط مختلفة إلى شل عدوه وجعله لا يدري أين ستكون نقطة التركيز في المعركة.

و بهـــذا كــان بمقدور نابليون محاصرة العدو كما حدث في أو لم ULM، أو الالـــتفاف من خلفه وقطع خطوط مواصلاته وإجباره على القتال، كما حدث في

معركة جينا JENA. ومن ثم كان العدو مضطراً على خوض المعركة حتى ضمن ظروف غير ملائمة. وهنا كانت العمليات الاستراتيجية هي العامل الحاسم أكثر من المعركة.

وبكلمات أخرى كان تحرك جيوش نابليون سريعاً مرناً يستطيع أن ينسحب إذا شاء ويسستطيع أن يفرض على العدو المعركة من دون أن يتيح له إمكان الانسحاب. الأمر الذي جعل استراتيجية العمليات تؤمن له نصراً بعد نصر.

أما الجنرال البريطاني د. ك. باليت D.K. PALIT (من منظري الاستراتيجية النووية. وقد مر ذكره) في كتابه "أوليات المعرفة العسكرية" THE ESSENTIALS فيعتبر هو الآخر نابليون نقطة الأساس في العلم العسكري الحديث، ويرى أن الثورة الفرنسية خلقت الظروف التي أتاحت لنابليون استغلالها. وذلك حين أصبح بالمقدور أن يقسم الجيش الشعبي إلى عدة جيوش كل جيش منها تحت قيادة مستقلة، وكل جيش يتشكل من مختلف الأسلحة وقادر على خوض معارك بمفرده. الأمر الذي فتح إمكانات استراتيجية وتكتيكية جديدة.

وكــذلك أدى تطوير الطرقات ووسائط النقل إلى زيادة قوة المناورة. وولد مفاهــيم مثل "خطوط العمليات" و"الخطوط الداخلية"، و"الخطوط الخارجية" في حين كان أعداء نابليون يعملون ضمن جيوش مكثفة تحت قيادة مركزية مما جعلهم غير قادرين على ممارسة المناورة الاستراتيجية والمناورات التكتيكية. أما نابليون فقد كانــت فــرقه المنفــصلة تعمل على نقاط متباعدة، وذات إمكانات على المناورة الذاتــية. ومــن ثم كانت قادرة على رسم خطة للمعركة بمرونة أكبر وقوة حركة أسرع.

كان نابليون قادراً على تقسيم التنفيذ إلى مرحلتين منفصلتين - مرحلة المسناورات قبل الاشتباك ومرحلة المعركة نفسها. فقد استهدف من المرحلة الأولى كسب موقع استراتيجي من خلال تتابع تحرك مختلف الفرق التي تقوم بتطويق العدو أو الالتفاف على أحد أجنحته بحركة فائقة كما حدث في "أو لم"، أو قطع خطوط مواصلاته كما حدث في "جينا". وأخيراً عندما يوضع العدو في وضع غير

ملائه له، كهان نابليون ينفذ المرحلة الثانية من خلال تجميع جيوشه أو فرقه والإطباق على العدو بتشكيلات هجومية.

أما جوميني JOMINI الذي عمل تحت قيادة نابليون والذي يعتبر أفضل من أرّخ لحروب نابليون من الناحية العسكرية العمليانية والتكتيكية. فقد ركّز في كتابه "خلاصة فنّ الحرب" SUMMARY OF THE ART OF WAR على أهم الدروس السيّ استقاها من حروب نابليون. وهي حلب القسم الأعظم من قوات الجيش بالتتابع من خلال إجراءات استراتيجية إلى المسرح الرئيس في الحرب، على أن تقطع طرق مواصلات العدو دون أن تعرض طرق مواصلاتها هي إلى الخطر. إن المناورة بمذه الطريقة تستهدف وضع قواتك الرئيسة ضد أجزاء من قوات العدو. وهذا لا يكفي أن يكون حلب تلك القوات إلى احتلال النقاط الحاسمة فحسب، وإنما يجب أيضاً جعلها تعمل بسرعة وجماعياً بحيث تقوم بجهد موحد.

وإذا كان كلاوسيفتز CLAUSEWITZ قد حلل حروب نابليون ضمن تلك الخطـوط إلا أنه اهتم بصورة خاصة في كتابه "حول الحرب" (ON WAR) في مسألة أخذ القرار الاستراتيجي الحاسم الذي يعني دفع الحرب "إلى حدها الأقصى" حيث يجـب أن تنتهي إما بسحق العدو نهائياً أو بالإطاحة به إطاحة كاملة. كما كانت استراتيجية نابليون دائماً. كما اهتم دور الجانب المدني للأمة في الحرب.

أما جيمس مارشال كورنول JAMES MARSHAL-CORNWALL في مــؤلفه الضخم "نابليون كقائد عسكري" NAPOLION AS MILITARY فقــد حــاول أن يــبرهن علــى التطوير الذي عرفه الفنّ العسكري على يد نابليون لم يكن من إبداع نابليون بالذات، وإنما سبق وولدته الــتحارب السابقة، وتناولته كتابات عسكرية تقدمت على عصر نابليون. أما دور نابليون فقد تلخص بالتطبيق الخلاق لكل التجارب والكتابات على أرض الحرب والمعركة، فمثلاً:

أ. المبدأ التكتيكي الذي سبق واستخلصته – الثورة الفرنسية في الفترة ما بين
 COLUMNS – 1792 – 1795. وهو أن يشنّ القائد هجومه الرئيسي بأرتال مكثفة هجومية ضد النقطة التي يعتبرها مفتاح موقع العدو، وبعد أن يكون

قد زعزع الدفاع بنيران تحضيرية عن طريق المناوشين SKIRMISHERS وتركيسز المدفعية. أما إضافة نابليون على هذا المبدأ فلم تتعد زيادة نسبة المدافع والاحتفاظ بمدفعية احتياط تحت تصرفه من أجل تركز نيرانها عندما تصل المعركة أوجها.

ب. وكذلك الحال بالنسبة إلى "التكتيك الكبير" (GRAND TACTICS) والالتفاف حول الأجنحة وتنظيم الجيش إلى فرق وفيالق من أجل امتلاك مرونة أكبر في الزحف وفي المعركة فقد جاء نتيجة تجربة حرب السنوات السبع.

- ج. تــشديد نابليون على ضرورة أن تعيش جنوده من البلاد التي تدخلها، أو تعمــل فــيها. وهـــذا تمتلك حرية المناورة حين تتحرر من الاعتماد على الإمــدادات والمخازن الخلفية هو تقليد الجيوش الثورية. وقد رجع منشأه من حاجة فرنسا إلى إطعام الجيش من خارج الحدود.
- د. كان مارشال كونت دي ساكس MARSHAL COUNT MAURICE النبي العسكرية" DE SAXE (1750 1696) والذي وصفه ليدل هارت بأنه "بني العسكرية" قـــد كتب في مذكراته REVERIES (1732) حول ضرورة زيادة حركة الجيش ومناوراته. واقترح من أجل تحقيق ذلك، تنظيم الجيش على أساس لــيجونات (أو قل فرق باللغة الحديثة) على أن تكون كل فرقة قوة قتالية مستقلة مؤلفة من كل الأسلحة.
- ه... إن تقسيم الجيش إلى حسم رئيس تسبقه قوات طليعة وله احتياط في الأحسنحة حساء نتيجة تجربة حرب السبع سنوات. وقد أكسب هذا التنظيم الجيش مزيداً من الحركة والمناورة إذ أتاح للحسم الرئيسي أن ينشر صفوفه DEPLOY أو يلتف حول أجنحة العدو بينما تكون قواته الطليعية، قد أشغلت الجسم الرئيسي في قوات العدو وجمدته. وكانت هده التسشكيلة هي تشكيلة فرق حيش نابليون عام 1796 في حملته الأولى على بيدمونت PIEDMONT.

إن الفين العسكري هنا يتلخص في تقسيم الجيش إلى عدة أقسام، وابقاء الأقيام تحت سيطرة القائد وضمن تعاون قريب لتجنب هزيمة أي قسم

على حدة من جهة، ومن أجل التركيز للمعركة في اللحظة الحاسمة من الجهة ولكن الجهة الأخرى... إن المبدأ العام هنا هو الزحف بأرتال مختلفة. ولكن القتال يتم على أساس توحيد تلك الأرتال وتركيزها في المعركة.

و. كان الجنرال ج. حيوبرت J.A.H. GUIBERT (1740 – 1740) وهو السندي درسه نابليون حيداً قد كتب. "في الماضي كانت الحركات السخرورية لجعل الجيش يأخذ شكل رتل أو خطّ للمعركة، بطيئة ومعقدة إلى حدّ كانت تستغرق فيه عدة ساعات من أجل أخذ المواقع، وكان على الجيش أن يصطف من مسافة بعيدة عن العدو. أما في المستقبل فيجب أن تكون الحركات بسيطة سريعة متأقلمة مع كل أنواع الأرض. كما يجب أن تنظم تشكيلة القتال في آخر لحظة ومن أقرب مسافة ممكنة من العدو. لأن الأرتال COLUMNS أسهل على المناورة من الخطوط LINES. وذلك لأن تسضييق نقطة الهجوم في اللحظة الأخيرة سيؤدي إلى إرباك العدو وعدم إتاحة فرصة له لمواجهتها".

لقد أراد جيمس كورنول من كل ما تقدم أن يؤكد على أن تلك التطويرات العــسكرية الـــي تنسب إلى نابليون كان مسبوقاً عليها، أما عبقريته فتتلخص في تطبيقها تطبيقاً خلاقاً.

أما فريدريك إنجلز في موضوعته "نظرية القوة" في كتابه "ضد دوهرنغ". فقد أبرز كيف ألغيت قيمة تشكيلة الخطوط LINES القتالية أمام زمر الثوار الأميركيين في حسرب الاستقلال الأميركية حيث أعيد اكتشاف القتال بأسلوب المناوشات. وهسو أسلوب حديد في الحرب جاء نتيجة تغير المادة الإنسانية، أي الرجال الذين يقاتلون من أجل قضية، وليس كجيوش مرتزقة.

ثم يشير إلى الثورة الفرنسية التي أكملت ما بدأته الثورة الأميركية في المجال العسكري حيث واجهت حيوشاً مرتزقة حسنة التدريب بقوات تمثل تجنيد أمة بأسسرها، ولكن كان على الثورة الفرنسية أن تدافع عن باريس وتدخل معارك مكسشوفة مما جعل أسلوب القتال بالمناوشات غير كاف. فتم اكتشاف شكل جديد يستخدم من قبل كتل كبيرة من المقاتلين وهو تشكيلة الرتل COLUMN.

وقد أتاحست هذه التشكيلة إمكان التحرك بسرعة وبدرجة حيدة من النظام بالنسبة إلى قوات ضعيفة التدريب كما أتاحت تشكيلة الرتل إمكان القتال على أي أرض حيى على الأرض التي تعتبر غير مؤاتية إطلاقاً لتشكيلة الخطوط. لقد أتاحت تشكيلة الرتل العمل حنباً إلى جنب مع هجمات من قبل قوات المناوشة لإشغال تشكيلات خطوط العدو وإبقائها في حالة اشتباك وإنحاكها إلى أن تأتي اللحظة المناسبة لتندفع كتل الاحتياط الهجومية فتخرق تلك الخطوط في النقطة الحاسمة.

ويتابع إنحلز قائلاً "إن هذا الأسلوب الجديد في الحرب والقائم على أساس الجمع بين قتال المناوشات وقتال الأرتال، والقائم أيضاً على أساس تقسيم الجيش إلى فرق أو فيالق مستقلة مؤلفة من كل أنماط الأسلحة، قد بلغ غاية كماله على يد نابليون سواء أكان من ناحيته الاستراتيجية أم من ناحيته التكتيكية".

وإلى هـنا، نكون قد استعرضنا كيف يقوم المنظّرون والمؤرخون العسكريون التطوير الذي حدث في فنّ الحرب في عهد حروب نابليون. وهمذا تكون الخطوط الأساسية أو قل السمات الرئيسية التي تميّز هما الفنّ العسكري على يد نابليون قد حـددت، وهـي التي اعتبرت نقطة انعطاف في فنّ الحرب انتقلت به من مرحلة متدنية إلى مرحلة أرقى مختلفة كيفياً عن المراحل التي سبقتها.

ولكن كنا قد زعمنا في مطلع هذا الفصل وقبله في فصول سابقة، أن الفن العسكري في عهد الفتوحات العربية الإسلامية الأولى لا يمكن وضعه استراتيجياً وتكتيكياً ضمن عائلة الحروب التي سبقت عهد نابليون. لأنه يمتاز عليها بكل ما امــتازت به حروب نابليون عليها. فكل ما أحدثه نابليون من تطوير على فن الحرب قد سبق واستحدث قبل ذلك بأكثر من ألف عام (1160 سنة) على يد العــرب المسلمين، والآن، لا بد من إقامة الدليل الذي يحوّل الزعم إلى حقيقة ملموسة.

ولكي تسصح المقارنة يتوجب ملاحظة تلك السمات التي امتاز بها الفنّ العسكري تحت قيادة نابليون كأجزاء أولاً ثم رؤية ديناميكية عملها مجتمعة ثانياً.

### تقسيم الجيش والمناورة الاستراتيجية

يلاحظ من كل الموضوعات السابقة حول نابليون ألها ركّزت على أهمية تقسيمه للجيش إلى فرق أو فيالق، كل منها ذات قيادة مستقلة، وكانت كل فرقة تتشكل من مختلف صنوف الأسلحة وتستطيع الدخول بمعارك منفردة إلى جانسب تحريكها من نقاط مختلفة. مما جعل ساحة الحرب ساحة واسعة جداً تتحرك فسيها تلك الفرق بمناورات استراتيجية لا تسمح للعدو بتحديد اتجاه التركيز ولا مداه، ولا حجمه، كما تؤدي إلى قطع مواصلاته أو تطويقه وإجباره على دخول معركة حتى حين يجد نفسه في وضع غير ملائم. وكان هذا عكس ما جرى عليه التقليد العسكري في الماضي حيث كان الجيش يتحرك ككتلة واحدة جبارة باتجاه نقطة المعركة حيث يلتقي مع الخصم في معركة مسواجهة دون عمليات مناورة استراتيجية، فقد كان الشيء الحاسم هو عملية الاشتباك بالذات.

عـندما حدثت ردة القبائل العربية عن الإسلام قسم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عـنه حيش المسلمين إلى أحد عشر لواء، وجعل على كل لواء قائداً.. وحرّك تلك الألوية لتعمل مستقلة ومتعاونة في آن، فقد كان على كل لواء أن يقوم بعمليات مـستقلة في حبهة محددة، فأحياناً كانت مهمته تثبيت العدو وإزعاجه باستمرار، وأحياناً كانت مهمته الدخول في معركة فاصلة معه، حسب مقتضيات الوضع.

ولكن كان من بين تلك الألوية لواء رئيس يشكل الجسم الرئيس الذي يقوم عهمة الدخول في المعركة الحاسمة مع قوات العدو الواحد بعد الأخرى، وكان على رأس هذا الجيش خالد بن الوليد. وكان كلما واجه قوة رئيسة من قوات المرتدين، يقوم بالتركيز ضدها عن طريق انضمام بعض الألوية الأخرى له. ثم ينتقل ليكرر تلك العملية. وهنا نجد كل ملامح التقسيم الذي يجمع بين مرونة الحركة والمناورة الاستراتيجية وبين التركيز في المعركة.

كان لنجاح هذه التجربة أثر حاسم إذ أصبحت إحدى السمات الرئيسة في الفنّ العسكري في حروب الفتوحات.

ولعلم حملة برّ الشام من أروع الأمثلة على تأكيد هذه النقطة فقد قسّم أبو بكر الصديق (وبالتأكيد، بالتشاور مع صحابة رضي الله عنهم) حيش المسلمين إلى ثلاثة جيوش قاد أحدها عمرو بن العاص، وقاد شرحبيل بن حسنة الجيش الثاني بينما قاد يسزيد بن أبي سفيان الجيش الثالث. وأخذ كل حيش خطّ عمليات مستقل، فانطلق حيش عمرو بن العاص باتجاه العقبة ومنها إلى حنوب فلسطين... بينما كانت منطقة حيش يزيد عبر تبوك ثم شمالاً إلى البحر الميت ومنطقة شرقي الأردن، أما جيش شرحبيل فاتجه شرقاً نحو دمشق وكانت التعليمات التي حملها قادة تلك الجيوش أن يعملوا بتناغم بحيث يظل الاتصال مستمراً في ما بينهم كما يظلل مستمراً في ما بينهم وبين الخليفة. وإذا ما ارتطم أحدهم بمقاومة تعني معركة حاسمة انضم إليه الجيشان الآخران وركزت القيادة بيد القائد الذي تجري العمليات في منطقته. في منطقته.

- أ. منطقة الحرب أصبحت ساحة واسعة جداً تناور فيها الجيوش من حول جيش العدو وعلى خطوطه الداخلية ومن دون أن تفقد الاتصال في ما بيسنها ومن دون تعرّض خطوط مواصلاتها للخطر. وكانت الصحراء من خلفها وكانت قريبة منها لحماية ظهرها وتأمين الانسحاب عند الضرورة. وكان ذلك من شرط توفير أمن القوات.
- ب. الجمــع بــين مرونة المناورة والحركة الاستراتيجية الواسعة وبين التركيز المطلوب للمعركة.
- ج. كل حيش له قيادته المستقلة، ويتشكل من مختلف صنوف الأسلحة وقادر على خوض معارك بمفرده.
- د. إبقاء الاتسال وخط المواصلات مع المركز في المدينة من أجل استمرار التعبئة والتعزيز وإشراف القيادة الاستراتيجية للعمليات. إلى جانب المحافظة على الاتصال وخط المواصلات فيما بين تلك الجيوش الثلاثة.

بــدلاً من أن يقوم الجنرال غلوب هذا التقسيم، واستراتيجية عملياته على ضوء ما يقوم تقسيم جيوش نابليون واستراتيجية عملياته، راح يبدي استغرابه لمــاذا قــسم أبو بكر القوات على هذه الصورة وحاول تأويل ذلك في كتابه

"الفتوحات العربية الكبرى" (الصفحات 131 و132 - الطبعة الإنكليزية) بطرح الاحتمالات التالية:

- 1. "ربما جعل نقص الماء في الصحراء من الضروري التحرك بقوات منفصلة" ولكنه نسي أن هذه النقطة مردود عليها في حملة تبوك التي سبقت ذلك العهد حيث سار جيش موحد من ثلاثين ألفاً إلى تبوك.
- 2. أو ربما "بسبب الحسد بين القادة الذين يرفضون الخدمة تحت بعضهم السبعض". ولكن هذا التأويل أدهى من سابقه، إذ ثمة دلائل كثيرة على أن مسألة الحسد غير واردة، فقد حدم كل أولئك القادة تحت قيادة خالد بن الولسيد في حروب الردة، كما خدموا في ما بعد تحت قيادة خالد في تلك الحملة نفسسها، ثم تحت، قيادة أبي عبيده بن الجراح. بل إن كلمة خليفة المسلمين ما كانت لتخالف عندما كان يختار قائداً عاماً أو عندما كان يعزل قائداً. هذا وثمة أمثلة كثيرة دليلاً على ذلك.
- 3. ويستابع غلسوب: "منطقسياً يمكن الاستنتاج أن أبا بكر أراد لهذه القوات أن تلعسب دور إزعساج أكثسر من غزو البلاد" وهنا أيضاً يسقط منطق غلسوب أمسام جدية الحملة التي دخلت معارك فاصلة. وفتحت بر الشام كله.

ثم كيف يستطيع أن يفسر إعادة تقسيم قوات المسلمين إلى عدة جيوش بعد أن دحرت قوات البيزنطيين في اليرموك وفتحت دمشق. إذا لم يكن هذا التقسيم قد قام على أساس مدروس وفهم كامل لدوره وأهميته وذلك ضمن خطة استراتيجية متكاملة؟ وكيف يفسر نقل أحد الجيوش من جبهة سوريا لتعزيز جبهة العراق، أو نقل أحد الجيوش من جبهة سوريا؟

يبقى السسؤال ما هي العوامل التي جعلت العرب المسلمين يكتشفون هذا السشكل من القتال وتقسيم الجيش؟ إذا كان تقسيم الجيش الفرنسي بعد الثورة قد جاء نتيجة ثلاثة عوامل رئيسة:

أ. عسندما أصبح الجيش كتلاً من الجماهير المعبأة بعد الثورة الفرنسية، أو عسندما أصبح يمثل تجنيد أمة بأسرها كما يقول إنجلز، غدا من الممكن

تقسيمه إلى أرتال وفرق، فإن هذا الشرط توفر لجيوش العرب بعد انتصار ثورة الإسلام التي أصبحت تمثل تجنيد أمة بأسرها.

ب. زيادة كثافة النيران لوحدة صغيرة أتاح لها إمكانات المقاومة مدة أطول، ومن ثم خلقت الشروط لتقسيم الجيش إلى فرق دون تعريض أمنه وحركته للخطر.. إن هذا الشرط لم يتوفر في فترة الفتوحات الأولى، ولكن كان مقابله شرط آخر يؤدي في الجوهر إلى النتيجة نفسها، وهو اعتماد التقليد العربي الصحراوي على سرعة الحركة والمقدرة على الاختفاء والظهور وكثرة التنقل والمناورة، مما أتاح لوحدة صغيرة إمكانات المقاومة مدة أطول من خلال التحرك الخاطف، أو الاختفاء الخاطف أو الظهور الخاطف، أرقى من عمليات المناوشة فهي فن في العمليات قائم بذاته. الأمر الذي أمن هذا إمكان تقسيم الجيش إلى فرق دون تعريض أمنه وحركته للخطر. وهذا بدوره أتاح للعرب المسلمين إمكان اكتشاف أهمية المحافظة على خطوطهم الداخلية والعمل على خطوط العدو الداخلية، لأن العمل العسكري هنا أصبح يعتمد على الحركة والسرعة والاتصال المستمر بالمركز وبالقوات الأخرى من أجل تأمين المساندة والتعاون.

ج. تطور الطرق والمواصلات في عصر نابليون زاد من قوة المناورة إلى جانب تطور وسائط النقل. إن هذا الشرط الذي لعب دوراً هاماً في تقسيم حسيش نابليون وبروز مفاهيم مثل "خطوط العمليات"، و"الخطوط الداخلنية" و"الخطوط الخارجية"، قابله شرط آخر لدى الجيوش العربية الإسلامية وهو خفة أحمالها وسهولة تنقلها وتقاليدها في التنقل والترحال. ومن ثم أصبحت كل الأراضي عبارة عن طرق مواصلات ليست بحاجة لأن تعدد.

#### GRAND TACTICS التكتيك الكبير

قلـنا إن تقسيم الجيش إلى فرق فتح إمكانات واسعة أمام نابليون لتطوير فنّ الحـرب من حيث العمليات الاستراتيجية والمعركة التكتيكية. فقد أصبح بمقدوره

امــتلاك زمام المبادرة في التحرك على خطوط متعددة، بحيث ينسحب من المعركة إذا شــاء بينما يكون قادراً على فرض معركة على العدو من دون أن يترك له مجالاً للانسحاب.

كان العرب المسلمون كما قلنا قد قسموا جيوشهم إلى فرق وطوروا فن الحرب من حيث العمليات الاستراتيجية والمعركة التكتيكية، فعلى سبيل المثال ركزوا قواتهم في اليرموك وجنوبي درعا عندما واجهوا تركيز البيزنطيين بين جبل حوران واليرموك والجولان – في سهل درعا... وكان ذلك الموقع الاستراتيجي يشكل مفتاح بلاد الشام كما تتركز فيه القوات العسكرية للعدو.

وهنا أمر الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد التحرك بجيشه الذي كان يعمل مع جيش المثنى بن حارثة في حبهة العراق، لمساندة حيوش المسلمين في اليرموك.. فقام خالد بن الوليد بعملية التفاف عبقرية حول جيش العدو وضرب طريق مواصلاته مع دمشق... وتم له الاتصال مع القوات الممركزة جنوبي درعا..

وعندما حاول هرقل التحرك بجيش كبير جنده خصيصاً لمساندة قواته في درعا. قرر تجاوز تلك المنطقة عن طريق شمالي فلسطين والتوجه لضرب قوات عمرو بن العاص أولاً في جنوب فلسطين ومن ثم يكون بمقدوره محاصرة قوات العرب في اليرموك من الجنوب. ولكن سرعان ما قررت قوات اليرموك اللحاق به، والقيام بعملية التفاف مضاد ودعم قوات عمرو بن العاص فشقت طريقها عبر شرقي الأردن – عمان فالكرك إلى جنوب البحر الميت ومن هناك إلى وادي عربة وبئر السبع حيث جيش عمرو بن العاص... وكانت حركتهم أسرع بكثير من حركة قوات هرقل رغم أن الطريق التي قطعوها، خاصة، جبال مؤاب الصعبة، أشد وعورة وأطول مسافة. ولكنهم سبقوه. وتم اللقاء في معركة أجنادين التي أطبقوا على على على المروك بقواقم على في المرموك بقواقم المركزة.

إن الذي راجع حملة نابليون على بيدمونت وشمالي إيطاليا يلاحظ شدة الشبه بين تقسيم القوات العربية وعملياتها الاستراتيجية وبين تقسيم القوات العربية وعملياتها الاستراتيجية في برّ الشام.

كان نابليون قد قسم جيشه إلى ثلاث فرق بقيادة كل من ماسينا MESSENA وأوغريو AUGEREAU وسيرورير SERUIER وكان على ماسينا أن يقطع ممسر كاديسبونا CADIBONA ويتمركسز في مونتينوي وديغو MONTENOTTE AND DEGO لعزل النمساويين بينما يتقدم أوغريو من الجنوب وبهذا يشن الهجوم على سيفا CEVA التي هي مفتاح بيدمونت.

ولكسن اكتشف نابليون أن الحركة التهديدية التي قامت بها الحكومة الفرنسية ضد جنوه لإحبارها على تقديم قرض قد تستدرج القوات النمساوية.. فأمر بتعزيز قسوات فولتري VOLTRI مما أزعج النمساويين وجعلهم يطالبون قائد هم بوليو BEAULIEU التحرك لحماية جنوده. فوقع بالفخ وأرسل قواته المتحركة.

وها قرر نابليون تغيير خطته فبدلاً من مهاجمة سيفا CEVA تحرك لضرب بوليو أولاً.. وكانت معسركة مونتينوني MONTENOTTE التي قررت مصير الحملة.. ومنها انتقل للإجهاز على القوات النمساوية.. ثم بعد أن تم له ذلك توجه لمحاصرة سيفا CEVA على أن يهاجم أوغريو مواجهة بينما يلتف ماسينا على الميمنة ويلتف سيروير على الميسرة.. ولكن كولي COLLI قائد البيدمونتيين تراجع قليلاً ليتحصن في موقع قوي على غير كورساغليا CORSAGLIA بين سان ميشيل وليزينغو LESENGO أفتحمه نابليون هناك وفتحت أمامه سهول بيدمونت.

السشيء الغريب الذي حدث في معركة اليرموك الأولى أن العرب حين راحوا يركزون في جنوبي درعا وقد أمر الخليفة جيش خالد بن الوليد بالتحرك من العراق لتعزير القوات هناك، ظلت قوات عمرو بن العاص تعمل في جنوبي فلسطين و لم تتحرك للانضمام إلى القوات العربية الإسلامية الأخرى في اليرموك. وإذا أضفنا إلى هسذه الواقعة عدم محاولة اقتحام دفاع البيزنطيين وإنما القيام بعمليات مناوشة، فمن المستروع أن نستنتج أن القيادة تركت قوات عمرو به العاص كطعم يضطر هرقل للتحسرك باتجاهه، ما دام يهدد مواقع البيزنطيين الهامة في فلسطين، وإلا فما معنى إبقاء عمرو به العاص هناك بالوقت الذي يحث فيه خالد بن الوليد للتحرك بأسرع

ما يمكن لتعزيز قوات البرموك؟ وما معنى عدم محاولة اقتحام دفاع البيزنطيين؟ ثم لماذا لم يطلب من عمرو بن العاص الانسحاب من فلسطين أمام تمديد زحف هرقل بلذا أن تنستقل القوات المركزة في البرموك إلى فلسطين؟ إن كل هذه التساؤلات تفرض علينا الاستنتاج أن خطة العمليات الاستراتيجية كانت تستهدف استدراج قوات هرقل، وضربها في فلسطين قبل اقتحام قوات هرقل المتمركزة في سهل درعا. وإذا صح هذا الاستنتاج فلن يكون الشبه كاملاً فحسب، وإنما أيضاً تكون العقلية الاستراتيجية العربية في تلك الحملة أرقى من الطراز النابليوني.

ولكن حتى لو اعتبر هذا الاستنتاج ضعيفاً بسبب عدم وجود دليل مكتوب عليه، فإن تغيير خطة التركيز من اليرموك والتحرك السريع إلى ملاقاة حيش هرقل في فلسطين، يعتبر عملية استراتيجية من أعلى مستوى تماماً كتغيير تركيز نابليون على ممر سيفا CEVA والتحرك إلى جنوه لضرب الجيش المتحرك.

الأمــر المدهش هنا أن مركز الخلافة بنواته الخليفة والصحابة رضي الله عنهم شــكلوا القــيادة الاستراتيجية التي تقود الحرب بمجموعها فيما كان قادة الجيوش يقودون العمليات (التكتيك الكبير) والمعركة الميدانية. وقد تخطى هذا قيادة نابليون ليقارن بقيادة الجيوش في الحربين العالميتين الأولى والثانية.

# الجمع بين تشكيلة الرتل والمناوشة

كانت تسشكيلة الفلانكس PHALANX المكدونية في القتال تأخذ شكل خطين متوازيين وهذه تشكيلة تؤمن جبهة واسعة، ولكن ضعفها يتركز في خلوها مسن الاحتسياط إلى جانب ضعف مناورتها فما أن يشتبك الخطان LINES حتى يسصبح أي تحرك غير ممكن عدا المضي في الصدام حتى النهاية. كما لها ضعف آخر وهو ارتباطها بالأرض المنبسطة إذ تنبع قوتها من تماسك كتلتها لذلك كان دخولها إلى أرض ضيقة أو متعجرة أو وعرة أو جبلية يضعف تماسكها وقوتها.

اكتشف الرومان نقاط ضعف الفلانكس اليوناني، فاستبدلوه بتشكيلة الليجون LEGION وهــو عــبارة عن تشكيلة خطّ الفلانكس، ولكن مع قسمة الخطّ إلى خطّين بينهما 250 قدماً وهما للصدام المباشر بينما ترك وراءهما خطّ ثالث كتعزيز

أو دعـــم أو احتـــياط، أي أن الــرومان جعلوا تشكيلة الليحون من ثلاثة خطوط LINES وقـــد اكتــسب الليحون من هذا التقسيم عمقاً، وبالتالي أصبحت الكتلة الكبيرة أقوى على الحركة والمناورة.

وعندما اصطدمت تشكيلة الفلانكس اليونانية بتشكيلة الليجون الرومانية في معركة بيدنا PYDNA (168 ق.م.) استغل الرومان ضعف الفلانكس فجروه إلى أرض غيير منبسطة فانفصل جناحاه في حين اندفع الرومان على شكل رأس سهم فيشقوا تماسكه. وأصبح غير قادر على الحركة في حين راح الرومان يستخدمون الاحتياط. وهذا أنرلوا به الهزيمة.

أفـاد البيـزنطيون مـن معركة أدريانوبل ADRIANOPLE (378 ب.م.) وأصـبح سـلاح الفرسان يشكل قوة الصدمة الأولى التي تستطيع شقّ الليحونات بيـنما راح الفرس يستخدمون سلاح الفيلة لعمليات اختراق الصفوف وتمزيقها، وكانت تشكيلتهم تتألف من ثلاثة خطوط كالليحون.

أدى استخدام الأسلحة النارية حتى عهد نابليون إلى سيادة تشكيلة الخطوط LINES من جديد، لتأمين جبهة أمامية كثيفة في نيرانها وواسعة جداً.

وجاءت السثورة الفرنسسية بجماهيرها الغفيرة لتسبدع تشكيلة الرتل (COLUMN) الذي لم يفرط باتساع الجبهة الأمامية التي تؤمنها تشكيلة الخطّ في حسين أمن أيضاً العمق الذي برزت أهميته في معركتي ريفولي RIVOLI ومارينغو MARINGO وبحسذا تميز على تشكيلة الخطّ التي تخلو من العمق كما تميز عليها بسهولة قيادته وسهولة حركته وسرعته ومقدرته على التأقلم مع الأرض.

وقد أبدع نابليون باستخدام كتائب القناصة لحماية أطراف الرتل ودعم نيرانه بين الله المناوشة. إن الشيء الأساسي هنا هو الجمع المرن بين تشكيلة الرتل وبين أسلوب المناوشة في القتال الذي طورته تجربة حرب الاستقلال الأميركية.

لقد كان لتشكيلة الرتل أهمية استراتيجية إذ أتاحت إمكانات لحركة المناورة الواسعة كما زادت من سرعة تحرك الجيش، إلى جانب عدم التقيد بالطرقات الممهدة في أثناء الزحف، أي امتلكت مرونة التحرك على مختلف أشكال الأرض. كما كان لتشكيلة الرتل أهمية تكتيكية إذ أعطت عمقاً للحبهة

دفاعـــياً كمـــا زودت الهجوم بزخم شديد، وأكسبت الجيش مرونة وسرعة في إجراء الحركات التكتيكية.

كانست تشكيلة القتال الأساسية في حروب القبائل العربية أشبه بزمر المناوشة حيث تنظم القوات على شكل مجموعات لتمتلك المرونة في تطبيق تكتيك المناوشة السذي كان يسمى بأسلوب الكرّ والفرّ، فقد كانوا إذا رأوا ضعفاً في العدو كروا علسيه ولكن إذا امتد الضعف إلى جبهتهم فروا ثم يعودون فيكرون وهكذا. إنه تكتيك مرن الحركة يمتلك المفاحأة والسرعة في حالتي الدفاع والهجوم، بلا موقع ثابت. فقد كانت حركتهم على شكل كتل وليس صفوفاً.

وعــندما جاء الإسلام كرّس الرسول صلّى الله عليه وسلّم تشكيلة الصفوف التي تشبه صفوف الصلاة وهي أرقى من تشكيلة الليجونات بسبب توفيرها للعمق للدفاع والزخم في الهجوم.

ولكن عندما انتصر الإسلام وأصبحت جيوشه كتلاً ضخمة من المقاتلين كرس خالد بن الوليد تشكيلة الكراديس، وهي أقرب ما تكون لتشكيلة الرتل وقد بلغ جنيش المسلمين في معركة اليرموك الأولى 36 كردوساً مقسمة إلى كراديس ميمنة وأخرى ميسرة وأخرى قلب إلى جانب مجموعات المناوشة والطليعة.

وهمــذا أصبح الجيش كتلاً من الكتائب التي تجمع بين المرونة والتركيز، وبين المساع الجــبهة وتوفر العمق مع إمكانات كبيرة على المناورة التكتيكية. والأهم الاحتفاظ بالاحتياط (الفرسان) السريع الضارب.

في الواقع لا توجد تفصيلات دقيقة حول طريقة صفّ الكراديس، وكيف تسنظم في الزحف وكيف تأخذ تشكيلة القتال في المعركة. ولكن يمكن الاستدلال من سرعة تحرك جيوش العرب المسلمين في أثناء الزحف على أن تشكيلاتها لا يمكن أن تكون إلا شبيهة بتشكيلة الرتل أو أكثر مرونة وسرعة منه. فإذا كانت تشكيلة رتل نابليون ضربت رقماً قياسياً في سرعة الزحف إذ كان معدلها 14 ميلاً في اليوم وعلى أرض صعبة، وهذه سرعة لا يمكن أن تتوفر إلاّ لتشكيلة الرتل، فإن معدل سرعة جيوش المسلمين فاقت تلك السرعة بضعفين أو ثلاثة على الأقل – مثلاً قطع خالد بن الوليد صحراء حمد بخمسة أيام والمسافة حوالي مائتي ميل – وإذا خصمنا

لمصلحة جيوش نابليون عامل ثقل معداتما وذخائرها ومدافعها، فإن نسبة سرعة جيوش العرب المسلمين ستظلّ بالمستوى نفسه أو أكثر.

ثم إذا حسبنا المسافة التي قطعها هرقل من شمالي فلسطين حتى أجنادين، ثم إذا حسبنا المسافة المقابلة من الرمثا إلى عمان فالكرك فوادي عربة ثم صعوداً إلى أحسنادين، فسسنجد أن سرعة جيوش العرب المسلمين كانت تفوق سرعة جيوش السرومان بما لا يقل عن أربعة أضعاف. ولا يمكن لجيش أن يحقق مثل هذه السرعة وعبر مناطق جبلية (سلسلة حبال مؤاب) إلا على أساس تشكيلة الرتل.

ثم يمكن الاستدلال من مجموعة المعارك التي حملت كتب التاريخ بعض التفسيلات عنها، بأن تشكيلة القتال التي تبناها العرب المسلمون أقرب ما تكون لتشكيلة الرتل، فمثلاً في معركة البويب ضد جيش كسرى الذي تبنى تشكيلة قريبة من تشكيلة الليجون مقسمة إلى ثلاثة صفوف وقد استخدمت الفيلة كقوة الصدمة الهجومية، وحدنا بعض أجنحة العرب أخذت تترنح بادئ ذي بدء خاصة فرقة بني عجل.

ولكن سرعان ما حبَّهم المثنى على الثبات فأعادوا تنظيم تشكيلتهم بسرعة وثبتوا.. وهذه صفة لا يمكن أن تتوفر إلا لصفوف تشكل مربعاً كثيفاً أو رتلاً خاصة، إذا أحدنا بعين الاعتبار أن تشكيلة الليجونات أو الخطوط LINES تحتاج إذا مسا تخلخلت، إلى درجة عالية جداً من التدريب العسكري لجيش محترف وهي تشكيلة لا تناسب قوات شعبية، ثم إذا تابعنا تلك المعركة التي دارت سجالاً. وقد راح المثنى إلى وقت طويل يراقب المعركة، ومعه جيش من الاحتسياط مؤلف من قوات نمير وتغلب المسيحية دون أن يلقي بما إلى المعركة. وظل كذلك حتى بدأ هجوم جيش الفرس الساسانيين يفقد زخمه. وهنا لاحت اللحظة الحاسمة لشن الهجوم المضاد فشد بقوات الاحتياط تلك إلى وسط الجيش الكسروي فحرقه تماماً فدبت به الفوضى وفقد تماسكه، في حين تابع المثنى وقوات الاحتياط حرق الجيش وأسرعوا لسد الجسر في مؤخرة الجيش المزعزع لمنعه من الانسحاب. وهذا شحق وتحقق نصر استراتيجي أصبح المسلمون بعده يطرقون أبواب بغداد والمدائن.

إن عملية الهجوم الذي شنّه المثنى وطريقة تنفيذه لا يمكن أن يتمّ إلاّ على أساس تشكيلة الرتل فهو تركيز على نقطة يتطلب عمقاً وزخماً لا يمكن أن يتوفرا لتشكيلة الحطّ.

على أن الشبه الأكبر يكمن بين تكتيك نابليون في الجمع قتال الرتل إلى قتال المناوشات، وبين تكتيك العرب المسلمين في الجمع بين قتال الكراديس إلى قتال الكرر والفرّ. وقد اعتبر نابليون مطوراً لأسلوب قتال المناوشات الذي بدأته الثورة الأميركية بسبب ذلك.

في الواقع، حدث الشيء نفسه بالنسبة إلى الفتوحات العربية الأولى، إذ كان قستال المناوشات هو الشكل السائد في القتال بين القبائل العربية قبل الإسلام، وقد وصل درجة عالية من الكمال على يد عرب العراق، خاصة، بعد أن عزل كسرى الملك السنعمان عام 605 ودخل اللخميون في صراع طويل الأجل ضد الدولة السساسانية حيث راحوا يشنون قتالاً غوارياً ضدها. يقوم على أساس المناوشة وتجنب معارك المواجهة المكشوفة.

وعندما تكونت الجيوش العربية بعد الإسلام وأصبحت تخوض معارك مواجهة مكسفوفة حرصت على الجمع بين القتال النظامي وبين قتال المناوشات، فقد احتفظت بمجموعات مناوشة لتقوم بدور الاستطلاع إلى جانب العمل كطليعة أمام الجسيش وقوات متحركة على الأطراف تستخدم السهام في مناوشة العدو. إلى هنا يكسون دورها شبيها بدور كتائب المناوشة النابليونية، ولكن القيادة العربية الإسلامية استخدمتها أيضاً لإزعاج العدو وإجباره على دخول معارك تحت ظروف غير ملائمة، كما حدث في معركة القادسية حيث كان رستم قائد الجيش الفارسي قسد قرر عدم عبور النهر وانتظار العرب لعبوره لئلا تتكرر معركة البويب. وكان كسل من الطرفين يتجنب جعل النهر وراءه لأنه في حالة الهزيمة يسحق سحقاً كما حدث أيضاً للمسلمين في معركة الجسر.. وهذا جعل انتظار القوتين وبينهما النهر يمت عدة أشهر ولكن المسلمين راحوا يشنون عمليات مناوشة غوارية في مؤخرة الجيش وراء النهر مما أزعج الوضع الداخلي إلى حدّ جعل الفرس يضطرون إلى عبور النهر ودخول معركة مواجهة في وضع غير ملائم.

طبق العرب المسلمون أسلوب المناوشة كعمليات إنحاك تحضيرية للهجوم العام كما حدث في اليرموك في معركتيه الأولى والثانية.

وأخيراً يمكن القول حول وجه الشبه بالنسبة إلى التشكيلة القتالية وبالنسبة إلى تستكيلة الزحف أن كلا من جيوش العرب المسلمين لجأت إلى تقسيم الجيش إلى جسسم رئيس تسبقه قوات طليعة وله احتياط في الأجنحة والمؤخرة. ويبدو من رسالة عبد الحميد كاتب محمد بن مروان، ومن الحوار الذي دار في صفوف إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم... أن نقاط ضعف تشكيلة الخط بالمقارنة مع تشكيلة الكراديس كانت واضحة جداً بالنسبة إلى القيادة "لأن الكيراديس أثبت في الحرب، فإذا الهزم كردوس ثبت كردوس، أما الصف فإذا الهزم بعضه تداعي سائره"(1).

#### الحرب المتحركة

لعل أبرز ما تميّزت به الحرب على يد نابليون أنها أصبحت حرباً متحركة، وتخلصت من تلك المراسيم التقليدية في اتباع أصول جامدة في المعركة وقيادة الحرب، ولم يعد احتلال المواقع أو الدفاع عنها هو الشيء الرئيس، وإنما العمل على سحق الجسم الرئيسي لقوات العدو المتحركة الضاربة. فقد أصبح المبدأ القائد في استراتيجية نابليون هو القضاء على جيش العدو الذي في الميدان. وأخضع احتلال المواقع لخدمة هذا الغرض وليس العكس.

إن نظرة سريعة إلى تاريخ حروب نابليون تكشف تلك الحركة الدائبة التي تميّزت بها قواته.. فهي دائمة الانتقال من مكان إلى مكان سعياً وراء قوات العدو المتحركة، ولم يثبتها قطّ في مواقع جامدة بل كان يحركها من نقاط تواجدها إلى نقاط تواجد العدو ولم يكن يتردد في التخلي عن مساحات واسعة من الأرض من أجل تأمين التركيز. كانت تعليماته لقادته:

أبقوا القوات مركزة ولا تفرقوها إلى جيوب صغيرة.

<sup>(</sup>١) محمد فرج - "المدرسة العسكرية الإسلامية".

- 2. سيروا بأرتال على مسافات متساندة فيما بينكم.
  - 3. لاحقوا العدو بالسيف وهو يفرّ.

وكانت مبادئ استراتيجية عملياته:

- أ. تركيز القوات ضد الهدف المباشر.
- ب. الاقتصاد بالقوات والاحتفاظ بقوات احتياط لمواجهة أي طارئ جديد.
  - ج. المرونة والمناورة والسرعة في الحركة وأحذ القرار.
  - د. تجري كل عمليات الحملة على أساس المحافظة على الهدف.

وإن نظرة سريعة أحرى إلى تاريخ حروب الفتوحات العربية الإسلامية تكشف تلك الحركة الدائبة التي تميّزت بما قوات المسلمين. ولا نبالغ إذا قلنا إن الحرب أصبحت على يد العرب حرباً متحركة، لا تتبع تلك الأصول التقليدية في المعركة وقيادة الحرب، التي درجت عليها الجيوش الرومانية واليونانية والفارسية من قبلهم أو جيوش الإقطاع الأوروبي وعصر النهضة حتى نابليون من بعدهم.

كان حسيش عمرو بن العاص في حملة سوريا قد تغلغل حتى غزة وبئر السبع وراء خطوط البيزنطيين.. بينما تغلغلت قوات يزيد بن أبي سفيان في شرقي الأردن حسنة، وحيث راحت تجوب المنطقة كلها. وكذلك فعلت شمالاً قوات شرحبيل بن حسنة، بينما كانت قوات خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة قد راحت تعمل في جبهة العراق متحدة أحياناً، وعلى جبهتين أحياناً، إذ بعد معركة قاضمة (أو قضيمة) زحف خالد إلى شط العرب وقطع نمر الفرات ثم عاد إلى الصحراء بعد أن بدأ الفرس يركزون لمواجه ته.. واشتبك مع الجيش الكسروي في معركة نمر الدم بعد أن انضمت له قدوات بسي تمسيم بقيادة القعقاع بن عمر.. ومن هناك توجه إلى الحيرة حيث فر حاكمها الفارسي من أمامه إلى المدائن، فحاصر الحيرة واستسلمت. ولكن خالد بن الولسيد تحرك فوراً ليقطع النهر ثانية ويحتل مدينة الأنبار بينما تحركت قوات المثنى الولسيد تحرك فوراً ليقطع النهر ثانية ويحتل مدينة الأنبار بينما تحركت قوات المثنى هجوماً كاسحاً على مدينة الأنبار التي كانت الأسوار تتحوطها من ثلاث جهات، هجوماً كاسحاً على مدينة الأنبار التي كانت الأسوار تتحوطها من ثلاث جهات، بيسنما حفر خندق في الجهة الرابعة. فعلى هذه النقطة ركز خالد هجوم الاقتحام بعد أن غر الجمال الضعاف وألقاها في الخندق.. ومن هناك تحول إلى عين التمر.

كسنا قد ذكرنا كيف تحرك خالد من عين التمر لنجدة قوات اليرموك وكيف انستقلت قوات اليرموك جنوباً إلى الكرك فوادي عربة ثم شمالاً إلى أجنادين لملاقاة جسيش هسرقل.. ومسن هناك عادت القوات إلى هدفها الرئيسي لضرب القوات البيزنطية في اليرموك. وبعد اكتساحها تحول التركيز على مدينة دمشق التي سقطت بيد المسلمين فتوزعت القوات بعد ذلك لتنظيف جيوب المقاومة على جبهة واسعة جداً. فانتقل جيش حالد بن الوليد إلى حمص وحماة وانتقل جيش عمرو بن العاص الى فلسطين وتوزعت قوات أبي عبيده بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان على المنطقة الواسعة المتوسطة بين جيش خالد وبين جيش عمرو بن العاص.

ولكن عندما عاد هرقل وحشد قوات ضخمة لاستعادة ما قد فقد، زحف من شمالي سوريا بجيش يقال إن التاريخ لم يعرف له مثيلاً من حيث العدد على أرض سوريا، فما كان من قوات خالد وأبي عبيده ويزيد إلا أن تخلت عن كل سوريا بلا قتال وتراجعت لتتركز جنوبي درعا من أجل المحافظة على خطوط مواصلاتها ومن أحسل تسأمين التركيز، ومن ثم الدخول في معركة فاصلة على أرض اليرموك التي حددت كنقطة وقف زحف هرقل. وهكذا عادت حمص وحماة ودمشق إلى هرقل بلا قتال، وأخذ مواقعه الحصينة من حديد في سهل درع لتقع معركة اليرموك الثانية لم تقم للبيزنطيين بعدها قائمة.

عندما سقطت دمشق بعد معركة اليرموك الأولى قرر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعزيز حبهة العراق فحند حيشاً أقام على رأسه أبا عبيد عمرو بن مسعود الثقفي وجعل المثنى ينضم تحت قيادته، ولكن أبا عبيد ارتكب خطأ عسكرياً فادحاً في معركة الجسر فنزلت هزيمة قاسية بجيوش المسلمين إذ تخلى عن خط انسحابه فقطع النهر إلى الضفة الأخرى، وبهذا وضع القوات بلا خط انسحاب كما ضيق عليها أرض المناورة.. وعلى الرغم من أن المسلمين قاتلوا قتالاً باسلاً للغاية واستشهد أبو عبيد. إلا أن الكفة مالت ضدهم وأصبحوا بين مهلكين: بين سيوف الفرس من جهة والنهر من جهة ولولا مبادرة المثنى في إعادة تنظيم قوة شين سيوف المرس مضاداً ليكون كغطاء ينسحب تحته المسلمون عبر الجسر، لكانت الكارثة كاملة.

ولكن سرعان ما بدأت تعبئة جديدة ونشط المثنى في جمع قوات من القبائل وكان عمر بن الخطاب قد سمح بإعادة تجنيد الذين قاتلوا ضد المسلمين في حروب السردة.. فالتقيى المثنى من جديد مع رستم في معركة البويب وأنسزل بحم هزيمة ثأرت لمعركة الجسر، وأصبحت بيد العرب بعدها مناطق شاسعة من سواد العراق.

ولكن الفرس عادوا فجندوا جيشاً جراراً فما كان من المثنى إلا أن انسحب من سواد العراق وحتى من الحيرة دون قتال. وعاد إلى الصحراء، خصوصاً، وأن جيش رستم الجديد يتطلب أن يواجه بقوات مركزة فطلب من عمر بن الخطاب إرسال تعزيزات، ولكن جبهة سوريا كانت في تلك الأثناء قد عادت للاشتعال بعد أن جند هرقل جيشه الكبير.. ولهذا ظلّت جبهة العراق بيد الفرس إلى أن تم الانتصار في معركة اليرموك الثانية وبدأ التحضير لحملة العراق من جديد، فتشكل جيش يعد ثلاثين ألفاً بقيادة سعد بن أبي وقاص، كما أرسل إلى قوات سوريا أن تبعث جيشاً لتعزيز حملة العراق. وفعلاً تحرك القعقاع على راس ذلك الجيش.. وكانت معركة القادسية الحاسمة.

إذا تابعنا حملة عمرو بن العاص إلى مصر حيث تحرك على رأس قوة تقلّ عن أربعة آلاف مقاتل وقد زحفت من غزة فالعريش إلى قناة السويس، وقد ارتطم عدينة بابليون التي تشكل مفتاح مصر، ولكن كان ما لديه من القوات أضعف من تركيز قوات تيودور القائد البيزنطي والبطريق المقوقس CYRUS حاكم مصر. فطلب تعزيزات من المدينة المنورة، ولكنه لم يتوقف فاتجه نحو الفيوم على الجانب الآخر من النيل، وقد سجل غلوب ذلك عليه خطأ استراتيجياً لأن وصول النجدة إلى بابليون يترك جيشه منفصلاً عنها وقد قام بينهما النيل.

ولكن إذا أحذنا بعين الاعتبار كثرة تحرك قوات عمرو بن العاص وسرعتها ومن ثم عدم مقدرة العدو على تحديد اتجاه الحملة، يمكن أن يلغي نقد غلوب له خاصة، وأن تلك التحركات هي التي أنقذت جيش عمرو بن العاص قبل وصول التعزيز من الحجاز. فلو أنه انتظر عند بابليون إلى قدوم التعزيز لأتاح ذلك فرصة لقوات تيودور لتنقض عليه. في حين استطاع من خلال استمرار حملته إلى الفيوم أن يحتفظ بالمبادرة ويكشف المنطقة ويقضي على قوات متفرقة هنا وهناك، والأهم

أنــه اســتطاع أن يعود إلى بابليون في الوقت المناسب عند وصول الزبير بن العوام على رأس اثني عشر ألف جندي، وتركّزت القوات في هليوبوليس قبالة بابليون.

إن هذه الأمثلة تؤكد الصفة المتحركة التي أعطاها العرب للحرب، بشكل لا يقلّ عن حركة الحرب في عهد بابليون.

يلاحظ أن المبادئ الأساسية التي حكمت عمليات حروب العرب المسلمين كانت:

القصفاء على جيش العدو في الميدان وليس الركض وراء احتلال المواقع، فقد أدرك قصادة العصرب أن احتلال دمشق أو القدس لا قيمة له ما دام هنالك جيش للبيزنطيين مقاتل في الميدان، لذلك كان تركيزهم على ضرب هذا الجيش أولاً، لأن إخصلاء المصيدان له يعني سقوط المواقع كلها بما في ذلك المدن الكبرى مثل دمشق والقدس.

عندما قارن الجنرال غلوب بين المناورة الاستراتيجية التي قام كما خالد بن الوليد عندما قطع صحراء حمد من بئر قرقر باتجاه سبع البيار ثم إلى تدمر فمر جراهط وراء تحصينات البيزنطيين في سهل درعا، مع المناورة التي قام كما لواء من الجسيش السبريطاني مع الجيش الأردي في أيار/مايو 1941، متبعاً خط عمليات خالسد بن الوليد.. حاول إظهار عملية خالد بألما فاشلة بينما العملية الأخرى كانت ناجحة، ولكن غلوب نسي أن اتباع مناورة خالد نفسها من قبل الجيش السبريطاني بعد أكثر من ثلاثة عشر قرناً دليل على أن المناورة الاستراتيجية التي قام كما خالد وصلت شبه الكمال. أما لماذا سماها فاشلة.. فذلك لأن خالداً لم يهاجم دمشق وإنما تابع سيره إلى منطقة القتال وقد استدل غلوب من ذلك إن يهاجم دمشق وإنما تابع ميره إلى منطقة القتال وقد استدل علوب من ذلك إن الوليد كان أفهم في فن الحرب من غلوب بغد ثلاثة عشر قرناً وذلك للأسباب التالية:

أ. إن المحافظة على الهدف تقضي من حالد أن يتوجه من مرج راهط إلى نقطة التركيز في اليرموك لأن مناورته أساساً كانت تستهدف الالتفاف على البيزنطيين في درعا وليس مهاجمة دمشق.

ب. إن مفـــتاح ســـوريا هـــو سحق القوات البيزنطية المركزة في درعا وليس احتلال مواقع.

ج. إن القوات التي كانت مع خالد لا تستطيع أن تكتسح دمشق فعددها لم يتجاوز التسعة آلاف على أقصى تقدير، وكانت محاصرته لتلك المدينة بمثل هذه القوات الصغيرة كما يقترح غلوب، تعني تطويقه وإبادته، خاصة وأن دمشق استعصى احتلالها على المسلمين أكثر من شهرين بعد نجاح معركة اليرموك. ثم كيف يستطيع أن يؤكد غلوب أن البيزنطيين كانوا سيتخلون عن مواقعهم في درعا إذا هاجم خالد دمشق، وهم ولا شك يعرفون كم تستطيع أن تصمد دمشق في وجه مثل تلك القوة.

ثم إذا تذكرنا أن قوات المسلمين بعد معركة أجنادين لم تتوقف لتحتل القدس أو أية مدينة أخرى وإنما توجهت فوراً لمحاصرة قوات البيزنطيين في درعا، وإذا تذكرنا تخلي حالد وأبي عبيده عن كل سوريا أمام جيش هرقل دون دفاع عن المسدن من أجل التركيز مرة أخرى جنوبي درعا على اليرموك، ثم إذا تذكرنا انسحاب المثنى من سواد العراق والحيرة، ندرك أن العرب فهموا الحرب كما فهمها نابليون بعد أكثر من أحد عشر قرناً، وكما نظر لها كلاوزيفتز بعد حوالى اثني عسشر قرناً، سواء أكان من ناحية أهمية سحق الجسم الرئيس من قوات العدو بوصفه العامل الحاسم لتحقيق نصر استراتيجي بما في ذلك سقوط المواقع والاستيلاء على مسافات متساندة إلى جانب المرونة والمناورة وسرعة التحرك، وإعطاء الحرب على مسافات متساندة إلى جانب المرونة والمناورة وسرعة التحرك، وإعطاء الحرب صفة ديناميكية متحركة.

- 3 -

# مقارنة تطبيقية:

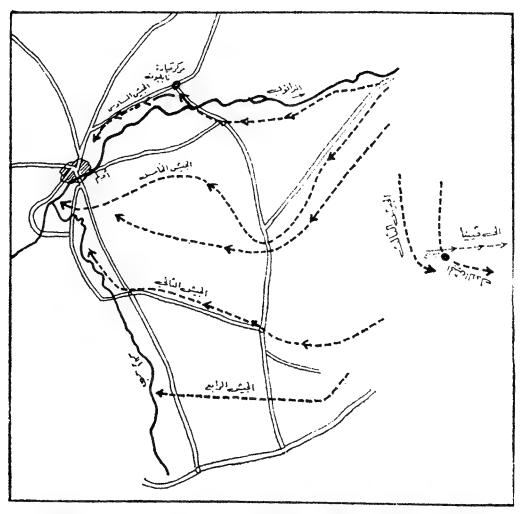
حقــاً مــن الــصعب أن تجد معركتين حربين على بعضهما البعض في كل التفاصــيل والظــروف. الأمر الذي يوجب على أية مقارنة أن تتناول الجوهر لا

التفصيلات الخاصة، ومن هنا فإن المقارنة بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الاسلامية الأولى تتناول الجوهر أساساً لكي نرى مدى الشبه بين منهجية العمليات والتكتيك في الحالتين. ولنأخذ معركة أو لم ULM التي تعتبر إحدى روائع نابلسيون الاستراتيجية، وفي المقابل سنأخذ معركة اليرموك الثانية التي تعتبر إحدى روائع القيادة العربية الاسلامية في الفتوحات الأولى.

كان القائد النمساوي ماتش MACH متمركزاً على رأس خمسين ألف جمندي في منطقة أو لم. فوضع نابليون جيوشه بينه وبين فيينا، كما خصص الجيش الأول بقييادة برنادوت للتوجه إلى ميونيخ كاحتياط ضد نجدة الجيش الروسي لماتش ثم يلتف عليه ليحاصره من الجهات الأربع. فحرك الجيش الثاني بقيادة مارمونت MARMONT للتحرك نحو نهر اللر ER جنوبي أو لم، بينما يتحسرك الجيش الرابع بقيادة سولت SOULT ليطوق أو لم من الجنوب أيضاً، ويقطع طرق مواصلاتها مع الجنوب. أما الجيش الخامس بقيادة لانس ويقطع طرق مواصلاتها مع الجنوب. أما الجيش الخامس بقيادة لانس ضيفتي الدانوب. و هذا يكون التطويق كاملاً. وكان قد أرسل الجيش الثالث بقيادة دافوت الجيش الأول – باتجاه ميونيخ ليمنع تقدم الجيش الروسي.

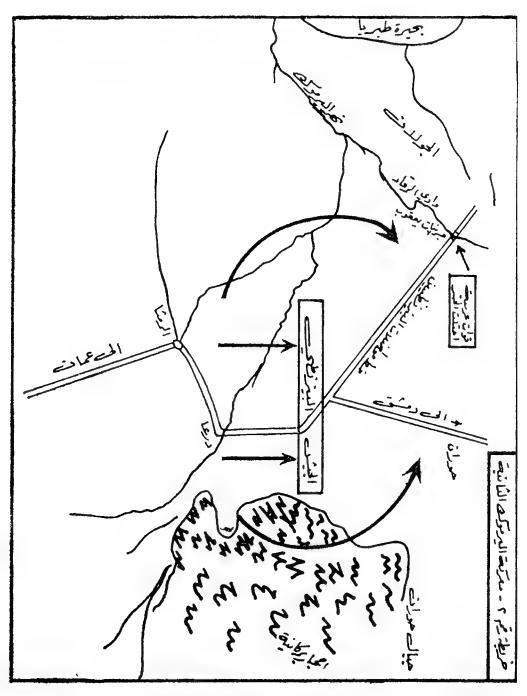
عــندما أنهى نابليون هذه الخطة وتحركت قواته إلى مواقعها كتب رسالة إلى ســولت قال فيها "لن تكون المسألة هي هزيمة العدو فحسب، وإنما يجب أيضاً ألاّ يفلت منه رجل واحد".

في الواقع كان سقوط أو لم محتوماً أمام مثل هذا التطويق الرائع، كما كان محتوماً ألا يفلت رجل واحد من قوات العدو، ولكن مشكلة نابليون تركّزت بقادة جيوشه الذين لم يكونوا على مستوى القيادة الاستراتيجية. إن ميورات MURAT السذي كلف بتنفيذ خطة العمليات أصدر أمراً لنبي NEY أن يقطع إلى جنوب ضفة النهر. وبهذا ترك فراغاً لانسحاب العدو من ناحية شمال شرقي الحصن... مما مكن بعض القوات من الفرار على الرغم من أن الأغلبية سقطت بين قتلى وجرحى وأسرى (راجع الخريطة رقم 1).



- (1) نقلت هذه الخريطة عن كتاب جيمس مارشال كورنول "تابليون كقائد عسكري" باللغة الإنكليزية ص 135.
  - (2) الخطوط المتقطعة مع الأسهم تدل على توزيع جيوش نابليون وحركتها.
  - (3) يلاحظ أن عمليات نابليون أوسع وأشد تعقيداً من الحروب الأوروبية التي سبقتها.

لقد مر كيف جند هرقل جيشاً كبيراً فاق بأعداده كل ما عرفته سوريا من جيوش بعد هزيمته في معركة اليرموك الأولى. ثم كيف انسحبت فرق المسلمين من حمص وحماة وبعلبك ودمشق وتركزت جنوبي درعا تاركة الصحراء وراءها كخط انسحاب استراتيجي وكطريق مواصلات مع المركز في المدينة المنورة ومكة ومنعاً للالتفاف عليها ومحاصرةا.



(1) نقلت هذه الخريطة عن كتاب غلوب "الفتوحات العربية الكبرى"- باللغة الإنكليزية ص 177.

(2) الأسهم تدل على توزيع وحركة الجيوش العربية الإسلامية.

أصــبحت قــوات هرقل الآن بقيادة ثيوديروس تسيطر على كل سوريا وقد تركّــزت في ســهل درعا حيث تحصيناتها الدفاعية القديمة. بينما العرب المسلمون قبالــتها جنوبا يركزون قواتهم وقد انضمت إليهم قوات عمرو بن العاص وأخذت تتوافد التعزيزات من الجزيرة العربية.

دام هــذا الوضع أكثـر مـن أربعة أشهر كان العرب خلالها يستكملون استعداداتهم دون أن يـتوقفوا عن شنّ عمليات مناوشة صغيرة هنا وهناك لإنحاك العـدو... وأخيراً أعدت الخطة وكانت تتألف من عمليات التفاف واسعة تتمّ من مسيرة قوات البيزنطيين ومن ميمنتهم.. على شكل نصف دائرة من كل اتجاه وبهذا يـصبح البيزنطيين ضمن حلقة محكمة الحصار. هذا بالإضافة إلى تحريك قوة وراء حبهة البيزنطيين لتقطع طريق انسحابهم ومواصلاتهم الرئيسي عبر وادي الرقاد عند حسر بنات يعقوب.

لا توجد للأسف تفاصيل حول أسماء القادة الذين كانوا على رأس الفرقة التي قامـــت بالالتفاف الجانبي من جهة الشرق شمالاً أو أسماء قادة الفرقة التي التفت من الغرب شمالاً، أو اسم قائد القوات التي أغلقت حسر بنات يعقوب.

أما الهجوم فقد تركز من قبل فرقتين كل منهما ركّزت على نقطة محددة في الجبهة الأمامية للدفاع...

لقد اختيرت لحظة الهجوم الحاسم وتنفيذ الخطة في وقت هبّت فيه عواصف رملية شديدة. وعلى الرغم من أن أعداء العرب حاولوا التركيز على تلك العاصفة ليفسروا بها هزيمة البيزنطيين.. إلا أن من الواضح تماماً أن دور العواصف السرملية كان مساعداً وليس حاسماً أمام مثل ذلك الإعداد الطويل والخطة المحكمة. بل إن اختيار لحظة الهجوم مع هبوب تلك العواصف يعتبر بسراعة تكتيكية لا جدال فيها. وهي جزء من قاعدة التوازن بين الحركة التكتيكية والأرض والمناخ المناسب.

تبين بعد انتهاء المعركة أن الذي لعب دوراً حاسماً في القضاء على الجيش البيزنطي كلمه دون أن ينجو رجل واحد، ليس هجوم الصدمة الأمامية المدعومة بالعواصف الرملية، وإنما عملية الطوق الواسعة وقطع طريق الانسحاب.

ليس صعباً أن يلحظ المرء نقاط التشابه بين استراتيجية عمليات نابليون في معركة أو لم وبين استراتيجية عمليات العرب<sup>(1)</sup> في معركة اليرموك الثانية... خاصة من ناحية ضرب طوق من كل الجهات يبلغ عشرات الأميال المربعة.. إلى جانب التركيز على قطع أي منفذ للانسحاب، والإصرار على أخذ قرار استراتيجي ينهي أمر العدو لهائياً - فالأغلبية الساحقة من قوات هرقل انتهت بين قتيل وجريح وأسير.

كان الجوهر في عمليات نابليون - التكتيك الكبير - وفي تكتيكه للمعركة يتلخص بضرب العدو من الأمام لتثبيت جبهته الأمامية مع عملية التفاف على أحد الجاناحين أو كليهما من أجل ضعضعته نهائياً، لذلك فقد تعلم أن يتجنب معارك المواجهة الأمامية الصرف ويركز على الالتفاف على إحدى النقاط الضعيفة. ومن هانا جهد في دراسة وضع العدو ونقاط قوته وضعفه وموقعه الطوبغرافي، وراح ينظم عملياته الاستراتيجية وتكتيكه في المعركة من أجل محاصرة العدو وضربه من أضعف نقطة مع تثبيت النقاط القوية الأخرى.

إذا أحــذنا معركة أوسترليتز AUSTERLIZ فسوف نجد أن قوات نابليون كانــت 65 ألفاً مقابل 52 ألفاً من الجيش الروسي و30 ألفاً من الجيش النمساوي. وكان العدو متفوقاً أيضاً في موقعه المحصن. ولهذا اعتمدت حطّة نابليون على إغرائه بــدء الهجوم ضد مواقع دفاعية محصنة حيداً ثم عندما ارتكب العدو خطأ التخلي عن المرتفع في الوسط استغل نابليون ذلك فوراً فانقض بسرعة البرق لاحتلاله قاسماً العــدو شطرين. وكان قد احتفظ بالرغم من قلة عدد قواته، بفرقة احتياط للتعزيز وشن الهجوم المضاد والملاحقة. وانتصر في المعركة بعد أن حدد بدقة لحظة الانتقال إلى الهجوم المضاد.

لــو أخــذنا بالمقابل معركة بابليون لوجدنا أن تفوق البيزنطيين على قوات عمــرو بن العاص والزبير بن العوام - 15 ألفاً - كانا ضعفاً على الأقل. وكانت

<sup>(1)</sup> كانت القيادة العامة بيد أبي عبيده بن الجراح، ولكن أغلب التقديرات أن خالد بن الوليد، كان مصمم الخطة العسكرية، أو على الأصح واضع خطوطها العريضة، دون أن ننسى تواجد عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من القادة - ولا شك أنهم شاركوا أبا عبيدة وخالداً في التخطيط والتنفيذ.

متمركسزة في بابلسيون في موقع حصين جداً بينما كانت قوات عمرو والزبير في هيلسيوبولس، وأخيراً استطاع عمرو إغراء قوات تيودور على الخروج من بابليون لسشن الهجوم على القوات في هيليوبولس، وفعلاً حرج تيودور باتجاه شمال شرقي بابلسيون بيسنما كان عمرو بن العاص قد بعث تحت جنح الليل بلواء استخفى في مكان قرب قلعة القاهرة الآن وبعث بلواء آخر، في الوقت نفسه ليستخفي بمكان قرب الأزبكية الآن.

وعـندما تقدمت قوات تيودور خرج عمرو والزبير لملاقاتها واشتبك الطرفان مواجهة دون أن يتحرك كمين الميمنة أو كمين الميسرة.. ولكن عندما حمي وطيس المعـركة تحـرك اللـواء الكـامن شرقاً والتف على مؤخرة قوات البيزنطيين التي تضعضعت وفوجئت بهذه الحركة غير المتوقعة، ولكنها عادت فتماسكت إذ شقت رأس سهم باتجاه الغرب لتفتح جبهة أمامية ضد القوتين. ولكن ما كاد يستقر حالها الجديـد حتى فوجئت باندفاع اللواء الكامن غربا بهجوم زخم على مسيرتها.. وهنا عمت الفوضى في صفوف البيزنطيين و لم يستطع النجاة منهم غير عدد قليل هربوا إلى بابليون. أما القسم الأكبر فسقطوا في المعركة.

كـان تكتيك العرب المسلمين، يعتمد أحياناً، على أخذ موقف دفاعي بادئ ذي بدء مصحوباً بأعمال مناوشة وإنحاك إلى أن يروا نقطة ضعف فيحملون عليها هجـوم زخم.. بل إن معركة القادسية تعطي صورا على تكتيك متطور جداً.. إذ كانت نقطة التركيز في اليوم الأول على مهاجمة سلاح الفيلة من خلال تعاون رماة النبل والمشاة - كانت الخيول تخاف الاقتراب من الفيلة.

أما في اليوم الثاني بعد أن اختفى سلاح الفيلة من الميدان كان سعد بن أبي وقاص قد أخفى سلاح الجمال كاحتياط ولم يشركه في اليوم الأول وإنما في اليوم الثاني.. أما في اليوم الثالث فكانت قوات القعقاع قد بدأت تصل من بر الشام بعد أن انستهت من معركة اليرموك الثانية فتحققت مفاجأة أخرى عوضت عن بروز الفيلة للمرة الثانية. وانتهى ذلك اليوم بالقتال الضاري للقضاء على الفيلة.. قوتل سلاح الفيلة في اليوم الأول عن طريق قطع مشدات الهوادج، أما في اليوم الثالث فقد هوجمت الفيلة بالذات من خلال طعنها بعيولها – ولكن في ليل ذلك اليوم قرر

المسلمون تحقيق مفاجأة حاسمة وهي شنّ الهجوم في الليل. وهنا تحطم حيش رستم نهائياً لتنتقل المعارك بعد ذلك إلى قلب بلاد فارس.

وإذا أخذنا معركة نهاوند فقد استخدم العرب تكتيكاً غاية في الجدة والدقة.. فقد كان الساسانيون<sup>(1)</sup> محصنين في موقع غرسوا حوله ما يشبه الأوتاد ورؤوس السرماح الأمر الذي جعل التقدم إليه محالاً على الخيل أو على المشاة. فكانت الخطة استدراج العدو إلى خارج الحصن فقسم الجيش إلى جسم رئيس أخفي تماماً عن العدو بيسنما ظهر قسم منه على أساس أنه الجيش كله. فشن هجوماً وهمياً وبدأ يتسرنح أمسام الدفاع وصعوبة الأرض. فتخيل المدافعون أنه فقد تماسكه ودبت به الفوضى فشدوا عليه لملاحقته وإنهائه فيما راح يفر من أمامهم إلى أن أوصلهم إلى موقع عليهم طريق العودة إلى حصنهم وأنهى أمرهم.

# الاستطلاع والاستكشاف:

1 - ثمــة ظاهــرة تولدت وتطورت مع حروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى يمكن اعتبارها قطعاً كدليل على التشابه في الجوهر بين حروب نابليون وتلك الحــروب، وهي تكوين مجموعات الاستطلاع والاستكشاف والتركيز على دراسة تحــركات العدو ومواقعه والأرض التي يقف عليها، إذ أن هذه الظاهرة ذات دور حاسم بالنسبة إلى جيش مقسم لفرق ويعتمد على المناورات الاستراتيجية وحرب الحـركة، بيــنما دورها ضئيل جداً يكاد لا يذكر في الحروب التقليدية التي كان يسزحف فــيها الجيش كله ككتلة واحدة ويلتقي مع عدوه في نقطة يتم اختيارها بالاتفاق في كثير من الأحيان، بل سميت تلك الحروب "المعركة بالاتفاق".

أما الحرب المتحركة التي تعتمد على قوة المناورة الاستراتيجية وتستخدم أسلوب المناوشات إلى جانب قتالها النظامي، فلا مفرّ لها من تلك الظاهرة. كاد

<sup>(1)</sup> المساساني والمساسانيون أضيفت إلى الفرس حتى لا يفهم بأنها حرب بين عرب وفرس في الفستوحات العربية الإسلامية. لأنها كانت حروب إزالة العوائق الكبرى أمام تحرير الإنسان ودعوة الإسلام. فالحرب هنا مثل الحرب مع الروم سواء بسواء.

نابليون أن يتعسرض في معركة مارينغو MARINGO إلى هزيمة محققة لولا أنه أنقذ الموقف بمبادرة رائعة في آخر لحظة وحوّل الهزيمة إلى نصر. ولكنه أخذ درساً قاسياً منها وهسو ضرورة تنظيم جهاز استطلاع فعال كفوء، بل إنه خصص بعدها كل سلاح فرسانه الخفيفة، بصورة حثيثة للاستطلاع، تاركاً فرسانه الثقيلة للصدام. ولعل الفقرات التالية من رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص توضح الأهمية التي أعطيت لهذه الظاهرة في حروب الفتوحات، يقول عمر: "وإذا وطئت أرض العدو فسأذن العسيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك، وليكن مسئك عسند دنوك في أرض العدو أن تكثر الطلائع، وثبت السرايا بينك وبينهم، وتنق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل".

بـــل إن عمرو به العاص دخل أحد الحصون في فلسطين مستخفياً على أساس أنـــه رســـول عمــرو بـــن العاص إلى القائد البيزنطي أرطبون، بقصد استكشافه واستطلاعه بنفسه. وكان قد اشتهر عن نابليون أنه كان يمسح أرض المعركة بنفسه قـــبل خوضها. وكثيراً ما وبّخ قادته أشدّ توبيخ حين كانوا يعتمدون على الخرائط ويهملــون الاســتطلاع، أو لا يوافــونه بالمعلومات الدقيقة التي "تتضمن "أتفه" التفاصيل.

## مستوى القيادات

ثمــة ظاهرة أخرى مشتركة لا يمكن أن تتولد إلا في ظلّ حرب متحركة ذات مــناورات اســتراتيجية وتكتيكية على أعلى مستوى، ولا يمكن أن توجد إلا في الجــيوش الــــي تُقسّم على أساس فرق مستقلة تتألف كل واحدة منها من مختلف صــنوف الأســلحة ولهــا قيادتما، وبمقدورها أخذ خطّ عمليات مستقل، أو شبه مــستقل، وخــوض معــارك مــستقلة بنفسها. وتلك الظاهرة هي زيادة الدور الاستراتيجي والتكتيكي الذي يلعبه القادة والكوادر الأدنى من القائد العام.

كــتب الجنرال د. باليت D.K. PALIT في كتابه "أوّليات المعرفة العسكرية" THE ESSENTIALS OF MILITARY KNOWLEDGE عدم المعرفة العسكرية المعرفة العسكرية المعرفة العسكرية المعرفة العسكرية المعرفة العمليات" يقسول إن في حروب الأمم القديمة، مثلاً، عندما كانت الفلانكسات والليجونات تلتحم في المعركة لم تترك الإجراءات المطلوب اتخاذها إلى مبادرة القيادات الأدنى، لقد كانت إجراءات مقررة سلفاً يجب اتباعها حرفياً بمجرد بدء عملية الاشتباك - حيث يأخذ كل فرد موقعه في الخط القتالي BATTLE LINE. ويتقدم الجميع كتلة واحدة كل باتجاه عدوه المباشر.

"ولكن هذا الوضع تغيّر مع القذائف بعيدة المدى والأسلحة الحديثة والتنظيمات الجديدة للجيوش واختلاف أنواع الأرض التي يجري عليها القتال وتنوع الحركات.. لقد أدى كل ذلك إلى ولادة مفاهيم أكثر تعقيداً حول الاستراتيجية والتكتيك، مثلاً ضرورة استخدام الاحتياط، والزحف السري، والمناورات التي تميئ للمعركة ولهذا أخذت مسؤوليات قادة الميدان تزداد أكثر فأكثر"...

ثم ينتهي إلى القول "إن القفزة الكبرى التي أحدثتها الحروب النابليونية إلى أمام - مفهوم التنظيم إلى فسرق، والأساليب الحديثة في المواصلات وكذلك حركات ومناورات كتل منفصلة عن بعضها تتقدم من أجل المعركة - باختصار "التكتيك الكيبر" - هي التي ولدت، وفتحت الطريق، للقيادة اللامركزية في الميدان. وبهذا أصبحت حتى مراحل التخطيط والتحرك - استراتيجياً وتكتيكياً - ضمن نطاق القيادات الأدنى، وأصبح مصير المعارك يعتمد على مبادراتهم وقراراتهم في العمليات المعددة المستويات. ولهذا نشأت الحاجة إلى وضع مجموعة من قواعد العمليات أو المبادئ لهدي قادة الميدان".

حين يراجع المرء حروب الفتوحات الإسلامية يندهش فعلاً من عظم الدور السندي كانت تلعبه القيادات الأدنى، والكوادر التي على رأس المجموعات الصغيرة، ومسن قيادة العمليات على أساس الاعتماد على المبادرات الاستراتيجية والتكتيكية للقيادات الأدنى، ومن الجمع الخلاق بين المركزية واللامركزية.

ويكفي أن نراجع ذلك العدد الكبير من أسماء القادة العسكريين الذين قدموا روائع استراتيجية وتكتيكية في فترة تاريخية في حدود عشر سنوات (633 - 644 م) – خالد بن الوليد، المثنى بن حارثة، أبو عبيده بن الجراح، عمرو بن العاص، سعد بسن أبي وقاص، يزيد بن أبي سفيان، شرحبيل بن حسنة، والنعمان بن مقارن،

القعقاع وغيرهم عشرات - ولا نبالغ إذا قلنا أن هذا الجانب تطور لدى العرب بسشكل يفوق عما تطور به في زمن نابليون، فالذي يراجع مذكرات نابليون وملحوظاته حول قادته وكذلك عمليات أولئك القادة بالذات، يتأكد أن نابليون لم تتوفر له قيادات أدنى على مستوى استراتيجي.

فعلى سبيل المثال إذا أخذنا الجنرال نبي NEY فسنجده قد ارتكب خطأ فادحاً في حملة بولونيا. وقد وبخه نابليون أشد توبيخ على ذلك. بل إن كثيرين من مؤرخي حسروب نابليون يؤكدون أن أحد العوامل الحاسمة في هزيمته في معركة ووترلو يرجع لتركه القيادة التكتيكية في المعركة للمارشال نبي NEY. وإذا كان مارشاله ألكسندر بيرثير BERTHIER . مضابطاً ممتازاً في الأركان، وتنفيذ خطة معدة له، إلا أنه، على حد تعبير نابليون، لا يصلح كقائد مستقل يقدر الموقف ويسبادر، ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن سائر قادته الآخرين بالرغم من ألهم يعتبرون ممتازين إذا ما قورنوا بزملائهم في الجيوش الأخرى في عهده.

أما حروب الفتوحات الاسلامية الأولى فقد أثبتت أن العرب امتلكوا مجموعة من القادة، في فترة زمنية واحدة، قادرين على القيادة الاستراتيجية المستقلة فضلاً عن القيادة التكتيكية المستقلة.

إن توفر هذه الظاهرة في حروب الفتوحات تؤكد، بصورة غير مباشرة، ولكن شديدة الدلالة، على أن سمات الفنّ العسكري في حروب العرب المسلمين لا تسدخل في عائلة الحروب القديمة حتى أواخر القرن الثامن عشر، وإنما هي من عائلة الفسنّ العسكري الذي أرسى نابليون أصوله في العصر الحديث. بل لها من المزايا، وفيها من الدروس في الفن العسكري ما يرتفع بمستوى علم الحرب وفنها.

### خلاصة:

إذا كـان العـرب المسلمون في مرحلة الفتوحات الأولى، على هذا المستوى الراقي من الفنّ العسكري أفلا يحقّ لنا أن نستنتج أن تفوقهم على أعدائهم في الفنّ العـسكري كـان أحد العوامل الحاسمة في تحقيق الانتصارات الباهرة عليهم، لقد واجهـوا في كل معاركهم الأولى أعداء متفوقين من حيث العدد والعدة والسلاح.

ولهـذا عمد أغلب المؤرخين على تفسير تلك الانتصارات من خلال إبراز جوانب الشجاعة والتفوق المعنوي لدى القوات العربية الإسلامية.

ولكن من السهل الإثبات أن هذه الجوانب وحدها لا يمكن أن تغطي حوانب تفوق أولسئك الأعداء، خصوصاً، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن أولئك الأعداء لم يكونوا أرانب حبناء، بل أبدوا في كثير من الأحيان ضروباً من الشجاعة والثبات والمعنويات العالية والإصرار على القتال.

فمثلاً لقد قاتل الفرس قتالاً مريراً في معركة الجسر وفي البويب وفي القادسية. فيإذا أخذنا معركة القادسية التي دامت ثلاثة أيام وليلة طاحنة نموذجاً، لوجدنا في أيامها الثلاثة الأولى أن المسلمين قدموا ألفين وخمسمائة شهيد. أما في الليلة الأخيرة التي دار فيها قتال شرس جداً فقد استشهد فيها من المسلمين ستة آلاف، هذا عدا الجرحي، كما سقط فيها من الفرس أضعاف ذلك العدد. فهل تدل هذه الوقائع على أن الأعداء كانوا جبناء أو أن النقص المعنوي كان هو الشيء الحاسم في هزيمتهم؟ وكذلك كان الحداء كانوا جبناء أو أن النين البيزنطيين في معارك أجنادين واليرموك (الأولى) وبابليون. وقد اختلف حالهم نسبياً في معركة اليرموك الثانية. ثم كيف يمكن إبراز شيحاعة العرب المسلمين وقوة معنوياقهم إذا كان أعداؤهم جبناء. إن الشجاعة لا تظهر إلا أمام الشجاعة، ومن يقاتل جباناً لا يحق له أن يتغني بشجاعته.

ولكن من ناحية أحرى، فقد كان الوضع العام في الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية قد دخل مرحلة الانحطاط الذي يصيب الدول في أواخر مراحلها. فالجندي الرومي أو الفارسي الذي حارب في اليرموك والقادسية، وكذلك القائد والسضابط ومجموع الوضع كله ليسوا مثل من كانوا في المراحل الأولى من صعود الإمبراطوريتين. فالإمبراطوريات والدول والأنظمة التي تنهار بعد أن تصيبها السشيخوخة. والشيخوخة لها مظاهرة عدة تضرب في عناصر القوة، عدا في العديد والتسلح. هذا من شروط انتصار القوى الناهضة الأقل عدداً وتطوراً.

لعـــل مراجعة ما قاله العرب الأوائل عن الفرس والروم تظهر إلهم لم يستهينوا بــشجاعة خصومهم أو يطعنوا بها، فقد وصف عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، الروم بألهم "حدّ حديد وركن شديد" وكان المثنى بن حارثة في رسالته إلى سعد بن

أبي وقـاص شديد الحذر من الفرس. أما حالد بن الوليد فقد وصف أولئك الأعداء بقوله: "إنما أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب". ويقصد كفاءة القيادة بالدرجة الأولى.

إن عـــبارة خالد بن الوليد تلك تؤكد موضوعتنا بما لا يدع بحالاً للشكّ. فحالد قائد عسكري من الطراز الأول عبر التاريخ كله، وقد دلل بتلك العبارة على التفوق في مضمار الفنّ العسكري وتخلف خصومهم في هذا المضمار. الأمر الذي فتح هوة واسعة بين الطرفين أوسع من الهوة التي كانت في هذا المضمار بين نابليون وخصومه.

بينما ظلّ خصوم العرب يقاتلون بكتل جامدة ووفق أصول محددة - بالرغم من ألهم كانوا حسني التدريب متفوقين بالأسلحة والعديد - راح العرب يقاتلون بفرق متحركة ومناورات استراتيجية وتكتيكية، يجمعون جمعاً خلاقاً بين المرونة في تقسيم القوات والتحرك والقيادة وبين التركيز المطلوب في المعركة. ويجمعون جمعاً خلاقاً بين القتال في الكراديس والصفوف وبين المناوشة والالتفاف على الأجنحة والتركيز على نقاط الضعف.

ومن هنا، يمكن القول إن التفوق في الفنّ العسكري قد لعب دوراً حاسماً في تحقيق انتصارات العرب المسلمين على أعدائهم في الفتوحات الأولى، كما أن السنفوق في الفنّ العسكري قد لعب دوراً حاسماً في تحقيق انتصارات نابليون الأولى على أعدائه حتى عام 1810.

ولكن هل يعنى هذا أن العرب المسلمين لم يكونوا متفوقين من الناحية المعنوية؟ طبعاً إن الدور الذي لعبته الناحية المعنوية في حروب الفتوحات لا يمكن أن ينكر أو يقلل من قيمته، ولكن الرأي هنا يستهدف عدم رؤية المسألة من جانب واحد فقط، كما يستهدف إبراز العامل الحاسم الآخر وهو جانب التفوق في الفنّ العسكري جنباً إلى جنب مع العامل المعنوي، دون أن ننسى أهمية عوامل أخرى في الوضع المدني والسياسي والاجتماعي في كل من الجبهات المتقابلة.

وأخيراً حول هذه النقطة لا بدّ لنا من أن نكرر ما سبق وأبرزناه في مطلع هذا الفصل في ما يتعلق بأهمية الدور الذي لعبه العامل المعنوي - نتاج الثورة الاجتماعية والعقدية والفكرية والأخلاقية التي أحدثها الإسلام - على الفنّ العسكري نفسه من الناحيتين الاستراتيجية والتكتيكية. ولا بدّ من أن نكرر أن ذلك الفنّ العسكري

ما كان له أن يتجلى بأروع صورة لولا توفر الناحية المعنوية تلك، أو على الأصح لسولا تسورة الإسلام التي وحدت أمة وألفت بينها ونهضت بما لتحمل رسالة إلى العسالمين<sup>(1)</sup>. ولكن هذا كله يجب ألا يطمس بأي شكل من الأشكال ذلك الدور الحاسم الذي لعبه تفوق العرب في مضمار الفنّ العسكري.

في الواقع يمكن أن يقال الشيء نفسه، مع الفارق، بالنسبة إلى العلاقة بين السثورة الفرنسسية والفن العسكري النابليوني رغم أن نابليون عاد فخان الثورة الفرنسية بالتحول إلى ديكتاتور فرد مطلق وكان ذلك عاملاً من عوامل سقوطه. فحسروب نابليون حملت رسالة الثورة الفرنسية إلى أوروبا من جهة، كما كانت ذات طابع قومي من جهة أحرى.

إن الأسباب السي أدت إلى تلك القفزة النوعية التي أحدثها نابليون في الفنّ العسكري تتلخص باندلاع الثورة الفرنسية التي أطلقت القوى الاجتماعية الجديدة من عقالها وحطمت الإقطاعية والملكية، فانطلقت البرجوازية الناشئة والجماهير الواسعة لستدافع أولاً عن السئورة ضد الغزو الرجعي المضاد<sup>(2)</sup>. ثم لتدفع الثورة وهي تحمل مشروعاً للتغيير والنهضة، إلى خارج الحدود الفرنسية ثانياً. مما كرس، لأول مرة، في أوروبا التحنيد الجماهيري الواسع وأصبح لدى فرنسا حيش جماهيري كبير، وخلفه احتياط لا ينضب في مقابل جيوش أوروبا الصغيرة المحترفة عالية التدريب والنظام.

لقد أدى تشكيل الجيش الجماهيري الواسع وانطلاق القوى الاجتماعية النامية الناهضة في المجتمع للإفادة من التطور التقني والعلمي مصحوباً بحماسة ثورية عالية، إلى جانب تطور الطرق والمواصلات والأسلحة، إلى خلق الأرضية لدخول الاستراتيجية والتكتيك العسكريين في مرحلة جديدة راقية هي أرقى ما وصله الفنّ العسكري حتى ذلك الحين في أوروبا. وذلك بإعطاء الحرب صفة متحركة ذات مناورات استراتيجية ومتابعة الحرب حتى نهايتها الحاسمة.

<sup>(1)</sup> يجسب الحسنر من إدراج الفتوحات العربية الإسلامية في إطار الفتوحات الامبراطورية أو القومسية. لأنها كانت ذات هدف رسالي. ويمكن التدليل على ذلك في النظام الذي ساوى بين المركز والبلدان المفتتحة، بما ذلك انتقال عواصم الخلافة، ودور شعوب تلك البلدان في قيادة الدولة والجيوش، كما في مجالات العلم والثقافة والفن.

<sup>(2)</sup> رجعي قياساً بالثورة الفرنسية البرجوازية من جهة وبالنظام الاقطاعي الأوروبي من جهة أخرى.

ولكن إذا كان الفنّ العسكري العربي الإسلامي قد أحدث مثل تلك الثورة في محال الحرب وأعطى الحرب تلك السمات نفسها تقريباً، فكيف يمكن أن يفسر ذلك؟

إن مختلف أنواع فن الحرب ليست من صنع العسكريين العباقرة بصورة بحريدية، وإنما هي نتاج ظروف مادية وتقنية وتاريخية سابقة ونهضة معنوية حيث بجدد القادة العسكريون أنفسهم فيها، وتتجلى عبقريتهم في اكتشاف أنسب أنواع الفن العسكري في ما يتفق وتلك الظروف المعطاة. فلو وجد نابليون في زمن الإسكندر لكان الإسكندر ولم يكن نابليون، وكذلك لو وجد الإسكندر في مكان نابليون ولم يكن نابليون، وكذلك لو وجد الإسكندر في مكان نابليون ولم يكن الإسكندر. طبعاً ليس حرفياً وإنما في الجوهر. ومن هنا، فما هي تلك الظروف التي توفرت في الوضع العربي في فجر الإسلام وأدت إلى تطور الفن العسكري إلى مستوى شبيه بقرينه في زمن نابليون؟

إن ثــورة الإسلام أطلقت القوى الاجتماعية النامية ودفعت الثورة إلى خارج حــدود الجزيــرة العــربية تحمل رسالة. وكرست لأول مرة التجنيد الجماهيري التطوعي الواسع وأصبح لدى العرب جيش كبير وراءه احتياط لا ينضب، مصحوباً بحماســة ثورية عالية. وإلى هنا تتشابه هذه الظروف مع نظيرتها في الثورة الفرنسية بالــرغم مــن اختلاف نوعية القوى الاجتماعية النامية والايديولوجية والأهداف. ولكــن خلافاً للثورة الفرنسية لم يكن هنالك تطور في الأسلحة والمقذوفات، ولم يكن هنالك تطور القيق وعلمي وآخر في الطرق والمواصلات ووسائط النقل. هذه الستطورات التي شكلت الأرضية لولادة الفنّ العسكري النابليوني، والتي لولاها لما تحـولت الحرب على يد نابليون إلى حرب متحركة. وهنا مصدر العقدة في تفسير سبب بروز تلك السمات نفسها تقريباً في الفنّ العسكري العربي.

الجواب يكمن في البحث في ظروف أخرى فريدة توفرت في الجزيرة العربية، ويمكن تلخيصها:

أ. إن الحسياة القبلسية الستي اعتمدت على الغزو وكثرة التنقل والترحال أعطت للمجستمع سمسات متحركة، سحبت كذلك على فنه العسكري، وإن كان بدائياً في تلك المرحلة قبل الإسلام. ولكنه فنّ تميز بالسرعة والحركة، وأولوية سلاح الفرسان، وعدم التقيد بالموقع أو بأصول نظامية جامدة في القتال.

- ب. عــرفت الجزيرة العربية قبل الإسلام عدة حضارات مثل ممالك سبأ وحمير والبتــراء والغــساسنة واللخميين، ولا شكّ في أن هذه التجارب ولدت تراكمات من الخبرات العسكرية.
- ج. كان العرب على اتصال وثيق بالروم والفرس والأحباش، وكثيراً ما قاتلت قـــبائل منهم في جيوش تلك الدول أو ضدها، وهذا بدوره جعل العرب على علم بكل التطورات العسكرية التي عرفتها تلك الدول.
- د. خاض العرب اللخميون في جبهة العراق قبيل الإسلام صراعاً طويل الأجل ضد الامبراطورية الفارسية، واستطاعوا أن ينتصروا عليهم عسكرياً في معركة ذي قدار، ولكن لما كان عرب العراق وعرب الجزيرة العربية المحاذون لهم قوة ضئيلة بالمقارنة بجبروت قوات الامبراطورية الساسانية، فقد اعتمدوا على أسلوب القتال الغواري ضدها وهو شكل بدائي من الحرب المتحركة... وقد ثبت لهم بالتجربة نجاح هذا الشكل من القتال ضد مثل تلك القوى الكبيرة المنظمة. وكان العرب المسيحيون الغساسنة (1) قد خاضوا تجربة مماثلة ضد دولة البيزنطيين.

ولما جاء الإسلام وأطلق قوى المجتمع العربي النامية ووحدها وألهبها بالحماسة للجهاد، وجد القادة العرب المسلمون بين أيديهم تقاليد عسكرية في القتال وثروة من المستجارب العسكرية ضد الامبراطوريتين، فكان من المنطقي مع توفر الجيش النظامي أن يطوروا تلك التقاليد ويفيدوا من تلك التجارب وأن يدفعوا إلى الأمام السصفة المتحركة في المجتمع القبلي العربي، ويستثمروها في التعبئة العامة وفي حركة الجيش وعملياته، خصوصاً، وأن تلك الصفة يمكن تنفيذها على مستوى الجيش دون حاجة إلى نظام نقل متطور أو دعم لوجستيقي معقد. فقد كان العرب فرساناً متقشفين خفيفي الأحمال بسبب ظروف حياقم القبلية والصحراوية.

كان كل ما تقدم يشكل الظروف الموضوعية لولادة وتطور فنّ الحرب المتحركة في الوضع العربي آنذاك.

<sup>(1)</sup> أضيفت العرب المسيحيون إلى الغساسنة هنا لمن لا يعرف من هم الغساسنة.

عـندما احتمع أبو بكر بقادة المسلمين (أهل الحد والعقد) ليشاورهم في أمر حملـة الشام نصحه عبد الرحمن بن عوف قائلاً "يا حليفة رسول الله إنها لروم وبنو الأصـفر حـد حديد وركن شديد، والله ما أرى أن نقحم الخيل عليهم إقحاماً، ولكـن تبعث الخيل فتغير من أداني أرضهم ثم تبعثها فتغير ثم ترجع إليك، ثم تبعثها فتسرجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مراراً أضر بعدوهم، وغنموا من أدبي أرضهم فقووا بسذلك على قتالهم، ثم تبعث بأقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جمعا، فإن شئت بعد ذلك غزوهم غيرك".

وبالمناسبة، إذا كان عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، وهو التاجر يمتلك هذا الفهمم الاستراتيجي والتكتيكي في توجيه إدارة الحرب وقيادتها استراتيجيا وتكتيكياً. وهمو ما كان ماوتسي تونغ ليذهل لو سمع به. فهذا يعني أن قادة المسلمين كانوا على قدر من المعرفة العسكرية استثنائية لا تجد لها مثيلاً حتى في الثورات الحديثة.

إن هذه الاستراتيجية شبيهة باستراتيجية المثنى بن حارثة التي تلخصت:

- عدم مقاتلة الفرس إذا اجتمع ملؤهم وأمرهم.
  - 2. عدم اقتحام عقر دارهم.
- مقاتلتهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدر من أرض العجم، أو بكلمات أخرى إبقاء الصحراء العربية القاعدة الآمنة وخط المواصلات والانسحاب إذا اقتضى الأمر مع قتال مناوشة على الأطراف ووراء الخطوط.

وكان عمر بن الخطاب برسالته إلى سعد بن أبي وقاص قد شدد عليه بالإكثار مسن الطلائع والعيون وبث السرايا بينه وبين العدو ثم يقول له: "فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع مكيدتك وقوتك ولا تعاجلهم بالمناجزة، ما لم يسستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك، ومقاتله، وتعرف الأرض كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك، ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك".

إن هذه الأمثلة، قليل من كثير، تدل على مستوى عال من التفكير العسكري الاستراتيجي والتكتيكي جاء نتيجة تحارب ماضية كثيرة ونتيجة معرفة وعلم باخبار

الأهمم والحمروب، فضلاً عن طبيعة ظروف الحياة العربية. مما شكل أرضية بنت علمها ثورة الإسلام وحروب الفتوحات الأولى. وقد دفعت خطى إلى الأمام من خلال تجربة التطبيق العملي في الظروف الجديدة، حتى يكرس فنّ الحرب المتحركة على مستوى راق فعلاً.

يبدو أيضاً، أن طبيعة القتال في الجزيرة العربية قبيل الإسلام، وعدم وجود الجيش المحترف جعلا الثقافة العسكرية وإدراك فن الحرب على مستوى تكتيكي واستراتيجي، ظاهرة عامة لا تقتصر على خالد بن الوليد وعمرو بن العاص والمثنى، وإنما معرفة مملوكة من قبل غالبية القادة والرجال البارزين. وهذا يفسر سبب ارتفاع مستوى القيادات العسكرية العليا والدنيا وكثرتها.

وأخيراً، لا بدّ من التأكيد على ضرورة أخذ هذه المقارنة بين حروب نابليون وحسروب الفتوحات العربية الإسلامية بروحها وجوهرها لئلا نغفل عن أن نأخذ بعين الاعتبار اختلاف الظروف زماناً ومكاناً وطبيعة في الحالتين. ولئلا يفهم من هسذا الدراسة أنها تبحس مما أحدثه نابليون من تطوير في فنّ الحرب، أو تبالغ، بصورة غير علمية، بما أحدثه العرب المسلمون من تطوير في هذا الفنّ.

ولهذا علينا أن نتذكر، مرة أخرى، أن حروب نابليون جرت ضمن إطار الأسلحة النارية وتطوير المدفعية خصوصاً، إلى جانب تطور التقنية والعلوم ووسائط النقل وتطور القسوى الإنتاجية، مما دفع فن العمليات – التكتيك الكبير – وفن تكتيك المعركة على يسده خطوات جبارة إلى أمام بالقياس إلى فن الحرب الذي ساد قبل عهده. وإن هذه الحقيقة هي التي تعطي قيمة متزايدة لما وصله العرب المسلمون من مستوى متطور في فن الحسرب بالسرغم من أن حروهم جرت ضمن إطار السلاح الأبيض والسهام، وضمن مستوى أدنى من التطور التقني والعلمي ووسائط النقل والقوى الإنتاجية.

ولكنها كانت تقوم على أساس الحرب المتحركة بكل معنى الكلمة، ولهذا لا بسد من أن توضع في مرتبة أرقى مما تقدمها وجاء بعدها من خروب حتى نابليون، ولا بد من وضعها في إطار تاريخي يجعلها سباقة على نابليون فيما أحدثه من تطوير على على فضن الحرب دون أن يقلل من قيمة ما أحدثه نابليون من تطوير ضمن إطار الأسلحة النارية والتقنية المتقدمة.

# مصادر البحث 1970

- 1. On War, K. Clausewitz.
- 2. Summary of the Art of War. H. Jomini.
- 3. A History of the World War 1914-1918, B. Liddell Hart.
- 4. The Revolution in Warfare, B. Liddell Hatt.
- 5. The Strategy of Indirect Approach. B. Liddell Hart.
- 6. The Essentials of Military Knowledge. D.K. Palit.
- 7. Engles as Military Critic-(selected Articles). F. Engels.
- 8. Selected Correspondence Marx & Engels.
- 9. Letters to Americans Marx & Engels.
- 10. The Civil War in the U.S. Marx & Engels.
- 11. Selected Military Writings. Mao Tse-Tung.
- 12. Lenin on War and Peace (Three Articles). Lenin.
- 13. {Left-Wing} Childishness and the Petty-Bourgeois Mentality. Lenin.
- 14. {Left-Wing} Communism-An Jnfantile Disorder. Lenin.
- 15. The Foundations Of Leninism, J. Stalin.
- 16. The History of The Civil War in the USSR by Stalin & Gorki & Voroshilov & Kirov & Jhdanov.
- 17. The Historian and the Army, K.R. Greenfield.
- 18. Introduction to Strategy. A. Beaufre.
- 19. Military Writings, L. Trotsky.
- 20. The Thin Red Line. J. Selby.
- 21. A Study of History. A. Toynbee.
- 22. The Great Arab Conquests. J. B. Glubb.
- 23. Crusading Warfare (1097-1193). R.S. Smail.
- 24. Military Strategy: Soviet Doctrines of Concept. V.D. Sokolovsky.
- 25. Strategy in the missile age. B. Broclie.
- 26. Gustavous Adolphus. Dodge.

27. تــاريخ فن الحرب (جزءان)، الجنرال ستروكوف، بالعربية. ترجمة العميد الركن صباح الدين الأتاسي.

28. مكافحة الدبابات. تأليف: بير يوكوف، ميلنيكوف، بالعربية، دار التقدم، موسكو.

# مصادر البحث 1971 - 2008

- 29. A History of Military Thought (From the Enlightenment to the Cold War). By Azar Gat (Oxford University Press) 2001.
- 30. The Utility of Force. By Rupert Smith (The Art of War in the Modern World) Penguin Books, 2006.
- 31. Strategy. By B. Liddel Hart.
- 32. The Changing Face of War. By Martin Van Creveld (Combat From the by Marne to Iraq) Ballantine books, New York 2007-2008.
- 33. James Mattis and Frank Hoffman: Future Warfare: The Rise in Hybrid Wars.
- 34. Law Renee Freedman: "The Evolution of Nuclear Strategy". St. Martin Press, New York (1981).
- 35. Israeli Military Using Post-Structuralism as "Operational Theory". By Eyal Wéismax. www.Frieze.com.
- 36. The More Force You Use, the Les Effective You Are. By Michael Schwartz. Ms42@optonLine.net.
- 37. Why Iraq Will End as Vietnam. Did by Martin van Creveld. http://www.d-n-i.net/creveld/why iraq will end as veitnam did.htm.
- 38. Through A Glass, Darkly (Some Replications on the Future of War 2000 by Martin van Creveld).

http://www.d-n-i.net/creveld/through\_a\_glass\_darkly.htm.

- 39. The Israel Defense Forces in the Second Lebanon War: Why the Poor Performance? (The Journal of Strategic Studies) vol. 31, no. 1, 3-40 February 2008.
- The Lessons of the Israeli-Lebanon War. By Anthony H. Cordesman. CSIS-Center for Strategic of International Studies-Burke Chair in Strategy. March 11, 2008. www.CSIS.org.
- 41. D. Holloway Stalin and the Bomb: The Soviet Union and Atomic Energy, New Haven, Yale University Press 1994.

- 42. S.J. Cimbala "Nuclear Weapons in the New Order". Journal of Strategic Studies 1993.
- 43. W. Owen: "Lifting the Fog of War". New York, Farrar, Straus & Ciroux 2000.
- 44. T. Benbow: "The Magic Bullet? Under Tending the Revolution in Military Affairs", London, Brassey's 2004.
- 45. J. Kieviet: "Strategy and the Revolution in Military". Affairs: From Theory to Policy. Cartisle, Barracks, US A4 mg Strategic studies Institute 1995.
- 46. W. Millis: "Military History". 1961 Washington D.C (Service Center For Teachers of History).
- 47. Edward N. Luttwak: "The Pentagon and the art of War". New York, Simon & Schuster 1984.
- 48. Martin van Creveld: "The Changing Face of War Combat from Marne to Iraq". Ballantine Book New York 2007.
- 49. Peter Darman: "Surprise Attack" (Lightning Strikes of the World's Elite Forces). Bown Books, 1993, London, U.K.

الاستراتيجية والتكتيك في فُن عِلْمُ الحُرِبُ من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق

منير شفيق

• كاتب ومفكر من فلسطين

جميع كتبنامتوفرة على شبكة الإنترنت

دراسة الحرب وفهمها مسألة حيوية ليس بالنسبة للمختصين فحسب، وإنما أيضا بالنسبة للمثقفين والصحفيين والسياسيين والفنيين والعلماء والمناضلين والجماهير. بل إن ظاهرة تحول الثقافة العسكرية إلى ثقافة عامة للشعب، أصبحت ظاهرة عالمية في كل البلدان. لأن الحرب ومسائلها أصبحت تعتمد اليوم أكثر من أي يوم مضى على الجهد الجماعي للأمة كلها سواء أكان في عمليات المؤخرة أم الميدان. إذ لم تعد عملية قيادة الحرب ووضع استراتيجيتها من اختصاص الجنرالات وحدهم فقد أصبحت الاستراتيجية - حتى في الدول الغربية الرأسمالية - ترسم على طاولة مستديرة يلتف حولها القادة السياسيون والجنرالات وأصحاب الاختصاصات المختلفة. أما في الصين الشعبية، فإن دراسة الحرب وقواعدها جزء أساسي من برامج التعليم في المدارس والجامعات، ومن الثقافة العامة للشعب كله. وعندما نتحدث عن الثقافة العسكرية أو دراسة قواعد فن الحرب لا نقصد التدريبات أو التمرينات العسكرية على فك السلاح وإطلاق النار والصف بالطابور فهذه تحصيل حاصل، وإنما نقصد دراسة الموضوع على أعلى مستوى الاستراتيجية والعمليات والتكتيك.

إن بلادنا العربية تواجه خطراً يتهدُّدها إلى أجيال قادمة، وهذا الخطر مدجج بالسلاح ويلجأ للحرب لتحقيق أهداف وغاياته العدوانية التوسعية والاستعمارية. إنه خطر الكيان الصهيوني والجيوش الإمبريالية. وليس لنا من سبيل إلا الدفاع عن بلادنا وجماهيرنا ومستقبلنا، وستكون الحرب جزءاً هاماً في هذا الدفاع، وعلينا أن ندركها ونعرف كيف نعدُ لها ونواجهها ونخوضها بنجاح. وإذا كانت الحرب عملية صدام وحشي يحمل الكوارث والدمار والويلات، إلا أنها مفروضة علينا وتعيش بين ظهرانينا، وعلينا أن نواجه هذه الحقيقة المرة ونحول مرارتها إلى حلاوة انعتاق إنساني. إن الذين يدركون قواعد علم الحرب ويعرفون كيف يعالجون مسائلها ويعرفون كيف يقودونها، هم وحدهم الذين يخففون من ويلاتها ويستطيعون إزالة أخطارها.

أما استمرار الجهل في هذا المجال، أو محاولة دفي الرؤوس في الرمال، فلن يدفعا الحرب عنا، ولن يخففا من وحشيتها وويلاتها، وسيلدان دائماً هزائم من طراز هزائمنا العسكرية عام 1949/1949، وعام 1967.

> الدار العربية للعلوم ناشرون Arab Scientific Publishers, Inc. www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان هاتف: 785107/8 (1-961) فاكس: 786230 (1-961) هاتف البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

ISBN 978-9953-87-494-4

ومرات، كور

www.neelwafurat.com